

كتب قومية

أسرار الثورة المصرية

بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية

تقديم: جمال عبد الناصر

بقلم: أنور السادات



كتب قومية

أَسْرَارُ
الثَّوْرَةِ الْمِصْرِيَّةِ
بَوَاعِثُهَا الْحَقِيقَةُ وَأَسْبَابُهَا السَّيِّئَةُ كَوَلُوجِيَّةُ

تقديم : جمال عبدالناصر
بمقدم : أنور السادات

ملاحظات

(٥) يعمل استفتاء لرئيس الجمهورية
من رجال الثورة العامة لاختيار
الرئيس لمدة سنة واحدة

(٦) يعمل انتخاب تمثيلي لمجلس الشعب
تختصه صلاحيات إشراف وإشراف
وتنفيذ وتتمتع بسلطة تقديرية في تنفيذ
رئيس الجمهورية

(٧) يعمل رئيس الجمهورية على تعيين
وتعيين المحافظين بمجلس الشعب
مجلس الوزراء

لقد أكتبنا الكتاب ولا شك خلاصة
المبررات الخفية والأسباب
السيكولوجية لنورتنا السامية
جمالاً رائعاً

مقدمة للرئيس جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب السيد أنور السادات ، وساءلت
نفسى عما دفعنى لهذا الإعجاب به ، فجاءنى الرد المنطقى فوراً ،
انه ... مضمونه المتحلى بسلامة الأسلوب ، وقوة التعبير ، وطابع
البساطة فى سرد الحوادث ، وعرض المواقف ، فى الوقت الذى
أرى فيه الكاتب قد تجنب الحديث عن نفسه . فنجد له لم يعتمد
لكتابة قصة حياته ، ولم يقيم بتحقيقات صحفية كبرى ، بل قدم
لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التى مرت تحت بصره
وسمعه ، فجاء كتابه مجموعة لصور حية ، جمعتها ريشة رسام
ماهر ، وصورتها فى صورة واحدة ، أبرزت من مجموعها حقائق
وأسانيد ، تتيح لنا دراسة أحوال مصر المعاصرة عن كثب .

لقد استخدم أنور السادات هذه السجيا فى جميع أحوال
حياته ، كما أحسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ، فنجد
قد سجن فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بأمر العدو المستعمر ، ثم
أعيد اعتقاله عام ١٩٤٤ لنشاطه الوطنى ، ولكم تحمل من ألوان
الحرمان والتعذيب ، فلم تهن عزيمته ، ولم تتزعزع عقيدته ، ولا
لم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخاً وإيماناً ، ولا غرو ،
فعلى قدر أهل العزم تؤتى العزائم ، فكان له من سنوات سجنه
الطويلة فرصة للتفكير ، والتفكير ملياً ، حتى رجع بتمعنه وتأملاته

الى آلاف السنين الحوالى ، وطالع ما صدر خلالها من مطامع العالم
التي شخصت وتجمعت حول هذا البلد الطاهر ، فظل الشعب
المصرى الابى الكريم رازحا تحت نير الاستعباد رذحا طويلا من
الزمان ، متخلفا بذلك عن تقدم سائر البلدان ، فما كاد يفر من
معتقله ، حتى صار رمزا حيا للمطالبة بالحرية ، ومعبرا صادقا
للسعور الجامع الذى سرى فى شعب وادى النيل أجمع ، من البحر
الابيض المتوسط حتى أعالي خط الاستواء ، مطالباً بالتححرر من
الظلم والاستعباد والطغيان .

ها هو ذا يكافح بهمة لا تعرف الكلل فى سبيل المثل العليا ،
فى الوقت الذى نرى فيه الجموع العالمية ، تطالب أيضا بتحقيق
العدالة الاجتماعية ، ولا جدوى فى انكار مطالبها .

لقد عمل الضباط الاحرار جاheids ، من أجل اذكاء الحماسة
فى القلوب التى ابتاست ، واشعال الجندوة فى النفوس التى
انقدت ، حتى يستطيع الشعب الكريم ، مجابهة أعدائه .

كان النظام الملكى الرجعى المنوط بأسرة أجنبية ، حائلا دون
تقدم البلاد ، فكان أول لزام على الثورة ، أن تهدمه تماما وتقضى
عليه ، لتفسح الطريق أمام نهضة البلاد ، ثم أصبح لزاما عليها
بعد ذلك أن تقتلع جذور الفساد والمحسوبية والرشوة والرجعية
والحزبية المغرضة البغيضة ، حتى تطهر البلاد من الادران ، وأخيرا
وليس أخرا كان لزاما على الثورة أن تعبئ الشعور العام ، وتدريب
الجموع المتكتلة الحاقدة على عنونها الغاصب لمجابهة ذلك العدو بكل
ثقة واطمئنان ... وقد كان .

وكم من مرة تأرجحت سفينة الثورة ، فى ذلك اليم المتلاطم
بالامواج ، اذ لم يكن من اليسير مقاومة قوى الانحلال الهدامة ،

والآن ، وقد استرد الشعب عزته ، واستعاد حريته ، وأصبح يشعر بكرامته ، ويدرك حق الادراك مصالحه العليا ، المؤسسة على التحرر من الاستعمار والمساواة المدنية والسياسية ، نجد أن الفوارق الاجتماعية التي كانت شاسعة البون ، قد انهارت مفسحة الطريق أمام القيم الاخلاقية التي تقدمتها ، وقد تضاعفت فيها الجهود ، وتوجهت بعزيمة لا تعرف الكلل الى الاعمال الناهضة الانشائية ، فالشعار الصريح الواضح لعهدنا الجديد هو التعاون التام للعمل والانتاج .

انقد تسلمت الثورة القيم الوطنية وديعة بين يديها ، وستسير
بالشعب المصرى قدما ، فى طريق الانشاء والتعمير ، المحاط بجو
الهدوء والاستقرار ، وستتقدم بالامة فى سبيل الرقى والازدهار .

شاهدت مصر في خلال السنوات العشرين الاخيرة ، أحداثا بدت لاول وهلة ، متشعبة الاطراف ، متعذرة الفهم والادراك ، فاذا ما حققنا النظر فيها عن كثب ، راعنا ما فيها من خيوط مرتبطة بعضها ببعض ، تقودنا لنتيجة واضحة ، فروح السخط التي سادت الجيش من جراء فساد الحكم ، والتآلم المرير الذي شعر به المصريون اثر احتلال أرض الوطن ، وعزوف المسؤولين عن اجراء اصلاحات أساسية واجبة ، وحرب فلسطين ، الى غير ذلك ... فاذا ما اقتفينا أثر هذه الخيوط تكشف أمامنا منطق واضح سليلم ، أدى بنا للنتيجة الحتمية التي حدثت وجعلت ما كان يبدو غامضا في بادئ الامر ، واضحا حليا في نهايته .

لقد حلل المؤلف في كتابه الشخصيات والاحداث تحليلًا دقيقًا ، مما جعل الكتاب مرجعًا قيمًا يعتد به ، حاولت جاهدا أن أوضح مضمونه وأن ألخص فصوله المتعددة ، فلم أجد خيرا من هذه الجملة المختصرة :

« هذا الكتاب ولا شك خلاصة البواعث الخفية ، والاسباب السيكولوجية ، لثورتنا السلمية » .

وقف الكتاب قرب منتصف عام ١٩٥٢ ، سنة التحرير والبعث ، التي سجلت أحداثًا خطيرة لبلادنا ، اذا ما استعدنا ذكراها ، لرأينا عهدا يائدا تغرب شمسهُ ، وعهدا جديدا ناهضا تشرق أنواره .

شكرا للمؤلف فقد آتاح لنا أن نرى في الحاضر المزدهر الحبيب ما يبشر بالمستقبل الباسم الزاهر .

جمال عبد الناصر

مفاجأة مع الفجر

- ♦ ذهب الملك ٠٠ تحيا القيادة !
- ♦ أسلحة جديدة لتفصيل
الشعب
- ♦ هل هم من جماعة الاخوان ؟
- ♦ اثنا عشر ملكا بدلا من
فاروق
- ♦ الانحناء دائما سياسة سادة
الموقف
- ♦ الثورة الرشيدة لا تقبل
وصاية من أحد

ان أحدا لم يكن يتوقع شيئا عندما نام ليلته فى نهاية اليوم الثانى والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ، فلما أصبح الصباح كان الناس فى شبه ذهول . فقد توالى الاحداث منذ الفجر على صورة لم يألّفها هذا الشعب ولا كانت تستطيع أن تطوف بخياله ، بعد أن تاهت منه أحلامه وآماله ، فى ظلمة الايام وسواد الليالى ، طيلة أشهر ستة ثقيلة مرة .

رأى كفاحه المسلح من أجل حريته ، ينتكس فجأة يوم ٢٦ يناير ٠٠٠ ورأى مدينته العزيزة تشتعل بالنار التى انطفأت فى اليوم نفسه من معسكرات أعدائه ٠٠٠ ورأى أبناءه الذين ذهبوا ينودون عن شرفه وحريته ، يعودون الى المدينة مكبلين بالاغلال ، ليقتضوا أيامهم خلف أسوار المعتقل ٠٠ ثم رأى نفسه ، وقد أصبح فى نظر الحاكمين خطرا داهما على أرضه ، ووطنه ومدينته ، فألزموه البيت كلما جاء المساء ، عقابا له على انطلاق آماله ، والزاما له بالتكفير عن خطاياهم ٠٠٠

ورأى الاشاعات والمخاوف تملأ الجو من حوله ، حلقات الحيانة والدسائس تحيط بحياته ، وخمسا من الوزارات تتتابع على مقاعد حكمه العرفى ، لم يعرف لماذا أتت ، ولا لماذا ذهبت ولكنه لعنها جميعا فى سره وفى غلته ٠٠٠ وما كان يملك غير هذه اللعنات ، وقد سلب القدرة على العمل ، وسدت فى وجهه منافذ الآمال ٠٠٠

وفجأة ، وبدون أية مقدمات ، تحرك الجيش وتوالت الاحداث .

وفى صباح ٢٣ يوليو ، كان الناس بين مصدق ومكذب . .
كانت الفرحة تشملهم ، ولكنها فرحة تشوبها المخاوف ، وتنتابها
الظنون والتكهنات لأن البيان الذى طلع عليهم لم يشف نفوسهم ،
ولم يضىء أمامهم كل المصاييح .

وجاء الاصدقاء الى القيادة ، ونفوسهم تحترق على مصيرنا ،
اذا نحن لم نجهز على الملك ، واذا نحن حصرنا هذه الضربة فى
نطاق الجيش وحده ، كما فهموا من البيان . . .

وأخذوا يذكرون الفساد والاستهتار وما آلت اليه البلاد من
فوضى سياسية وخلقية ومعنوية . . . ويطالبوننا بالعمل الكبير
الحاسم قبل أن تضيع الفرصة ، وتفلت الآمال . . .

وكان هؤلاء جميعا أصدقاء . . . مجرد أصدقاء ، شباب ،
مخلصين . . ولم يكن بينهم واحد فقط من رجال السياسة
وقتذاك . . .

ومضى يوم ٢٣

ومضى يوم ٢٤

ومضى يوم ٢٥

مرت هذه الأيام الثلاثة ، ولم نسمع فيها كلمة من سياسى
واحد ، ولم نر فيها وجها لسياسى واحد . . .

لقد لزم فيها جميع السياسيين بيوتهم ، واعتصموا بالصمت
والخذر : فلم يتحرك منهم الا اولئك نفر الذين ظنوا أن الملك باق
على عرشه ، فهرعوا يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات . . .
يوم ٢٤

وجاء يوم ٢٦

وما أن وافت الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ، وكان قد عرف في دوائر السياسة أن فاروقا قد وقع التنازل وانه بسبيل مغادرة البلاد في الساعة السادسة ، حتى وقعت المعجزة ...

وكانت المعجزة ، هي خروج السياسيين من جحورهم ، وتقاطرهم علينا .

وفود ، وفود من السياسيين ، من جميع الالوان والمذاهب والاتجاهات ، تطرق أبوابنا في مقر القيادة بثكنات مصطفى باشا، ابتداء من الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ...
جاءوا إلينا جميعا ، حتى أولئك الذين قيدوا أسماءهم قبل الامس .. ولاء وإخلاصا في سجل تشريفات الملك ...

دور البطل

ولم يضيع السياسيون وقتا بعد ذلك ...

فمنذ الصباح في يوم ٢٧ ، بدأت كل هيئة سياسية ، بل بدأ كل سياسى في هذا البلد ، يعد نفسه لمعركة جديدة يحلم فيها بدور البطل ...

لا شيء قد تغير ، في نظر السياسيين والهيئات السياسية .
لا شيء ، الا اختفاء شخص الملك ، وظهور أشخاص رجال القيادة ...

كان لسانهم الناطق يقول : ذهب الملك تحيا القيادة !!
وهذا التغير الشكل ، قد يستتبع تغييرا في الاساليب ،

وتجديدا في أسلحة السياسة ، ولكنه لا يستتبع أبدا ، تغييرا في الهدف . . الهدف الرئيسي لاحتراف السياسة منذ وجد في مصر محترفوها . . .

ومثلما خاض السياسيون المعارك تحت أقدام فاروق في سبيل الوصول الى أسلاب الحكم ومغانمه بدأوا منذ اللحظة الأولى لطرده يخوضون معركة جديدة ، يقسمون فيها هذه الأسلاب والمغانم . . .

وكان لا بد أن يختار كل منهم سلاحا جديدا يناسب لون المعركة الجديدة . . . وكان لابد أن يكون السلاح براقا أمام أسلحتهم القديمة . .

وكان هذا البريق ، هو المنطق المعقول الذي يحاولون الدخول به الى الازهان . فاذا ما انفتحت عقول الناس لهم ، اكملوا القصة بأكاذيب وأراجيف تعودوا صياغتها ، لكي يصلوا الى ما يبتغون .

وكانت عقول الناس فعلا ، مهياة لقبول أى منطق معقول . .

وقد رأى الناس أشياء لم يستطيعوا فهمها ، وسمعوا عن أسماء لا يعرفون عن أكثر أصحابها شيئا ، وترددت في آذانهم اشاعات لا يستطيعون تكذيبها لان الحقائق لا تزال مستورة عن عيونهم .

أين الحقيقة

كان الناس يريدون أن يعرفوا من أمر هذه الثورة ومن أمر الرجال الذين يقودونها كل شيء .

كانوا يريدون أن يعرفوا من نحن وأين كنا وكيف اجتمعنا

ومتى اجتمعنا وكيف أعددنا خطتنا وما هى تفاصيل هذه الخطة وكيف
نفذناها وماذا ننوى ٠٠٠ وهل لدينا مشروعات معدة وماذا يدور
فى رؤوسنا وماذا سوف نصنع ٠٠٠ وكيف نجحنا ٠٠٠ ؟

هل من ورائنا قوة معينة ٠٠ وما هى هذه القوة ٠٠ ؟

هل فى صدورنا اتجاه معين ٠٠ وما هو هذا الاتجاه ٠٠ ؟

أسئلة كثيرة كانت تدور برؤوس المصريين جميعا ولم يكونوا
يجدون لها جوابا منا ٠٠ ولكن ٠٠ كانت الاشاعات تجيب !!

وانطلقت أول اشاعة تقول ان هذه الثورة ، ثورة اخوانية
يقودها ويوجهها من وراء الستار الاخوان المسلمون .

وكانت هذه الاشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد
صدقها ٠٠

فقد كان أول اجراء اتخذته الثورة كجزء من برنامجها
الضخم فى ازالة آثار الماضى البغيض ، ومحاسبة المسئولين عنه
بالحق والعدل ، هو الامر الذى صدر باعادة التحقيق فى قضية
مقتل المرحوم حسن البنا ، مرشد الاخوان المسلمين ٠٠٠

ولم يقل الناس ان هذا مصرى قد قتل بليل ، وأحاطت
بالتحقيق فى مقتله ، ظروف مريبة ، واتخذت فيه اجراءات شاذة.
٠٠٠ ثم طوى على سر دفين ، وقاتل مجهول ٠٠ لم يقل الناس هذا
ولم يقولوا ان من حقهم كمصريين أن يعاد التحقيق فى هذه الجريمة
المنكرة وأن يؤخذ جناتها بالقصاص ٠٠

ولكن قالوا ، ان خلف الثورة جماعة الاخوان المسلمين ٠٠

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير ٠٠٠

ان كانت هناك صلة بين هذه الثورة ، وبين الاخوان المسلمين
* * * فمتى بدأت !
والى أى مدى وصلت ؟
وماذا كانت أهدافها ؟
وماذا انتجت ؟

وهل استمرت ، أم انقطعت ؟
وفى جملة واحدة : ما هى قصة الثورة مع الاخوان المسلمين؟
سؤال واحد ، يعود بالذاكرة الى اثنى عشر عاما قبل ظهور
هذه الثورة ٠٠ الى عام ١٩٤٠ عندما بدأت قصتنا مع الاخوان ٠
وهذه القصة لا يعرفها المصريون ، ولا يعرفها جمهرة الاخوان
ولا يعرفها العدد الاكبر من رجال قيادة الاخوان ٠ وكل ما يعرفه
المصريون هو ما ذاع من اشاعات بعد ذلك بأيام ٠
ومع ذلك ٠٠٠ فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من
مظاهر ، ومن اشاعات ٠٠٠ ومن محاولات ٠٠٠
فقد كان هناك الوفد أيضا ٠٠٠

والوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لا يعرفها المصريون
٠٠٠ ولا يعرفها أيضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم ٠
فالناس لا يعرفون أن اتصالنا بالوفد قد بدأ قبل ظهور
الثورة بزمان طويل ٠٠ ولا يعرفون أننا فى وقت من الاوقات
قد وضعنا خطتنا على أساس أن نأتى بالوفد ونفرضه فرضا على
فاروق ، كشرارة أولى للثورة ، ثم نكمل نحن تنفيذ الحطة ٠
لا يعرف الناس شيئا من كل هذا ، ولا يعرفون كيف تتخاذل
الوفد عن القيام بدوره فى هذه الحطة ، ولا لماذا ٠٠٠

ولكن هذا كله يعرفه بعض زعماء الوفد ٠٠ الذين حاولوا بعد يوم ٢٧ يوليو أن يفرضوا وصايتهم على الثورة ٠٠٠ وأن يمهّدوا لهذه الوصاية بسيل كبير من الاشاعات والروايات ، والمظاهر ٠٠ وأن يحاولوا خلق أمر واقع يحيطون به الثورة ويلبسونها ثوبا لم تفكر فيه يوما من الايام !

وقد بدأ هذا بمجرد عودة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين من الخارج في الاسبوع الذى تلا طرد فاروق .

عاد الرجلان ٠٠ فعاد النشاط الى أقصاه فى صفوف الوفد الاجتماعات المتتالية تعقد ٠٠٠

ومندوبو الصحف يسهرون الليالى فى دار الزعامة ٠٠٠ وأعمدة الصحف تمتلئ كل يوم بالاخبار والاسرار والتكهنات والقرارات الخطيرة التى يتخذها رجال الوفد ١٠٠ !

وعاد الشباب الوفدى فورا ٠ يملأ ردهات النادى السعدى، وعاد الهمس وعادت الهاتفات وسارت الاشاعات ، تشكل الوزارة، وتملأ المناصب الهامة فى الدولة، وتتكهن بالمستقبل وتحدد تواريخ الاحداث الخطيرة المقبلة .

وسمع الناس أيضا هذه الاشاعات ٠٠ ثم لم يسأل أحد منهم نفسه سؤالا واحدا ، يستطيع أن يقضى عليها ٠٠٠

لماذا عاد النحاس وسراج الدين من مصيفهما بأوربا عقب الثورة مباشرة ؟!

أيمكن أن يكون الزعيمان الكبيران قد ارتحلا الى أوربا ابان أعنف الازمات السياسية التى وقعت فى تاريخ مصر ٠٠ وخلال أحلك الليالى التى مرت بشعب مصر ، منذ احترقت القاهرة ،

واضطربت كل موازين الحكم فيها ، أيمن أن يكون الرجلان قد
سافرا الى أوربا ليفكروا هناك بهدوء في أمر هذا الشعب الذي
يزعمان زعامته ، وهذا البلد الذي حطمه الخراب والطغيان .

لماذا يتركان البلاد في محنتها ، فلا يعودان اليها الا يوم
يترامى الى اسماعها حديث الثورة ، فينبه فيهما شهوة جائعة الى
الغنيمة ، وقد ظنا أنها أصبحت سهلة بلا حراس ؟!

ولكن سؤالا كهذا لم يطف بخاطر أحد ممن سمعوا اشاعات
الوفد تنطلق في كل يوم ...

وبينما كان الناس في دوامة الاشاعات كان سراج الدين يعد
خطة الاستيلاء على الغنيمة ...

خطة الوفد

وكانت خطة الوفد فذة في نوعها ...

فقد بلغ النشاط الوفدي أقصاه ، وملأت الاشاعات جميع
الآذان ، اشاعات أن الوفد قد سيطر على الموقف تماما ، وأن قادة
الثورة قد أيقنوا أنه لا سبيل لهم الى تحقيق أى هدف من أهداف
الثورة ، الا اذا احتضن الوفد هذه الاهداف ...

وكانت عودة النحاس وسراج الدين من الخارج عقب الثورة
مباشرة والزيارة التي قام بها النحاس الى القيادة في الساعة الثانية
بعد منتصف الليل ، من الدعائم القوية التي استندت اليها هذه
الاشاعات لتصل الى الناس في صورة الحقائق الثابتة المقررة ...

ولم يبق أمام الوفد الا أن يقنعنا نحن أيضا بصحة هذه
الاشاعات التي أطلقها ... عنا !

كان الوفد في هذه المرة يسير وفق خطة على درجة طيبة من
الاحكام ...

فكان ما نسمعه من فؤاد سراج الدين هو نفس ما نسمعه
من الشباب الوفدى جميعا على اختلاف ثقافتهم وألوانهم ..

وكان الهدف من هذا النشاط والهتافات والاشاعات
والتحركات ، هو اشعار البلد أولا بأن الوفد يضع خطة المستقبل
بوصفه حزب الاغلبية الذى يمثل الشعب وبوصفه القوة الحقيقية
التي تستطيع هذه الثورة أن تركز عليها ، ولا تستطيع أن تعمل
شيئا بدونها ...

كان الوفد يريد أن يجعل من هذه الدعوى أمرا واقعا ، لكي
يتسلل الينا بعد ذلك ، ويواجهنا بهذا الأمر الواقع : أن القاعدة
الشعبية الوحيدة في البلاد ، هي قاعدة الوفد ، واننا لا نستطيع
أن نعمل دون الارتكاز عليها ! ..

وفى صباح يوم من أيام أغسطس ١٩٥٢ ، أى بعد الثورة
بأسبوعين تقريبا ، أيقظونى من نومى فى منزلى لكي أقابل ضيفين
يطلبان مقابلة لأمى خطير ...

فدخلت غرفة الاستقبال ، فوجدت زميلين من زملاء
المعتقل ...

وكان طبيعيا أن نتذكر شيئا عن الماضى الذى جمعنا فى
معتقل واحد فى عهود الظلم والارهاب ...

ولكننى أحسست أنهما قد أعدا حديثهما ، ورتباه ونمقاه ،
بحيث يلقي كل منهما حلقة من حلقات الحديث فيتبعها زميله بحلقة
أخرى ، تكملها فى نفس الاتجاه وفى صورة الكلام العرضى الذى
يجلب بعضه بعضا دون تحضير !

ودخلا فى الموضوع .

قال أحدهما :

- أنت تعلم طبعا تمام العلم أن هذه الثورة ليست ثورة الجيش ، وانما هي ثورة الشعب ٠٠٠ وكل مصرى حريص أشد الحرص على أن تصل هذه الثورة الى أهدافها كاملة ، فنحن بهذا مسئولون جميعا مسئولية متساوية نحو الثورة ٠٠

أمنت طبعا على هذا الدخول ٠٠٠ فاستطرد الضيف الوفدى نحو هدفه :

- ان الكتلة الشعبية لا تتمثل فى أية هيئة أو حزب فى هذا البلد ، الا فى الوفد ٠٠٠ والوفد هو التنظيم الوحيد الذى يستطيع أن يسند هذه الثورة لانه هو الذى مهد لها بل هو الذى بدأها فعلا ٠٠٠

وأوشك زميله أن يتم الكلام لولا أنى استوقفته لحظة اسأله فيها ، كيف بدأ الوفد هذه الثورة ، وكيف مهد لها ؟٠٠ فقد تكون معلوماتى عن قصة الثورة وقصة الوفد معلومات ناقصة ٠٠٠

قال الضيف الثانى :

- ألا تعلم أن هجوم الوفد فى الفترة الاخيرة على فاروق هو الذى شجع الجيش على أن يضرب ضربته ؟٠٠ وألا تعلم أنه كان متصلا بكم فعلا فى الجيش !؟

وقبل أن أحاول الاجابة ٠٠٠ سألنى ضيفى فى حماسة ٠٠

- كيف تولون على ماهر الحكم ، وهو الرجل الذى لا يستند الى الشعب ولا الى أى حزب من الاحزاب !؟

وأكمل صديقه قائلا :

– ان على ماهر رجل عاش طول حياته يدبر المؤامرات ، وانه فى سبيل أحقاده وكراهيته لبقية الاحزاب سينحرف بالسلطة وسيستغل هذه الثورة لنفسه ، ولن يظفر بايمان الشعب به فى يوم من الايام ٠٠٠

وكننت ساكتا ، لأعطى الفرصة للضيفين العزيزين ، فأكمل
الثانى :

– ان هذه الثورة لن تستطيع أن تسير أو تحقق شيئا ما لم تستند الى أكبر قوة سياسية فى البلد وهى الوفد ٠٠٠ ثم ان سراج الدين على أتم الاستعداد للتعاون معكم فى كل شيء ٠٠٠ وأنت نعرف أنه كان – وهو وزير للداخلية – يوعز لنا نحن الشباب الوفدى بالمظاهرات التى تهتف بسقوط فاروق ، فى نفس الوقت الذى كان فيه يتظاهر بالولاء للملك ٠٠٠ وتعرف أيضا أنه هو الذى كان يقود معركة القنال لولا أن الملك حرق القاهرة ، لانه تبين ما يدبره له سراج الدين !٠٠

ولم أكن أنا اسمع هذا الكلام لأول مرة فقد كان هذا الكلام شائعا فى البلاد ، وكان بعض الناس قد بدأ يؤمن به فعلا . ولكنى كنت انتظر النتيجة التى يريد الضيفان أن يصلوا اليها .

مقابلتى لسراج الدين

ولم تطل الجلسة أكثر من ساعة ونصف ٠٠٠ ولم تزد طلبات الصديقين عن طلب واحد فقط هو أن تتم مقابلة بينى وبين فؤاد سراج الدين كى نتفاهم .

ولم يكن هناك ما يمنع من هذه المقابلة .٠٠ وقد تمت فعلا .٠٠ فقابلت سراج الدين ، وقابل هو غيرى أيضا من الزملاء .٠٠

وكانت مقابلات مثيرة ... رأينا فيها أمورا كثيرة على حقيقتها
وفهمنا ما أراده الوفد بنا وبالثورة وبالبلاد كلها ..

وأكملنا بها قصة الوفد ...

ولكن الناس لا يزالون يجهلوننا ... بل يجهلها الوفديون
أنفسهم .

وكل الذي عرفه الناس في فجر هذه الثورة ، هو ما أشاعه
الوفديون من أنهم «أسياذ الموقف ، شاعت الثورة أو لم تشأ ! ،
وما دعموا به إشاعاتهم من قصص كثيرة وروايات محبوكة عن قيام
الثورة بالاتفاق مع الوفد .. وعن مستقبل الثورة الموضوع بين
أيدي رجال الوفد !

كانت اسطوانة واحدة ، يرددها سراج الدين كما يرددها
الضيفان اللذان أشرت إليهما ، وكما ردها كل من لهما بالوفد صلة
من الصلات .

وكنا نسمع هذا الحديث فلا نأبه به ، ونكتفى بالابتسام ..
فقد كنا نرى أمام أعيننا مأساة خلقية من مآسى العهد الماضي ، تريد
أن تتخذ لها مسرحا جديدا نشترك نحن في بنائه وإخراج
مسرحياته .

وكنا نبتسم أيضا ، لأن هؤلاء الذين كانوا يخاطبون الشعب
بوصفهم «أسياذ الموقف . شاعت الثورة أم لم تشأ» كانوا يتحدثون
الينا بلهجة أخرى ، بنفس اللهجة التي كانوا يتحدثون بها الى
فاروق ... وكانوا يهدفون من وراء هذه اللهجة الى هدف واحد ،
هو نفس هدفهم في أيام فاروق : الحكم .

الدستور عند الوفد

وكانوا في الوقت نفسه يعتقدون أنهم مناورون بارعون ،
أمام فئة من العسكريين يجهلون السياسة وفنونها .

وبدأ الوفد يفصح عن نفسه أكثر أو بدأ يفصح نواياه
بنفسه ... بصورة ظاهرة .

بدأ يلوح لنا بسلطات فاروق وأبهته وصولجانه وهي سلطات
تكفى اذا وزعت على اثني عشر رجلا ، أن تجعل منهم اثني عشر
ملكاً لا ينقص أحدهم شيء من مظاهر الملك وسطوته .

— واتركوا لنا بعد ذلك سياسة الحكم ، وكل مسئولية ..

ثم أردف في اغراء واضح :

— ونحن على أتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به .

وظلت هذه الجملة تتردد في أذني وقتنا طويلا ...

انها نفس الكلمة التي كانت تقال لفاروق من كل رجل يأتي
به ليحكم البلاد باسم الشعب .

انها الدستور الفعلي الذي جرى عليه حكم مصر ، منذ وجد
فيها دستور وبرلمان ... فقد كان دستور الشعب صفحات من
الورق ، تغطي بها النواحي الشكلية للحكم « الديمقراطية !! » في
البلاد ... أما الدستور القائم المعمول به ، فقد كان دستور
« الانحاء » كان الدستور يتلخص في هذه الجملة القذة « ونحن على
أتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به ! »

وهذا هو الدستور الذي أراده الوفد لهذه الثورة أيضا !

لماذا ثار الجيش

هل تغير شيء في نظر السياسيين ؟!

هل ثار الجيش من أجل هذا الشعب ؟!

هل ثار هذا الشعب من أجل حقوقه ورفاهيته ومستقبله ؟!

أبداً .. لم يحدث أى تغيير ... إلا أن شخص فاروق قد غاب ، ليظهر فى مكانه أشخاص رجال القيادة .. يقنعون بالمظهر البراق وصولاً للملك وسطوته .. ويتركون مسئولية الحكم لأسياء الموقف ، يسوسونه ، لا بما تشير به مصلحة هذا الشعب ، ولكن بما تشير به نحن .. أصحاب الصولجان الجديد .

انها سياسة الوفاق التى بدأها سراج الدين مع فاروق ، أراد أن يضطلع بها معنا نحن أيضاً .

ان رجال الوفد ، أسياء الموقف ، وأصحاب الاغلبية ، والمسيطرين على القاعدة الشعبية فى البلاد ، هم على أتم استعداد لأن يفعلوا باسم الشعب كل ما نطلبه نحن منهم ، على ألا نتحمل نحن أية مسئولية مباشرة ، وهم بهذه الصفات كلها كفيلون باقناع الشعب ، وتنفيذ رغباتنا .. نحن أصحاب الصولجان الجدد !!

انها سياسة « ذهب الملك تحيا القيادة ! » التى اعتقد السياسيون أنهم قادرون على طينا وفرض وصايتهم علينا .. والعودة الى استلاب مغام الحكم .. الذى لم يكن يعنى فى نظرهم الا الأسلاب والمغانم .

كانت البلاد فى واد وكان السياسيون الذين تزعموها جيلا كاملا فى واد آخر سحيق .

كانت البلاد تفكر فى أهدافها التى طال عليها انتظارها ...

كانت تفكر فى الوسائل العملية التى تخلصها من آلامها الطويلة وشقائها الكثير . . من الاستعمار الجاثم فوق صدرها . من آثار الملكية البغيضة فى ربوعها وفى نفوس أبنائها من الاقطاع الذى يهدد كيائها . . . ولكن الزعماء لم يكونوا يريدون أن يحسوا بشيء من كل هذا كانوا يريدون أن يعودوا الى كتم أنفاس هذا الشعب وتكبيله بأغلال العبودية والفقر والمذلة ، ليظلوا مسيطرين على مصيره متحكمين فى ثروته ناهبين أرزاقه وخيرات أرضه .

تفسير التخاذل

وكانت هذه الحقائق صدمة مروعة لنا نحن الذين أردنا فى يوم من الأيام أن نفرض الوفد على فاروق كجزء من خطة كبيرة درسناها فى وقتها بامعان واحكام . . وعندما تتخاذل الوفد عن تنفيذ دوره فى الخطة ، لم نحاول تفسير هذا التخاذل بأكثر من أنه . . خوف .

ولكنه لم يكن خوفاً ، وكان شيئاً آخر سيظهر جلياً عندما يطالع القارئ قصتنا مع الوفد !

ان قصة الثورة ، قد اتصلت فى فصول منها بالاخوان المسلمين . واتصلت فى فصول منها بالوفد . . .

وقال البعض ان الثورة قد أصبحت فى حضانة الوفد . .

وقلنا انها ثورة مصرية لمصر . . .

أما لماذا اتصلت بالوفد . . . ولماذا اتصلت بالاخوان . . . وكيف كانت هذه الاتصالات ، فهذا ما تتضمنه الفصول القادمة من هذا الكتاب .

فكرة العمر

- ♦ نار على جبل الشريف
- ♦ السلطان عبد الحميد في
منقباد
- ♦ أسود علينا عبيد للانجليز
- ♦ برقية من نشمبرلين
- ♦ رفضنا تسليم سلاحنا
للانجليز
- ♦ انقلاب عسكري في مرسى
مطروح

يظن كثير من الناس ان هذه الثورة ، دبر لها تشكيل من الضباط اثر حادث معين جمعهم هدف وتدبير . .

وفي أجواء الظنون ، تجد الاشاعات كثيرا من نقط الارتكاز .
تجد النقطة الأولى في حرب فلسطين . . بين أشلاء الضحايا وخيانات فاروق وعصابته .

وتجد النقطة الثانية ، في تحقيقات الأسلحة الفاسدة وتدخل الملك لحفظ الدعوى بالنسبة لحاشيته .

وتجد النقطة الثالثة ، في تصرفات قيادة الجيش وكبار ضباطه الذين وضعوا أنفسهم في أحذية فاروق .

ولقد كانت كل هذه الأحداث فعلا ، من الأحداث التي شغلت اهتمام الضباط الأحرار ، واستحثت خطاهم ولكن نشأة الثورة والتمهيد لها لم يستمد من حادث من الأحداث .

فقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية ، ونما التمهيد لها نموا طبيعيا لأنها كانت في كل مراحلها ، تفاعلا طبيعيا قويا بين ضمير جيش مصر ، وضمير شعب مصر .

متى نشأت اذن . . . واين نشأت ؟

لنرجع الى الوراء ...

الى عام ١٩٣٨

ولنذهب الى منقباد ... !

في هذه البيئة الخالصة ، حيث يشعر المصرى . بعناصر
العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه ..

وفي الشتاء ... حين يقسو الجو ، وتتمرد العواصف
فتزداد الروابط بين الأصدقاء ، يقاومون بها قسوة الطبيعة ،
وينتصرون بها على عواء الرياح .

هناك حول نار في معسكر المناورات بتيباب الشريف ، كنا
نقضى طرفا من كل ليلة .. أصدقاء كلهم صفار السن ، صفار
المناسب ، كبار الآمال وافرو الشباب .

ضباط لم تزد رتبة أحدهم عن الملازم ثان .. نتحرق طول
النهار في الجبل ، فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب .. !

وكانت في القلوب نار لا تنطفىء لأن وقودها يتجدد في كل
لحظة من احساساتنا الشابة المرهفة .. ومما يقع أمام أعيننا كل
يوم من الصباح الى المساء .

كانت آمالنا الكبيرة ، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير
من الأحداث ..

فقد كنا ضباطا صفارا ..

وكان لنا قواد ..

وكان هناك أيضا ... انجليز !

وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم الا اذلالنا .. والا الانحناء
امام الانجليز ..

وكنا نرى هذا الوضع الكريه ، فنسحق .. ونسحق ..
ولكننا لم نكن نستطيع ان نتكلم ..

وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل في داخل النظام العسكري
وفي تلك الأوضاع الرهيبة الا أن يسكت ، ويكظم الغيظ ، ويدفن
النار في حشاه ..

هكذا كانت أيامنا ..

ولكننا ليايلنا كانت تختلف اختلافا كبيرا .

ففي جو من الصداقة والألفة ، كنا نجلس فنمرح ، ونذيق
في هذا المرح ، شقاء اليوم الطويل ... شقاء الجسد ، وشقاء
النفس وشقاء الغربة في جبل بعيد ...

صديق .. وأصدقاء

ولاندري لماذا كان يتوسطنا دائما شاب رقيق وديع ، عامر
النفس بالصفاء لم يكبرنا سنا ، ولا رتبة ... فقد كنا جميعا أبناء
« دفعة » !

ولكنه كان الملتقى الذي جمع صداقتنا جميعا ... كنا نمرح
فنضحك عاليا ، ونسخر من كل شيء .. ولا ترحم السنننا أحدا ..
وأحيانا نغنى !

وكان يصنع كل مانصنع ، ولكنه كان مع ذلك أبضا ، يفكر
... يفكر بقلبه ، ويفكر بوعيه ... ولا نكاد ننطلق في المرح ، حتى
نجد موضوعا هادئا ... يثيره بيننا جمال عبد الناصر ...

وربما كان موضوعا شخصيا ، وربما كان موضوعا عاما ..
وربما كان ذكريات عابرة تمر به من حياته ، فلا يلبث أن يستنبط
منها فكرة أو رأيا ، يثير بيننا مناقشة طويلة ... هادئة ..

وكان جمال يطوى نفسه على كثير من الآلام الشخصية ..
آلام يذكرها منذ توفيت والدته وهو صغير ، فأثرت وفاتها في
حياته تأثيرا كبيرا ... لعل من أظهر عناصره شدة الحياء التي
طبعت حياته حتى اليوم ...

وكان الى حياته وهذوته ، يمثل الشخصية الكاملة لأبناء
الصعيد .. فهو كيف الحياة بمثله « الصعيدية » ، فتجده
وديعا رقيقا مليء الصدر بالحنين ، اذا لمست نفسه لمسة عاطفية
قد لا تحرك أحدا من الناس .. ولكنه ينقلب أسدا هصورا ، في
اللحظة التي يشعر فيها بأن أحدا ، فكر مجرد تفكير في الاعتداء
عليه .

كان هذا الصديق بيننا ، صورة حلوة للاخاء ، والصدقة
والاتزان ، والهدوء والكرامة .. فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا
جميعا فكانه في سكونه وهذوته وطابعه الخاص ، معنى مجسم حي
لكل المعاني والانفعالات التي يمكن استخلاصها ، من تفاعل العواطف
الانسانية المتضاربة ، في انسان ... قست عليه الحياة ..

وهكذا ... وحول هذا الرجل ، التامت مجموعة من
الضباط الصغار الاصدقاء .. لم يكن أحد يدرى انها ستكون نواة
لمجموعة أكبر وأكبر ، وان اجتماعها في تلك التباب البعيدة لن يكون
مجرد صدفة تمر . ويتشتت من بعدها شمل الاصدقاء وانما
سيكون البدء الحقيقي لجهد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير

السلطان عبد الحميد

وان كنا قد اخذنا حياة قوادنا الكبار في ذلك الوقت
بالسخرية العنيفة نطلقها في ساعات المرح فقد جاء اليوم الذي
لم تعد فيه السخرية تفنى عن آلامنا شيئا ..

فقد القي علينا القدر بقائد جديد للمنطقة لم يكده يصل اليها
حتى شعرنا بأن الذي وصل غاز من غزاة الترك !

كان يرى نفسه بيننا مثلما يرى السلطان عبد الحميد نفسه
بين معالم اسطنبول الأمر الناهي الفظ الذي لا يناقش ...

واصبحت الحياة كريهة منذ اللحظة التي وصل فيها اللواء
محمود سيف الى منقباد .

كان هذا اسمه .. ولكننا كنا نسميه السلطان عبد الحميد
لانه كان يفرض علينا تقاليد السلاطين .

وبدأنا نياس من خدمة الجيش . واعد بعضنا استقالته فعلا
من هذا الجيش الذي يضم بين قواده .. السلطان عبد الحميد !

ولكننا نرى صبر جمال فنعجب .. ونرى هدوءه وصموده
لهذا الذل الطويل فتسكن نفوسنا ، فقد كان جمال يعيش بأمل
لم نحلم نحن به في تلك الفترة السحيقة من حياتنا في منقباد ..

واشتدت الصلات بين كل منا ، وبين المجموعة الكاملة ..
حتى أصبح كل منا يفكر بعقلية الكل وأصبح من حق كل منا أن
يتصرف باسم الجماعة وأصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم
قيدا جديدا لتصرفاتنا ، لأن كل عمل يأتيه فرد منها سينسب الى
الجماعة شاعت أو لم تشأ .. علمت بالأمر أو لم تعلم .. !

وانى لأذكر تلك الأيام والليالي ، أذكر مرحنا وآلامنا وأيام

صداقتنا الجميلة الأولى .. والسلطان عبد الحميد الذي أراد أن يذل رقابنا ، كما ذل رقبتة لصغار الانجليز ، وراح يتجول في صورة شرسة مضحكة مبكية معا في منقباد .

جملة من جمال

اذكر كل هذا ، واذكر اننا في خلال تلك الفترة الحاملة من حياة الشباب .. بدانا نفكر ذات ليلة .. وقال جمال :

انهم الانجليز أصل بلائنا كله ..

وكانت مفتاح تفكير طويل .. لم يلبث أن أصبح خطى عملية متتابعة .. كنا جميعا نعلم ان الانجليز هم أصل بلائنا كله .. وكنا جميعا نكره الانجليز .. ولكن هذه الكلمة قالها جمال ، وكأنه يحدد لنا رسالة كبرى ، لا ينبغي أن يتخلى عنها أحد .

وشهدت تباب الشريف ، والنار الموقدة عليها عهدا مقدسا . ربط مجموعة صغيرة من الشناب الصغار .

لم يربطهم بعمل معين ، ولا بزمن محدد ، ولكن يربطهم .. بفكرة الحياة .

.. خلايا

وبدانا نجمع حولنا انصارا لفكرة الحياة ، كل منا يختبر عددا من الضباط الآخرين .. ويكون في محيطه خلية صغيرة يشير فيها هذه الفكرة ، ويرى مدى استعدادها للعمل يوم يأتي وقت العمل ..

وبدانا نخطو الخطوة الاولى فنحسب لها حسابا ونلقى الكلمة فنفكر قبل القاها مرتين ..

بدأنا ننزع من أعماقنا زهو الشباب ، ونحل فيها الشعور
بالمسؤولية والاقتصاد في الامل .

لقد قتل جمال فينا المرح ، وكنا في شرخ الشباب !
وجاء الدرس الاول الذي أفدناه بعد ذلك فأصبح درس
حياتنا ..

فقد مرت أيام قليلة .. كنا فيها لانزال في فترة تكويننا
الاولى ..

واذا بالشئ الذي نسيناه جميعا يقع .. وكنا خليقين
بتوقيعه .

فان ضابط الجيش لا يستقر في مكان واحد طويلا .. وان
هي اللحظة مفاجئة ، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا . واحد في
الاسكندرية ، والثاني في طنطا ، والثالث في القاهرة ، والرابع في
مرسى مطروح ..

وكانت الحرب اذ ذاك قد بدأت ، والأعصاب توترت . ورأينا
حلمنا الكبير يذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندى عالقة
بزهرة أو تذوب في شعاع الصباح .
وافترقنا ..

ولكن الحلم لم يذب .. والفرقة لم تستطع أن تكون حاجزا
بين هذه المجموعة في أقسى الظروف التي حلت بها .

وفهمنا مع الأيام هذا الدرس وهو أن الصداقة القوية عندما
تقوم على نقاء وطهر وعندما تتركز أيضا حول فكرة فانها قادرة
على الحياة مهما فرقت الحياة بين الأصدقاء . بل هي أكثر من
ذلك تستطيع وحدها صنع المعجزات .

والذى وقع بعد تلك الايام ، هو الاثر القوى لهذه الصداقة
النقية التى ربطتنا .. فقد فرقت بيننا الظروف كثيرا ، وجمعت
بيننا بعد ذلك كثيرا ..

وكنا اذ نفترق لا تفارقنا الفكرة ولا عهد الجماعة . وكل
ما هناك أن أحذنا كان يجسد الفرصة للعمل ، فيعمل .. يعمل
مستقلا بارادته فى ظاهر الامر ، ولكنه فى حقيقته يكون مقيدا
بارادة الجماعة المتمثلة فى فكرتها الكبيرة .. وعهدها المقدس .

وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الاوقات كما اختفى
اسم جمال عبد الناصر عامين كاملين ، بين ديسمبر ١٩٣٩
وديسمبر ١٩٤١ . اذ كان فى هذه الفترة قد نقل الى السودان .

ولكن الذى كان يبقى فى ميدان العمل .. كان يعمل ..
يعمل بارادته ولكن باسم هذه الجماعة وفكرتها الاصلية ، ويعمل
بارادته ولكنه يرجع الى من يستطيع الرجوع اليه من جماعتنا .
فى كل فرصة تواتيه لذلك ..

ولم تعد الايام تمر هينة ولا رفيقة فقد بدأت أحداث كثيرة
تقع .. بدأت بالحادث الاول عام ١٩٤٠ .. وكان ميدانه ميدان
القتال فى مرسى مطروح .

كنا قد نقلنا جميعا من منقباد . وتفرقت جماعتنا بين وحدات
الجيش فى مختلف أنحاء البلاد .. وبين السودان العزيز ..

وقد كان السودان من نصيب جمال عبد الناصر فقد نقل
من منقباد الى امبابه .. وبعد شهر واحد نقل الى العلمين ،
وقضى هناك اربعة شهور ، ثم نقل مرة اخرى الى ابن زعبل ، ومنها
الى السودان ..

وفي فترة تنقلات جمال جمع على الفكرة عددا آخر من الضباط ..

وكنا نحن أيضا نصنع مثل هذا ..

ولم تكن نعرف على وجه التحديد ماذا سوف نعمل . لقد كان هدفنا أن نقوم بدورنا في تخليص البلاد من جنود الانجليز . ولم تكن الفرصة لذلك تسنح أثناء الحرب ، وقد سيطر الانجليز على كل مرفق من مرفقنا .. واحتلوا جميع قواعدنا وطرق مواصلاتنا .. بل لقد كنا نحارب الى جانبهم أيضا ..

وسنحت اول فرصة لنا في مرسى مطروح .. ولكنها كانت فرصة مفاجئة لم نستطع أن نحقق منها هدفا كبيرا .. واستطاعت هي ان تكشف للانجليز عن وجود اتجاه عملي ضدهم في جيش مصر ..

كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من أرضنا العزيزة .. فقد بدأت جيوش ايطاليا تغزو منطقة مرسى مطروح ..

وكان الدفاع عن هذه المنطقة منقسما بين ثلاثة قطاعات :

قطاعين بريين ، يحتلها الجيش المصرى . وقطاع بحرى يدافع عنه الانجليز .. كنا نحارب .. رغم أن مصر لم تكن قد أعلنت الحرب .

وكانت سياط العذاب التى تلفعنا نحن الجنود والضباط ، تتلاحق علينا مع الليل والنهار ومع الاحداث المتعاقبة التى تمر بها البلاد ..

كان موقف مصر من هذه الحرب موقفا مائعا .. ولم يكن من السهل تحديده فى صورة مفهومة واضحة .

وكان من المؤكد أن هذا الموقف ان تحدد ، فلن تكون مصر
هى التى تحدده على التأكيد ..

ويلات الحرب

كانت سياسة مصر التى أعلنها رئيس حكومتها عند اعلان
الحرب هى سياسة «تجنب مصر ويلات الحرب»

ولم تكن مصر تستطيع أن ترسم لنفسها سياسة أوضح من
هذه أو أكثر حسما وتحديدا .. فقد كانت هناك المعاهدة ..
وكانت جنود الاحتلال تملأ بلادنا ، وطائراتهم تجثم على صدور
مطاراتنا وتنطلق منها الى الميادين القريبة الخافلة بالموت ..
ودباباتهم تختال فى شوارعنا ومن فوقها جنود حمر الوجوه ..
ومخازن ذخيرتهم ترصع أرجاء الوادى بالبارود والقنابل وأسلحة
الدمار .. وكانت أرضنا فوق ذلك حقلا كبيرا يشرب حبات
العرق من جباه آبائنا واخوتنا ليخرجها قمحا للغاصبين ..

وكان موقفنا نحن ضباط الجيش وجنوده ، هو الموقف
الضئيل .. فسياسة « تجنب مصر ويلات الحرب » لم يكن
معناها اننا لن نحارب فعلا .. وكان الذى يشقينا هو أن نسأل
انفسنا : نحارب من أجل من ؟!

فهل كانت سياسة « تجنب مصر ويلات الحرب » تحمل
هذا المعنى واضحا وترسم خطته كاملة الى نهايتها !

لقد كانت تشير الى شيء ، أو ترنو الى أمل .. وهذا الشيء
وهذا الامل هو الذى فهمته مصر منها .. وفهمه الانجليز ايضا ..
فهمته مصر ، فحاولت أن تستبشر به وفهمه الانجليز فأبرق
وزير خارجيتهم لورد هاليفاكس الى سفير انجلترا « كيلرن »
ببرقية قصيرة حاسمة :

أى : يجب أن تستقيل حكومة على ماهر ..

وكانت هذه البرقية كأنها القضاء الذى لايرد .. فاستقالت
فعلا حكومة على ماهر ، لأنها أشارت بسياستها الى شيء ورنث
الى أمل ، وفهم الانجليز الشيء والامل !

لم يكن أمر مصر اذن فى يدها ، بل كان فى أيدي الانجليز ..
وكنا ننظر الى المستقبل على هذا الوجه ، فلا يلبث أن يترد الى
الماضى .. الى الحرب العالمية الاولى التى سبقت فيها مواكب
آبائنا مسخرين الى ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا فى
أحشائها ، ويحملون الروث ليدفنوا تحت أكوامه ، ويلقون
العرق ليوفروا كتوس الشراپ للانجليز !

مخاوف وحراب

ويجلب الماضى صور بعضه بعضا ، فلا يشير الى بارقة أمل
فى مستقبل البلاد تحت هذه الأوضاع .

يجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشعب عام ١٩١٩
فأطفاها زعماءه يوم وصلوا الى الحكم وأصبحوا أحزابا .. مطايا
للانجليز ..

وتجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشباب عام
١٩٣٥ . ليجمع الأحزاب فى حزب واحد لمصر ، فاجتمعت الأحزاب
فى حزب واحد ليوقع معاهدة الصداقة والتحالف مع الانجليز !
ويجلب صور شقاء كثيرة ! فقر ، وعرى ، وانقسامات
وتضحيات ودماء .. يتحالف فوق أنقاضها الزعماء والانجليز !
وما تغير الزعماء !

ولا خرج الانجليز ..

ولكن قامت الحرب .. وبدأت بوادر شقاء جديد .

ماض كله حشرات ، ومستقبل كله مخاوف ، وحرب قائمة
لا بد أن نصلها ، حتى في ظل « سياسة تجنيس مصر ويلات
الحرب » .

وفجأة علمنا أن أوامر من قيادتنا ستصدر لنا .. وعلمنا
هذه الاوامر ايضا .

وكانت هذه الاوامر ، تقضى بأن تنسحب الفرقتان المصريتان
اللتان تقومان بالدفاع فى القطاعين البريين لتحتلها قوات بريطانية
حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن النقطة كلها .

والى هنا كانت الاوامر بسيطة يمكن قبولها ، ولكن الشق
الاخير فيها كان يقضى بأن نترك سلاحنا ، ونسلمه للقوات
البريطانية التى ستحتل القطاعين .

وهاج الضباط وماجوا ..

وتخرج الامر جدا ..

وصممنا على الا نترك سلاحنا . ولو اقتضى ذلك ان نموت
عن آخرنا ..

وكنت اجد فى هذا الاجراء فرصة مناسبة ، لتجعل من
« فكرة الحياة » حقيقة مجسمة ، يشارك فى حمل أعبائها الجيش
كله ، والشعب كله أيضا .

وكنيت أعتقد أن أى احتكاك منا بالانجليز سيقفز بفكرة الحياة
مائة عام الى الامام ..

خطة لم تنفذ

وبدأنا نضع خطة كان من زملائنا فيها البكباشى احمد حسن
وجميع الضباط الصغار حتى رتبة يوزباشى بلا استثناء .

كانت قوتنا هناك قوة مختلطة ، تسمى «القوة الحقيقية» . .

وكانت تتكون من خلاصة الجيش المصرى ، تضم زهرة
سلاح المدفعية وبقية الاسلحة الاخرى . .

فوضعنا خطتنا على أساس أن تعود هذه القوات ، فتحتل
وهى فى طريقها الى القاهرة كل المرافق العامة ، ثم تفرض حكومة
على ماهر مرة اخرى ، بعد استقالته المعروفة المدوية . .

كنا اذ ذاك فى شسهر سبتمبر ، وكان على ماهر قد استقال
فى شهر يوليو ، وكان الشعور القومى ضد الانجليز قد بلغ أقصى
مداه فى البلاد .

وصدرت الاوامر لنا فعلا بالانسحاب وبترك اسلحتنا . .
فرفضنا ترك السلاح وتقدمنا الى القاهرة .

ولاكثر من سبب تبين لنا أن تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا
علينا . . فقد أدركنا على أساس تقدير الموقف ، اننا لن نستطيع
أن ننجح فيها الى نهايتها . .

فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة . . واعتبرنا هذا نصرا
كافيا لنا فى مرحلة جهادنا الاولى .

وعلى الرغم من كل الأحاديث التى دارت بشأن هذه الخطة
والتمهيدات التى كنا قد بدأنا نقوم فعلا بها ، فان الانجليز لم
يكشفوا منها أى شئ . . ولكنهم فى الوقت نفسه أدركوا سيطرة

روح العداء لهم على ضباط الجيش الصغار .. وأيقنوا أن هذه الروح قد تلعب دورا اخطر من ذلك الدور في يوم قريب .

وبدأنا نحن نصبح هدفا لعيون الانجليز حيثما كنا .. في القاهرة او في اى سلاح من أسلحة الجيش ننقل اليه ..

والكسب الاكبر الذى كسبناه من هذه الحادثة ، هو عودتنا الى القاهرة ، فقد جمعتنى القاهرة فورا بجميع أصدقاء منقباد .. ماعدا جمال الذى كان لايزال في السودان ..

وفي القاهرة بدأت اجتماعاتنا تتوالى وتتركز .. وأخذنا نفكر في شيء نقوم به على أساس من الدراسة الكاملة ، وبحيث يكون توقيته الكامل في أيدينا نحن لا في أيدي الظروف وحدها .

وكان في خيالنا رجلاان .. نريد أن نتصل بهما ، وأن نشاركهما معنا في عملنا الكبير ..

على ماهر .. صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية .

وعزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وهو الرجل الذى وقع اختيارنا عليه عندئذ ، لكى يقود ثورتنا .

وحاولنا أن نتصل بعلى ماهر ، فلم نستطع ..

وحاولنا أن نتصل بعزيز المصرى ، فاستطعنا .. ولكننا

اتصلنا في طريقنا اليه . بالاخوان المسلمين أيضا .. !

مُصَادَفَةٌ وَرَجُلَانِ

- ♦ الرجل ذو العباءة الحمراء ..
- ♦ اجازة اجبارية العزيز المصرى
- ♦ لواءات يخونون جيش مصر
- ♦ اذهب الى هناك واقطع
- تذكرة ..

الزمن : ليلة مولد الرسول من عام ١٩٤٠

والمكان : سلاح الاشارة فى المعادى

وكنيت اذ ذاك ضابطا برتبة ملازم فى هذا السلاح ..

ومولد الرسول فى مصر ، موسم من مواسمها ، يعرف
الأطفال فيه عرائس الحلوى ، والأحصنة الصغيرة الملونة يركبها
فرسان العرب .. وتعرف فيه البيوت والدواوين والمجالس
النيابية ودوائر السياسة وقصور الاغنياء ، الحلوى الحمصية
والسمسمية .. ثم .. لاشئ بعد ذلك !..

وعلى هذا الوجه مرت بمصر هذه الليلة ، كما مرت بها
دائما .. ولكنها لم تمر بى كذلك ، فقد كانت ، من حيث لأدرى ،
ليلة البدء لأحداث كثيرة متتابة . سمع المصريون أطرافا متهسا ،
بعضها كان خافتا كالهمس ، وبعضها مدويا .. كالقنابل والمتفجرات

كنا جلوسا فى احدى غرف السلاح ، نتناول العشاء ونتكلم .

وكان جنود هذا السلاح ، وأغلبهم بطبيعة عملهم فى سلاح
الاشارة فنيون متطوعون ، قد اعتادوا منى كثيرا أن أحاضرهم ،
واعتادوا منى دائما أن أتناول طعامى معهم ، وأن أحدثهم بصراحة
وأن يحدثونى بمثلها ..

كنا في أثناء استراحتنا وطعامنا ، اخوانا مصريين لا ضابطا
وجنودا ..

ودخل علينا ونحن جلوس للعشاء في ليلة مولد النبی جندي
من جنود السلاح الفنين ، لم يكن موجودا بيننا منذ بدء هذه
الجلسة ، وقدم الينا صديقا له يلتحف بعباءة حمراء لا تكاد تظهر
منه شيئا كثيرا .

لم اكن اعرف هذا الرجل الى ذلك اليوم ، ولم يثر دخوله
ولا ملبسه اهتمامي ، ولم يلفت نظري .. وكل ما هنالك اني
صافحته ورحبت به ، ودعوته الى تناول العشاء معنا ، فجلس
وتناول العشاء ..

وفرغنا من الطعام ، ولم اعرف عن الضيف شيئا الا بشاشة
في وجهه ورقة في حديثه وتواضعا في مظهره .

ولكنني عرفت بعد ذلك عنه شيئا كثيرا ..

فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثا طويلا عن ذكرى مولد
الرسول .. كان هو اللقاء الحقيقي الاول بيني وبين هذه الذكرى ..
الذكرى ..

كان في سمات هذا الرجل ، كثير مما يتسم به رجال الدين
عباءته ، ولحيته ، وتناولوه شيئا من الدين بالحديث ... فليس
حديثه هو وعظ المثدين ..

ليس الكلام المرتب ، ولا العبارات المنمقة ، ولا الحشو الكثير
ولا الاستشهاد المطروق ، ولا التزمّت في الفكرة ، ولا ادعاء العمق ،
ولا ضحالة الهدف ، ولا احالة الى التواريخ والسير والاخبار ...
كان حديثه شيئا جديدا ..

كان حديث رجل يدخل الى موضوعه من زوايا بسيطة
ويتجه الى هدفه من طريق واضح .. ويصل اليه بسهولة
أخاذة ...

وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد
الاخوان المسلمين ..

الموعد الاول

وانتحي الرجل بي ناحية ، وتجاذب معي حديثا قصيرا
انهاه بدعوتي الى زيارته في دار جمعية الاخوان المسلمين قبل
حديث الثلاثاء ..

وذهبت يوم الثلاثاء ..

ولم اكذ أضع قدمي في مدخل الدار ، حتى شعرت بكثير من
الرغبة ، وكثير من الغموض ..

دخلت من حجرة كبيرة جدا ، من هذه الحجرات التي عرفت
بها الابنية المصرية القديمة ..

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لأنفذ من باب صغير ..

ونفذت من هذا الباب ، لالقي أمامي شيئا كالحجرة ، أو
شيئا كالممر بين حجرات ..

وانما كان مكتبة ..

كان صفوفا طويلة من الأرفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط ،
وقد صف عليها مئات كثيرة من الكتب ملأت جو المكان برائحة
الورق المخزون

وعلى بعد كبير في آخر هذا الممر .. كانت هناك عينان فقط

ترسلان يريقا قويا ، هما كل ما يظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه .. مرشد الاخوان ..

وتحدثت مع الرجل طويلا في ذلك اليوم ..

ولكنه لم يفتح لى كل نفسه ..

تحدث معى كثيرا .. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين ابدا

وحصر نفسه فى هذه الدائرة ، ولكنه جعل يتسع بحيطها شيئا فشيئا حتى أصبحت أفقا كبيرا مليئا بالمعاني ..

وبرغم كل المحاولات التى بذلتها فقد فشلت ..

ورغم كل ما تطرق اليه الحديث من شئون الجيش ، فقد ظل الرجل ملتزما ناحية الدين ، واهمال الناس له وزسالة الايمان التى يجب أن يركز عليها جهادنا ، ووجوب نشر هذه الرسالة نى صفوف الجيش ..

وتكررت زيارتى بعد ذلك للرجل .

وبدأنا نتحدث فى كثير من الشئون العامة .. وبدأت ، أوقن ان الرجل يطوى صدره فعلا على مشايع كبيرة وخطيرة ... لا يريد أن يفصح عنها .. كما ايقن الرجل ايضا انى لا أنتوى الانضمام الى جمعيته ، ولعله شعر أو أدرك أنى أعمل شيئا ، وانى لست أعمله وحدى ..

ولم يرد الرجل أن يعرض على الانضمام الى جمعيته ، كما أنه لم يحاول أن يسألنى عن أية صلة لى بالآخرين ، ولكننى فهمت انه كان يدرك أشياء كثيرة من الحقيقة فى مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام ..

وفى يوم تقابلت معه ، وكنت نائرا مكتئبا تملأنى المرارة
والآلم ...

فقد صدرت الأوامر فى ذلك اليوم باعطاء الفريق عزيز
المصرى أجازة اجبارية من رئاسة أركان حرب الجيش ...

وكان معلوما لنا أن وراء هذه الفعلة ايدى الانجليز ...
وكان مجرد العلم بهذا كافيا لاثارة نفوسنا ، ودفعنا الى اى
عمل قد يراه الكثيرون - فى مثل ظروفنا - من اعمال الجنون !

لواءات يخونون الجيش

فقد كنا نعرف ما أراد عزيز المصرى لجيش مصر من قوة
ومنة ...

وكنا قد بدأنا ننتعش بالنهضة الفعلية التى يعثها الرجل
فى الجيش ...

وكنا نسمع كثيرا من القصص التى تروى عن محاولات عزيز
المصرى الاصلاحية ، والمشاكل والعقبات التى توضع امامه ،
والاحاييل والشراك التى تنصب له ، والتى عرفت بعد ذلك للاسف
الشديد - ان الذى كان ينصبها له هم كبار ضباط الجيش المصرى
نفسه !

وكنا قد تحققنا من الشرك الاخير ، شرك الخيانة الحقيقية
تقع من ضباط كبار ...

فقد جمع الفريق عزيز المصرى لواءات الجيش ليسألهم عن
مدى حاجتهم فى اسلحتهم الى جهود البعثة الانجليزية ، ومدى
ما حققت هذه البعثة فعلا من الاصلاح .

وكان الجيش كله - ما عدا هذه الفئة - يتمنى اليوم الذى
تزول فيه وصمة البعثة الانجليزية من وحداته واسلحته .

وتكلم عزيز المصرى مع الضباط الكبار كلام مصرى لمصريين
وكلام قائد لضباطه ..

ولكنهم خرجوا من هذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا
ولا ليسكتوا ... ولكن لكى يذهبوا الى السادة الانجليز ويقصوا
عليهم حديث قائدهم ..

وعادوا اليه فرادى ...

عاد كل منهم ، وطلب مقابلته لكى ينهش فى لحم الآخرين .

اجازة اجبارية لعزيز

ولعل كلا منهم كان يرمى من وراء ذلك الى الظهور أمام
الرجل بمظهر الوطنى ، نفيًا للشبهة عن نفسه ، والصاقا بها فى
الآخرين ، اذا حدث أن وقعت الواقعة وعلم الرجل حديث
الخيانة ..

ولكن عزيز المصرى ، فهم كل شئ ، وادرك انه بين جماعة
من اللوآت لايفضل واحد منهم أخاه الا فى خسة النفس وبطلان
الضمير ..

ولم تكن خيانة اللوآت هى كل ما أحاط بعزيز المصرى من
الشراك ..

فقد كان الانجليز أحرص من ألا يرصدوا عليه كل حركة من
حركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة أن يملأوا وظائف مكتبه
بجماعة من الضباط الشبان الحاصلين على شهادات دراسية

عليها ، والحاصلين على شهادة انجليزية فذة في نوعها هي شهادة
التخصص في أعمال التجسس اللاتجيز (١) ..

كل هذا كنا قد بدأنا نسمع عنه ..

وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك ..

وجاءت الاجازة الاجبارية لعزير المصرى كناقوس كبير يدوى
في آذاننا لى نبدا العمل ..

وطال الحديث عن عزير المصرى ، ولاح منى شدة اهتمامى
بهذا الموضوع ، وابدت رغبة شديدة فى ضرورة لقاء هذا الرجل
الذى كان موقفه محور تفكيرنا ...

وهنا شعرت بأن المقابلة قد آذنت على الانتهاء ، حين قدم
الى المرحوم حسن البنا وريقة ...

وأخذت الريقة اقرؤها بشغف شديد .. بينما قال لى حسن
البنا ، والابتسامة على شفته :

— واقطع تذكرة عند الدخول كما يفعل الداخلون .. :

وخرجت من دار الاخوان المسلمين .. أخطو خطواتى الأولى
الى مستقبل ... مجهول ...

(١) نؤكد أن سليمان محمود الذى شغل — فى وقت من الاوقات — منصب مدير
مكتب عزير المصرى ، لم يكن مطلقا من بين من شملتهم هذه الاشارة .

عزیز المصّری . يَتَمَّ بَدَسِ السَّمِّ لِئَا زِلَى

- فاروق ينام في لندن بلايس
السهرة
- ماذا ينتظرون من الشيوخ؟
- احمد حسنين وعمر فتحى
تأمرا على فاروق
- لابد من انقلاب على أيدي
العسكريين

قال لي المرحوم حسن البنا اني سألتقي في اليوم التالي
بالفريق عزيز المضرى •

• وحدد لي موعد اللقاء ومكانه •

وكنت أعلم أن مقابلتى له في ذلك الوقت قد تشير كثيرا من
الشكوك والشبهات •

فعلى الرغم من الطمأنينة التى كانت تبدو على وجه المرحوم
البنا وهو يحدد ذلك الموعد ، فقد كنت أنا على يقين من أن مخاطر
انجلترا لن تكون نائمة فى ذلك الموعد المضروب •

وكان على أن أرجع الى تشكيل الاحرار قبل المواجهة ، وكان
على أن أعود اليهم بعد المواجهة •

فلا بد اذن من الحذر •• ان أى شك يحوم حولى قد يذهب
بتشكيل الاحرار كله ••

كنت أشعر فى كل خطوة أخطوها الى حى السيدة زينب بأننى
أخطو خطواتى الى بدء مستقبل حافل مجهول ، لابد أن تقع فيه
أحداث جسام •

كنت أعرف انى ذاهب لأضع قدمى على أول الطريق ، ولكننى
لم أكن أستطيع أن أتخيل الى اين سوف تقودنى قدمائى ، أو الى أى
مكان سوف يعطى به الطريق •

ولم أكن كذلك قد فكرت فى شىء من كل هذا . فلم يزد الامر
عندى عن انى ذاهب الى لقاء عزيز المصرى ، وأن هذا اللقاء لابد
محدث أثرا .

واتجهت الى العنوان الذى كتبته لى المرحوم حسن البنا قبل
ذلك بيوم . . ونظرت الى فوق فقرأت الالفة الموضوعية على عيادة
الطبيب « الدكتور ابراهيم حسن » .

وصعدت الدرج بخطى ثابتة ، ثم تذكرت انى « مريض » أو
لابد أن أكون « مريضا » فربما كان البيت مراقبا ، بل من المؤكد
أنه مراقب ، اذ كانت المخابرات البريطانية قد علمت بوجود عزيز
المصرى فى داخله .

ولأول مرة قمت بدور تمثيلي صغير . . فصعدت الدرج فى
تثاقل ، ولهتت بأنفاسى مرتين !

وطرقت الباب وطلبت مقابلة الطبيب ، واعطيت خادم العيادة
أجر الزيارة ، وأخذت منه تذكرة !

وبعد قليل دعانى الخادم الى غرفة الطبيب . . ورأيت لأول
مرة وكيل جمعية الاخوان المسلمين . .

ولم يكن غريبا أن الدكتور ابراهيم حسن ينتظرنى . . فقد
أخذنى من فورى الى مكتب ملحق بحجرة الكشف وأدخلنى اليه .

وفى هذه الغرفة ، كان عزيز المصرى فى انتظارى . .

ماذا تنتظرون ؟!

كنت بحاجة أن أقدم نفسى للفريق الذى آمنت بوطنيته . .
وكنت أريد أن أقول له كلاما كثيرا ، وأن أكسب ثقته .
لكن برغم كل شىء . . برغم الطريقة التى تم بها اللقاء بينى

وبينه ، كنت أشعر أن فى قلب الرجل ندوبا عميقة من خيانة
الاصدقاء ، الكبار والشبان على السواء .

ولكن النفس الصافية ، أثبت أن تحملنى هذه المشقة ..

وفى الدقائق الاولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رقيق
الجهاد .. كان يائسا من الحكومات ، يائسا من الاحزاب ، يائسا
من الملك ، يائسا من البرلمان ، ولكنه كان مؤمنا بالشباب ..
وقال لى :

— عيب هذا البلد أنه ضعيف ، وأنه لا يجد العناصر التى
تغذيه بالقوة ..
وسأله :

— وكيف نأتى بهذه القوة ؟ ..

فنظر الى وقال :

— انتم شباب الجيش .. ماذا تنتظرون ، ومتى تعرفون
مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدءون فى الاضطلاع بها ؟
وعدت أسأله :

— وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القائمة نستطيع اليوم
شيئا ..
فأجاب وقد انتفض :

— تستطيعون كل شيء .. وغيركم لا يستطيع شيئا .. ماذا
تنتظرون ؟ .. تنتظرون توجيهها منى ، من لواءاتكم ، من حكام
البلاد ؟ ..

وسكت وهو يتمتم : « كلام فارغ ! .. »
ثم نظر الى فى عزيمة شابة ، وقال :

— لقد كان نابليون في السابعة والعشرين من عمره فقط ..
كان مثلك هكذا شابا صغيرا .. ولكنه استطاع ان يكون في تلك
السن المبكرة نابليون القائد . واستطاع ان يقود بلاده وجيشه ،
ولم يكن يتلقى توجيهها من احد ..

وبعد لحظات قال في عمق :

— التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه في كل
خطواته ، هو الايمان الذى كان ينبعث من نفسه .. فابحثوا عن
الايمان ولا تعتمدوا أبدا على أحد .. الا على انفسكم ..

الايمان *** والتسليم

وكان لكلمة الايمان في نفسى رنين خاص عميق .. فقد كنت
أنا أيضا أبحث عن الايمان ، وأؤمن في الوقت نفسه بأنه المخرج
الوحيد لنا من الخيرة التي كان المصريون جميعا يعيشون فيها فلا
يكادون يقدمون حتى يحجموا .. تئسهم الحشرات ، وترعبهم
المخاوف .

وبوغم هذا ، فقد قلت له :

— لقد عشت أنت مؤمنا بهدفك ، وعشت لا تعتمد على أحد
وتغليت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد أن نجعل .

فقاطعنى بقوله :

— اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم ...
والتي يستطيع ان يقضى عزيز المصرى عن توجيهه الملك والذي
يستطيع أن يقضيه عن توجيه الجيش ، لا يستطيع أن يقضى شباب
الجيش عنه . -

حتى بدأ الفساد ؟

وكان كلاما منطقيا حكيما .. وكان مع ذلك إشارة الى سلسلة الدسائس التي تعرض لها عزيز المصري . قيل هذه المرة .. فسألته :

- اذن فقد بدأت الدسائس من زمن ..

فقال :

- نعم ، منذ كنت في انجلترا أشرف على تربية فاروق ..

وتنهى بمرارة وهو يقول :

- كنت أحب أن تحسن تربيته ، لانه شاب ، سواء كنت أنا الذى أربيه أو غيرى .. ولكن يد الخيانة والدسائس امتدت اليه .. وكانت أقرب الى قلبه من يدي ..

وسألته :

- أتقصد أحمد حسنين ؟

فقال :

- أحمد حسنين ، وعمر فتوى .. هذان الاثنان قاما على فاروق .. فقاما على شعب مصر فى شخص ملكه ..

وبعد قليل عاد ليتكلم :

- هل تتصور انى كنت ادخل غرفته صياحا ، فأجده نائما بملابس السهرة .. والخمر تفوح من فمه ؟ !

هذا الشاب الذى كنت أريد له الصلاح والتقوى والوطنية كانا هما يريدان له الفساد والتهتك والاستهتار .. كانا يقودانه

الى دور الفساد ، فلا يعود الا فى الرابعة صباحا ، ويعود
مخمورا .. فينام .. ويلقى بنفسه القاء على أقرب مقعد .. أو
وسادة ..

وكنت أحاول أن انهاء عن ذلك فيخجل .. ولكنهما ينفردان
به من بعدى ، فيزيلان كل أثر لنصائحي ..
وتهمل قليلا .. ثم أردف :

فاروق يكره أباه !

– هل تريد أن تعرف سرا خطيرا ؟

ولم ينتظر منى اجابة فقال :

– لقد ألقى هذان الاثنان فى وهم فاروق انى مدسوس عليه .
من أبيه ..
قلت :

– أبوه ؟!

قال :

– نعم ... فان فاروقا كان يبغض أباه أشد البغض ...
يبغضه من كل قلبه ... وكان يقدر أمه تقديسا شديدا ...
فألقى هؤلاء فى وهمه انى أنا عزيز المصرى أشنع الاقاريل عن
أمه ، وانى أريد أن أزيلها من الوجود لكى ينفرد أبوه بحبه ..
وانى أعمل الآن على دس السم لها ..

وسألته :

– وعرفت انت كل ذلك ؟

فأجاب :

- نعم عرفته .. عرفته يوم أرسل فاروق الى أبيه خطابا
باكيا يهدده فيه ان لم يسحبني فورا من مهمتي ..
وبعد هنيهة قال :

- وقد سحبني أبوه فعلا .. وتركه لهذين المفسدين ..
يفسدانه على نفسه ، ويفسدانه أيضا على وطنه ..

ثم تلاحقت الدسائس ، والمؤامرات لتقصيني عن كل مكان
أستطيع فيه أن أوجه الشباب ، لأن فاروقا يعرف كيف أوجه أنا
الشباب ..

لابد من انقلاب

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبني البكاء ..
ولكنه عاد الى طبيعته الواقعة .. وقال لي :

- ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين ، فاني على استعداد
اليوم ان احمل طبنجتي ، وأتقدمكم لأى عمل لانقاذ البلد ...

وعندما هممت بالانصراف ، شعر عزيز المصرى بالمسئولية
التي وضعها فوق كتفى .. فقال مؤكدا :

- لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب على ايدي العسكريين ..

ونظر فى عيني طويلا ، وأنا أصافحه .. ولم يقل بعد ذلك
شيئا ..

ولكنى عندما خرجت من عنده ، كانت رسالتنا قد تحددت ،
كهدف بعيد نستطيع أن نراه بأعيننا ، وان كنا لانتبين الطريق
اليه ..

من هم زملاؤك ؟!

وفى اليوم التالى التقيت بالمرحوم حسن البنا وسألنى عن أثر زيارتى لعزیز المصرى فى نفسى .. وكأنه كان يعلم ما جرى فيها .. ولاحظت انه يريد أن يزداد علما بالمجموعة التى شعر انى واحد من أفرادها ..

فقد سألنى عندئذ :

— هل لديك زملاء فى الجيش يشتركون معك فى هدف معين ؟!

وكان السؤال فى ظاهره بريئا ولكنه كان يريد أن يعرف من ورائه ان كان هناك تشكيل معين يضمنى ويضم غيرى .. ولم أخف الحقيقة عنه .. ولكنى لم أبج له بأسماء اخوانى قلت :

— انى لست أعمل وحدى .. وان هناك تشكيلا معيننا موجودا ، واننا جميعا نؤمن بالكلام الذى قاله لى عزیز المصرى ونعرف ان البلد لن تخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكرى يقوم به رجال من الجيش ..

حَادِثُ ٤ فِئْبَرَايِرْ

- حسن البنا يختزن السلاح
- الانجليز يحاولون عزل الجيش عن الشعب •
- كوكتيل مولوتوف لآبادة الانجليز !
- خطتنا وخطة القدر ...
- جاسوسان ألمانيان يطليان المساعدة ...
- البنك الأهلي والأوراق المالية المزيفة !

فهم المرحوم حسن البنا منى اننى لست أعمل وحدى ..
وفهم أننا نريد أن نقيم حكومة عسكرية فى البلاد تحارب الانجليز
الى جوار المحور ..

وفهم أن الذى ينقصنا فعلا هو جماعة أخرى من الشباب ،
تستطيع خوض المعركة باسم الشعب عندما يضرب تشكيلنا
خبرته ، كعمل عسكرى ...

وبدا المرحوم حسن البنا يتحدث الى حديثا طويلا عن
تشكيلات الاخوان المسلمين ، وأهدافه منها ، وكان واضحا فى
حديثه ، انه يريد أن يعرض على الانضمام الى جماعة الاخوان
المسلمين ، أنا ، واخوانى فى تشكيلنا ، حتى تتوحد جهودنا ،
العسكرية والشعبية ، فى هذه المعركة ..

وكنت أنا مستعدا للإجابة على هذا الطلب اذا وجهه الى ، فلما
رايته يكتفى بالتلميح ، أوضحت له من جانبى أيضا ، انه ليس
من وسائلنا أبدا أن ندخل كجماعة ولا كأفراد فى أى تشكيل
خارج نطاق الجيش .

وأطرق المرحوم قليلا ثم قال ، وعلى وجهه ابتسامة تغطى
تفكيرا عميقا :

— من الخير لنا اذن لنجاحنا ونجاحكم أن نتشاور وأن نتكلم

(٥ و ٦) أسرار الثورة المصرية ٦٥

معا فى كل شىء ٠٠ كما اننا على استعداد لكى نعاونكم عندما
تطلبون ذلك الينا ٠٠

تعاون ٠٠٠ وأسرار !

وبدا بيننا تعاون كنت أنا الصلة فيه ٠٠ تعاون بدا فى تحفظ
واستمر فى تحفظ ٠٠

وفى خلال هذا التعاون تكشفت لى أشياء كثيرة من الاسرار
الداخلية لجماعة الاخوان برغم انه رحمه الله لم يحاول أن يكشف لى
شيئا منها ، ولا ان يطلعنى على أى سر من أسرارهم الداخلية ٠٠

المرشد وحده يعلم !

وكان أهم هذه الاسرار ، أن حسن البنا وحده كان الرجل
الذى يعد العدة لحركة الاخوان ، ويرسم لها سياستها ثم
يحتفظ بها فى نفسه ٠٠ وأن أقرب المقربين اليه لم يكن يعرف من
خطته شيئا ، ولا من أهدافه شيئا ٠٠

حتى لقد كان حسن البنا فى ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح،
ويشتريه ويخزنه ، ولكنه لم يكن يطلع أقرب الناس اليه من
كبار الاخوان أنفسهم على أى شىء من كل هذا ٠٠

وكان على العكس من ذلك يستعين فى هذه العمليات باخوان
من الشبان الصغار ٠٠ وكان منهم الجندى المتطوع الذى جاءنى به
فى سلاح الاشارة أول مرة ٠٠

وكان أعوانه الصغار هؤلاء يعرفون ان ما بينهم وبينه سر
على الناس جميعا بما فيهم الاخوان الكبار ٠٠

فقد أدركت هذا فى يوم من الايام ، كنت جالسا معه ، عندما
دخل علينا هذا الجندى المتطوع يحمل فى يديه صندوقين مغلقين ٠٠

ورآنى الجندى جالسا ، فأجفل ، ولكن حسن البنا ، قال له
افتح الصناديق ، ولا تخف ..

ونظر الجندى الى بابتسامة الاخ فى الجهاد ، ثم فتح صندوقه ،
وكان ما فيهما عينات من انواع المسدسات ..

وتأكدت فى ذلك اليوم من أن الرجل يشتري سلاحا ويخزنه ،
ويخفيه حتى عن الاخوان ..

وفرحت فى نفسى بذلك ..

فسيأتى اليوم الذى نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين ..

وسيكون من اهم ما نستعين به ان نجد قوة شعبية تقف فى
الصف الثانى ، مسلحة مدربة ..

ولكن ، متى يكون هذا اليوم ؟

ان الامر بحاجة الى اعداد كامل طويل ..

ونحن نستعد .. ونستعد .. ونستعد

ودعوتنا تجد أنصارها ببطء ، ولكن فى وثوق ..

وكل شيء يجرى على وجه نظمتين اليه ..

وفجأة ...

كان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فقلب خطتنا رأسا على عقب ،

وبدأنا السير فى طريق خطير ..

٤ فبراير ...

وأحب أن أعرض هنا لبعض الحقائق والملابسات التى اكتنفت

حادث ٤ فبراير

فعلى كثرة ما كتب عن هذا الحادث فإن هناك حقيقة لم تنشر أبدا ، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا ، ولا الذين سمعوا ..

فقد أخذ الناس هذا الحادث بالماخذ السطحي ، ففسالوا ان مظاهرات سارت في البلاد تهتف : « الى الامام يا روميل » فتحركت دبابات الانجليز تفرض التحاس على الملك ، رئيسا لمجلس وزراء البلاد ..

ولو قلت اليوم أن هذه المظاهرات قد رسمت رسما ودبرت تدبيرا ، لما جاوزت الصواب ..

ولو قلت انها رسمت ودبرت لتبرر هذه الجريمة التي ارتكبتها الانجليز .. لما جاوزت الصواب أيضا .

وبقى أن تعرف بعد ذلك اليد التي حركت هذه المظاهرات بليل ..

يد المدبر ، والمحرك ، وناصب الشرك ..

اين التحقيق ؟ ..

لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرفى ، والذين يقودون مظاهرات كهذه - ان كانوا من الوطنيين فعلا - لابد ان يقودوا خطوة تنظيمهم ، ودعائهم لروميل فى بلاد يحتلها جيش الانجليز ..

ومع ذلك فقد سارت المظاهرات بليل ... ولم تعرف اشخاص قادتها ، ولا قبض رجال البوليس عليهم ، ولا تحرش بهم جيش الانجليز المقيم فى العاصمة ، والذي لم يجد حرجا فى مهاجمة قصر الملك !

فاذا بحثنا عن الدافع الذى صورته انجلترا لهذه المظاهرات،

لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية وأعوانها في مصر ، ان تلعب في فترات الحرج ، بقول العامة من أهل هذه البلاد . فاذا بالاكذوبة تصبح حقيقة تتناولها صحف مصر اثني عشر عاما كاملة . . ثم ترددها قاعات المجالس النيابية ، وقاعات المحاكم أيضا في قضايا السياسة الكبرى !

أحقا ، هذه المظاهرات قد سارت في شوارع القاهرة ، لتلعب دورا في هزيمة الانجليز ؟!

انها اذن مظاهرات خطيرة ، من ورائها تدبير وطني قاهر لما يعمل . .

فأين المدبرون والمحركون ، واين قصاص الانجليز منهم ، أو قصاص الذين حكموا مصر بأمر الانجليز ؟!

فان لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية على كيان الانجليز في أيام محنتهم ، ففيم اذن هذا الاجراء العنيف ، وقد كان أيسر اجراء في تلك الايام كفيلا بقمع مظاهرات ، لا هي بالخطيرة ، ولا وراءها تدبير ؟!

ولكن هناك هدفا . . وقد تحقق هذا الهدف . .

والهدف هو ايجاد مبرر تستند اليه الدعاية البريطانية ، عندما يتخذ الانجليز هذا الاجراء الاجرامي الشاذ في نوعه . .

وقد تحقق هذا الهدف ، واستطاعت انجلترا أن تفرض على الملك حكومة النحاس . .

الهدف الكبير

ويبقى السؤال الذي لايزال ينتظر الجواب . .
لماذا أراد الانجليز هذا ، وما الذي كلفهم كل هذا التدبير .

وكل هذه الجريمة ، وكل هذه الدعاية التي اضطروا اليها اضطرابا
لتبرير فعلتهم ؟!

لم تكن المسألة مسألة السخط الذي كان يعم مصر وقتئذ ..
ولم تكن مسألة الخوف من فورة الشعور الشعبي المضاد
للانجليز في وقت يقف فيه الانجليز في اخرج موقف من مواقف
الحرب العالمية الثانية ..

فما كان حادث ٤ فبراير ليستطيع ازالة السخط ، ولا وقف
الشعور الشعبي المضاد للانجليز ، وانما هو جدير بزيادة السخط
والكراهية ، وكشف العداء سافرا بين شعب مصر ، وبين حليفه
المفروض عليه فرضا .. جند الاحتلال ..

فصحيح كان هناك سخط ، وكان في البلاد توثب لانتهاز
الفرضة وضرب الانجليز من الخلف ، بينما تشبست عليهم نيران
روميل من الامام ..

ولكن هذا ، لم يكن كل شيء .. ولم يكن يستحق الموضع
الذي وضعت انجلترا نفسها فيه ، يوم ٤ فبراير المشؤوم ..

الجيش ... والشعب

كانت إنجلترا ترى أن هناك تقارباً بين الملك وبين الشعب من
ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الأخرى .. فقد كان
الملك في نظر الشعب وفي نظر الجيش أيضاً .. شاباً وطنياً ،
وكان محبوباً .. ورأت إنجلترا أن هذا التقارب سيوجد جبهة
متحدة من الجيش والشعب ، فأرادت أن تحطم هذه الجبهة ، وأن
تعزل الجيش عن الشعب ، وكان يوم ٤ فبراير هو الوسيلة لذلك
.. فقد صممت إنجلترا فيه على تكليف النحاس - زعيم الشعب -
بتشكيل الوزارة ، فأصبح الشعب بذلك في ناحية ، والملك والجيش

فى الناحية الاخرى ٠٠ وبدأت انجلترا بعد هذا تقييم سياستها على أساس عزل الجيش عزلا كاملا عن الشعب بتبقيضه اليه ، واشعار الشعب بأن جيشه هو السوط الذى سيلهب ظهره باسم الملك ٠٠ وكان يوم ٤ فبراير ٠٠ الذى تحدثت مصر عنه عشرة أعوام كاملة ٠٠ ولا تزال تتحدث ٠

وكحقيقة نذكرها ، لم يكن تشكيلنا قد توقع هذا الحادث ، بل أكثر من هذا ، لم يشعر تشكيلنا بهذا الحادث عندما وقع ٠ ولكننا أحسبنا به بعد ذلك ، وفهمناه من تحليلنا ومن تحرياتنا ٠ وبينما كانت البلاد فى ذهول من الحادث ، طاش صواب ضباط الجيش وبدأنا نحن فى تشكيلنا ٠٠ نفكر ٠٠

أما البلاد فقد ذهلت لأن الأحداث كانت أغرب من كل ما تصوره خيال هذا الشعب ٠٠ وأذهلها بعد ذلك عنه أو شغلها عنه ، ما تقاذف به السياسيون من سباب واتهامات وما أثير من قصص الاجتماعات التى تمت فى قصر الملك ، والمواقف المثيرة التى رأتها قاعاته من الزعماء ٠٠

وطاش صواب ضباط الجيش ، لانهم كعسكريين شعروا بأنها ضربة عسكرية لايردها سواهم ٠٠ وفى فورة الحماسة وعنف الشباب ٠ بدأت الاجتماعات تعقد علنا فى نادى ضباط الجيش لمناقشة الموقف ، وتقرير الحطة بصورة مفتوحة ، لا يمكن أن تؤدى الى خير ٠

أما نحن فقد انتهينا حينئذ الى قرار أولى ٠٠

استعداد وتأجيل

فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز ، قررنا تأجيل هذا الرد ، لان ذلك الجو المفتوح الذى نوقشت فيه المسائل

ينادى الضباط كان يوجب عدم القيام بأى شىء فى خلاله ..
كنا قد درسنا الامر من كل وجهه على طريقة العسكريين
عندما يقومون بما يسمونه : « تقدير الموقف » .
ولم نضع فى حسابنا عندئذ أن نحدد موعد ضربتنا ، فقد
اتفقنا على عدم الاهتمام بالتفكير فى الموعد ، بعد ما حدث ، وما
فوجئنا به على غير استعداد أو ترقب ..
ولكننا وضعنا فى حسابنا أن ندرس كيف تكون ضربتنا
لا متى تكون ، وصممنا على أن نضع خططنا لكى تأتى ضربتنا
للانجليز محكمة ، ودامية فى الوقت نفسه .
وقررنا كذلك أن تنأى خططنا فى هذه المرة عن أى صلة
بالاخوان المسلمين .. وأن نقوم على توسيع تنظيمنا الداخلى فى
الجيش ، وتكتيل قوتنا فى كل الأسلحة ، واعداد أنفسنا بما
تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية .

وقت العمل

ومرت الأيام من ٤ فبراير حتى وقع حادث العلمين ، أو مازق
العلمين .
وكانت هذه المدة كفيفة بأن تضاعف قوتنا داخل الجيش أكثر
من مائة ضعف .
فقد كنا ، عندما وقع مازق العلمين قد وصلنا فى استعداداتنا
الى تجهيز مائة ألف زجاجة من الزجاجات المعروفة بكوكتيل
مولوتوف .
وكنا قد استطعنا انشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات
وبدأت تخرج السلاح فعلا .

وكنا أيضا قد استوردنا من ريف مصر ، كميات كبيرة من البارود الذى يصنعه الفلاحون من زمن بعيد ، واستطعنا أن نحضره تحضيراً علمياً ، بحيث يمكن الاعتماد عليه .

وكان هذا هو الشق الأول من خطتنا بعد ٤ فبراير ٠٠ . أن نعد أنفسنا بما يلزم لعمل كبير .

أما الشق الثانى الذى يحدد نوع العمل ، فقد كان مقرراً تركه للخطة التى يتقرر فيها العمل نفسه .

كنا مرة أخرى ننتظر الوقت المناسب ٠٠ وجاء هذا الوقت يوم وصل الألمان الى العلمين .

وبدأنا نرقب الأحداث لحظة بلحظة لنتبين نوع العمل الحاسم الذى نستطيع أن نقوم به .

وقالت الأحداث كلماتها سريعة متلاحقة .

قالت أن روميل يضرب ضرباته القاضية .

وقالت ان الانجليز أيقنوا بالهزيمة .

وقالت أنهم فى هلع أفقدهم صوابهم .

وقالت انهم قرروا الانسحاب فوراً ، وبأسرع ما يمكن الى الجنوب ٠٠

هذا كان صوت الاحداث الواقعة التى رأيناها بأعيننا ورأها العالم بأسره معنا ٠٠

وكان يجب علينا أن نضع الخطة التى تناسب منطق الأحداث ٠٠

فلم يكن هذا المنطق يحتمل حرباً نظامية ، ولا انقلاباً عسكرياً ، ولكنه كان يوجب اتباعها أخطر ٠٠ يوجب خطة سريعة واحدة توضع لآبادة الانجليز أفراداً وجماعات عند انسحابهم .

خطتنا ... وخطة القدر !

وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين ..

وكان جانب منها يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى والجانب الآخر يرسم خطة الاتصال بالامان ..

ولكن خطة أخرى كان القدر يضعها فى الوقت نفسه ..
وقد لا نستطيع أن نحكم على فعال القدر عندما تحدث ولكن بعد مرور وقت طويل ، نستطيع دائما أن ننظر الى الماضى ، فنجد أن الايمان دائما هو أقوى من القدر !

وبدأت قصة القدر ..

بدأت بطرقات خفيفة على باب بيت صنديقى الصباغ حسن عزت .. دخل فى أثرها رجلان من الامان ، يصحبهما صديق له ، هو الأستاذ عبد المغنى سعيد .. ثم لم يلبث الصباغ حسن عزت أن أتى بثلاثتهم الى ...

هكذا بدأت قصة القدر بالنسبة الينا ..

ولكنها بالنسبة الى هذين الالمانيين قد بدأت قبل ذلك ..

بدأت على رمال الصحراء الغربية الصفراء .. عندما دعا قلم المخابرات الالمانية رجلين من رجاله .. أحدهما يدعى هانز ابلر .. والثانى يدعى ساندى ..

وكان ابلر يعرف مصر من قبل ، كما يعرفها كل ابنائها ..

فقد كانت أمه الالمانية ، قد تزوجت فى ألمانيا من المرحوم صالح بك جعفر المستشار ، ثم حضرت معه الى مصر ، وفى يدها ولدها من زوجها الأول ..

وكان ولدها هذا ، هو « هانز ابلىر » ..

وأراد الزوج المصرى ، أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فى مصر ، فيسر له كل سبل التعليم والنجاح ، وأعطاه اسما مصرية ، وأعطاه فوق ذلك لقب أسرته ، فأصبح هانز ابلىر يعرف فى مصر ، باسم حسين جعفر ..

وعاش « حسين » فى مصر ، ولكنه لم يكن الولد الصالح الذى ارتجاه زوج أمه ، فقد انحرف عن الطريق الذى رسمه له الرجل .. وأصبح بعد فترة وجيزة شوكة فى قلبه ، ووصمة فى سمعته ..

وفشل المستشار المصرى ، فى اقناع ربيبه بالعدول عن مخادنة الأوغاد وحياة الليل بين المراقص والحانات ، ونساء الطريق ... وفشل فى اقناعه بأن يجد لنفسه عملا يعيش منه ، أو يشغل به بعض وقته ..

ولما أيقن بأن لا سبيل الى اصلاحه ، ولا اتقاء شره فى مصر ، طرده من حياته قبيل الحرب .. فما كاد يعود الى وطنه حتى جندوه هناك .. ثم أصبح من رجال زوميل .. ومن رجال مخابراته فى شئون مصر بالذات

تجسس

وأصدر روميل لرجليه أبلىر وساندى أمرا بالتسلل الى مصر ، وكلفهما بعمل معين ، وسلمهما جهازا لاسلكيا دقيقا .. وزودهما بعشرات كثيرة من آلاف الجنيهات الانجليزية المزيفة المطبوعة فى اليونان وبسيارة من سيارات الجيش الانجليزى التى استولى عليها روميل أثناء معركة العلمين وفرار الانجليز تاركين خلفهم كل شيء ..

وتحركت السيارة بالرجلين ، وقد ارتديا ملابس ضباط في الجيش الانجليزى ، وحملا معهما جهازا لاسلكيا ، وثروة طائلة ..

واخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة تقع الى جنوب سيوة ، ثم انحرفا من سيوة الى الواحات الخارجية .. واستراحا فيها من رمال الطريق وتزودا بما يحتاجان اليه ثم اتجها صوب أسبوط فى الطريق المرصوفة المؤدية اليها ..

وكانت هذه المرحلة هي أخطر مراحل الرحلة بالنسبة اليهما اذ الطريق طريق عسكري ، تنتشر على جانبيه المسكرات البريطانية ، ونقط التفتيش والحراسه ، وتذره دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد ..

وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت فى كل لحظة ، ونفذ منها الوقود فى منتصف الطريق واذا بقائدها أبلر ينثنى بكل جرأة الى أحد المسكرات البريطانية ، ففتتح له الأبواب ، ويدخل الى محطة البنزين بالمسكر ، ويقدم أوراقه ، ويعبئ سيارته بالبنزين ، ثم يخرج مودعا بتحية الجنود ..

ووصلا الى أسبوط .. ثم انحرفا فى الطريق الى القاهرة .. ودخلا ضابطين انجليزين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعده فى ذلك الزمان ..

طلبات

وقال لنا الأستاذ عبد الغنى سعيد انه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة أبلر ..

وأخرج الرجلان أوراقهما ، وأثبتا بما يقطع كل شك ، حقيقة جنسيتهما الألمانية وحقيقة مهمتهما ..

وطلب الألمان منا أن نقدمهما الى الفريق عزيز المصرى ،
وكانا يطلقان عليه كلمة « الزعيم » ..

وقال أبلر ان جهاز اللاسلكى الذى جاء به قد تعطل ، وانه
يرجو أن يعتمد فى اصلاحه علينا .:.

كما طلبا أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصى
بروميل فى مكانه بالعلمين ..

وقابلهما عزيز المصرى ، وتفاهم معهما على أشياء كثيرة ، ثم
أصدر أمره الينا بتسهيل طلبيهما الآخرين .

وقمت أنا بالناحية التى تتصل بعمل فى سلاح الإشارة ،
فحددت معهما موعدا لزيارتهما وفحص الجهاز اللاسلكى المعطل ..

وكان أول ما فوجئت به من أمرهما ، أنهما يقطنان فى عوامة
للراقصة المشهورة حكمت فهمى ... ويبدو أن المفاجأة قد ظهرت
على آثارها ، فقد ضحك أبلر ، وقال :

— أتريد أن نقيم فى معسكرات الانجليز ؟!

ومضى يروى لى ما يعرفه من اخلاص حكمت فهمى له منذ
كان فى مصر قبل الحرب ، وكان قد مضى عليه أكثر من شهر
يقيم فيها ..

البنك الأهل

وفهمت انهما منذ نزلا ضيفين على هذه الراقصة قد خلعا
ثيابهما الرسمية « الانجليزية » وارتديا ثيابا مدنية عادية ، ثم
راحا يعيشان كانهنجليزين بصورة لا تثير الشبهات حولهما ..

كانا يتفان عن سعة .. ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان
يمكن أن تكون له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية ..

ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عن مجرد السهر ليلا فى الكيت كات ، والعودة مخمورين قرب الصباح الى العوامة التى اتخذنا منها محطة للإذاعة يتصلان عن طريقها بقيادة مخابراتهم ..

وقالا لى وهما يضحكان ان الينك الأهلئ قد بدل لهما ما يزيد عن أربعين ألفا من الجنيهات الانجليزية المزيفة بجنيهات مصرية ..
ثم قالا :

وكان الوسيط يهوديا ، قبل أن يتحمل المسئولية مقابل ٣٠٪ من قيمة ما يبدله من النقود ..

ولم أدهش أنا لليهودى الذى يعرف أنه يؤدى خدمة لجواسيس النازى ، فلا يتردد ما دام كل شئ بضمنه ولكنى مع ذلك أشفقته عليهما من قيام صلة بينهما وبين اليهود ..

وسألنى ابلى :

— متى تجيء ؟

فحددت له موعدا يوم الجمعة ..

وفى يوم الجمعة ، كنت واقفا على شاطئ النيل ، من خلفى مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية ... ومن أمامى عوامة الراقصة حكمت فهمى !

نِسَاءٌ وَخَمْرٌ

- محطة اذاعة تحت أقدام
الراقصات !
- عندما تظهر الحقيقة عارية !
- دبلوماسي أجنبي يسرق من
مفوضية سويسرا
- أين ذهبت أموال البنك
الأهلي ؟
- خرافة المخابرات ... !

كنت على موعد مع الجاسوسين الالمانيين (ابلر ، وساندى)
فى عوامة حكمت فهمى ...

وكان هذا الموعد لاصلاح جهاز ارسال لاسلكى ، يملكه
الجاسوسان ، ويذيعان منه ، من داخل العوامة .
ووقفت أمام العوامة أفكر قليلا قبل أن ألمس زر الجرس ...
فقد كنت أشعر ، انى أمام مغامرة ..

ونظرت الى أعلى العوامة ، فوجدت أربع ساريات من ساريات
السلك الهوائى الذى يستعمل للارسال اللاسلكى والاستقبال ..
فاعترتنى رجفة مفاجئة .. فان وجود سلكين هوائيين فوق سطح
عوامة ، قد يثير بعضا من الشكوك ..

ثم تتابعتم على الافكار فى سرعة متلاحقة ، وأصبحت بعد ذلك
أسئلة لا أجد جوابا عليها .

هل يعرف اليهودى الذى يبدل لهما الأموال حقيقتهما فعلا
.. واذا كان يعرفها ، فهل تكفيه العمولة الكبيرة التى يتقاضاها،
لكى يسكت ... ولا يخون ؟

وما حقيقة موقف حكمت فهمى من هذه المغامرة ؟

وما مدى استعدادها للسير فيها الى آخر الطريق ؟

وهل هى تستطيع أن تقدر حقيقة هذا الطريق ، والنتائج
الخطيرة التى قد ينتهى بها إليها ..
وكان لابد أن أجسد جوابا لهذا .. ولذلك ، كان لابد أن
أدخل .. !

ووضعت يدى على زر الجرس ...
وفتح الباب ، .. وبعد لحظات كان أمامى الالمانيان (ابلر ،
رساندى) .. يرحبان بمقدمى بينما تدور عينائى فى أرجاء العوامة،
أحاول أن أستشف نوع الحياة التى تجرى بداخلها .
ولم يكن عسيرا على أن أحدد هذه الحياة فى دقائق قليلة ..
فقد كانت جميع المظاهر تدل على أن صاحبة العوامة قد
تركت للالمانيين حرية التصرف فى عوامتها كما يشاءان وأنهما
تصرفا فى عوامتها فعلا ، فاتخذتا منها وكرا للترف والنعومة وحياة
الليل والتهتك ...

وكان واضحا أنهما ألقيا عن ظهريهما كل مسئوليات العمل
الخطير الذى جاء لكى يقوما به ، وانغمسا الى آذانهما فى الحياة
التي تتناسب مع عوامة ، يعيش فيها رجلان فى عمر الورد ، فى
جيوبهما عشرات كثيرة من آلاف الجنيهات

أين الجهاز ؟

وسألتهما عن جهاز اللاسلكى المعطل .. فضحك ابلر ، وهو
يقول :

- أستطيع أن تجده لو بحثت عنه ؟ ..

وخيل الى أنى أستطيع ، فقامت أطوف غرفة العوامة ، وأهبط

درجاتها ، وأصعد الى أعلاها ٠٠ فاذا بها لا تحتوى الا على وسائل الحياة الناعمة ، وأدوات الترف والزينة ٠٠٠ وكئوس الشراب ، وصناديق الويسكى ٠٠

وفجأة عاد بى ابلر الى حيث كنا فى بهو العوامة ٠٠٠ ومد يده الى جهاز الراديو الكبير الموضوع فى صدر المكان ٠٠ وكنت قد فحصته ، فى دورتي ، فلم أجد فيه أكثر من جهاز راديو «موبيليا» أنيق فى أعلاه بيك أب مغطى بغطاء خشبى دقيق الصنع ، وفى جوانبه دواليب صغيرة مقسمة لحفظ الاسطوانات ٠٠

وأمسك ابلر بالجزء الخاص بالبيك أب ، ثم حركه حركة بسيطة ، فانفتح الى أعلى ٠٠ وقال لى : أنظر ٠٠ فنظرت لأجد أمامى تجويفا كبيرا ساقطا فى جوف الجهاز العجيب يكفى لكى يهبط فيه رجل فيجد كرسيًا صغيرًا يجلس اليه ، ويجد أمامه جهاز اللاسلكى الذى يعملان عليه ٠٠٠

وقال ابلر وهو يشير بيده داخل التجويف :

— تستطيع أن تجلس هنا على هذا الكرسي وأن تضىء النور الداخلى ، ثم أغلق عليك الجهاز من فوق ، وأدير أنا اسطوانة للرقص ٠٠

وقال زميله ساندى :

— اننا دائما نصنع هذا ، نرقص على الموسيقى مع الضيوف ، بينما يباشر أحدنا عمله داخل الجهاز فى هدوء ٠٠

ووجدتها فكرة جميلة ٠٠٠ فلن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصور أن تحت هذا البيك أب ، محطة اذاعة كاملة ، ورجلا يذيع !

ونزلت الى الفجوة لأفحص الجهاز ٠٠

شكوك

وكان شعورى ساعة جلست أمامه ، وأخذت أدير مفاتيحه ،
أن هذا الجهاز لا يمكن أن يتعطل هكذا من تلقاء نفسه ، فهو كما
بدا لي جهاز دقيق متين الصنع ، كما أنه بوضعه الذى كان فيه
لم يكن معرضا لأية مؤثرات خارجية يمكن أن تؤدى الى تعطله ..
وفتحته من الداخل ، فوجدت جميع صماماته سليمة ،
وحاولت أن أكتشف مكان العطب فيه ، فلم أستطع ، فقد كان
الجهاز جديدا في كل شيء .. وكان من التعقيد بحيث لا يسهل
اكتشاف سبب تعطله ، ان لم يكن فاحصه خبيرا به وبالنظرية التى
أسس عليها ..

وخرجت يائسا .. أو يادى اليأس ، وفي رأسى دوامة من
الأفكار ، وشكوك كثيرة ...
وصدر منى سؤال مفاجئ لم أكن أحمله أكثر من معناه
الظاهرى :

— هل هذا الجهاز معطل حقا ؟ !

واضطرب ابلز لهذا السؤال بينما أجاب سناندى بسرعة
فائقة ، والكلمات تتزاحم على شفتيه :

— انه معطل .. معطل فعلا .. هل تستطيع اصلاحه ؟

وقبل أن أجيبه بالنفى ، كان هو يسألنى سؤالا آخر :

— انك بلا شك تسمع عن الهر هوارد ...

جهاز جديد

وكننت أعرف أن هوارد هذا دبلوماسى فى مفوضية السويد
فى مصر ، وأنه كان يقوم برعاية شئون الالمان فى مصر ، بعد اغلاق
المفوضية الالمانية عند اعلان الحرب ..

قلت : أعرفه ..

فقال : اننا على اتصال به أيضا ، وهو يعلم أن هذا الجهاز معطل ، وهو الذى قال لنا أن نحاول الاتصال بك .. وقاطعته قائلا :

ولكنى آسف جدا ، لأننى لا أستطيع اصلاح هذا الجهاز ، فلم يسبق لى أن استعملت أجهزة ارسال ألمانية أبدا . وبدأ ابلى الكلام فقال :

ان الهروارد طلب منا أن نتصل بك . وسكت قليلا ثم عاد يقول :

انه يعرف كل شيء عنا ، ونحن نستعين به دائما عندما نحتاج لأى شيء .. وهو أيضا ، يساعدنا ... وأكمل ساندى قائلا :

— وقد قلنا له ان هذا الجهاز قد تعطل ، فجاءنا بجهاز آخر ... ولكننا لا نعرف كيف يعمل .. وسألتها أنا :

— وهل الجهاز الآخر هنا الآن ؟ فأجاب ساندى :

— نعم ، انه فى الطابق الأسفل ، لقد سرقه لنا هوارد من المفوضية السويسرية ، وأعطاء لنا لتواصل به عملنا ، ولكننا حتى اليوم لم نستطع تشغيله .

وأمسك بى من يدى وقال : هيا معى .. سأريك الجهاز الآخر .. وقد قال لنا هوارد انك أنت وجميع ضباط سلاح الإشارة فى مصر ، تستعملون مثله ..

ونزلت معه الى الطابق الأسفل وقد أخذت منى الظنون كثيرا ...

لم تعد شكوكنا

وفي الطابق الأسفل ، وجدت جهاز ارسال من النوع المعروف بالهاليكرافتر ٠٠ وفحصت الجهاز فوجدته جديدا لم يستعمل قط ، ودهشت لقولهما انهما لا يستطيعان استعماله ، لسهولة استعمال هذا النوع من أجهزة الارسال ٠٠

وقلت لهما :

ان هذا الجهاز من أبسط الأجهزة استعمالا ، واني أستطيع أن أدلها على كيفية استعماله في لحظات قصيرة .
وفجأة خطرت لي فكرة ٠٠ وانطلق بهما لساني على التو واللحظة ٠٠

فقد كانت شكوكي في الرجلين قد بدأت تعلق الى مرتبة اليقين ٠٠ كنت قد اقتنعت في نفسي تماما ، أن جهازهما الالماني اما أن يكون سليما ، واما أن يكونا هما قد عطلاه بنفسيهما ٠٠ وخطر لي أني لو تركت لهما الجهاز الآخر فسوف يتلفانه أيضا ٠٠ ولم أكن أعرف السبب في هذه الشكوك ، ولكنها كانت قد سيطرت على ٠٠

وقلت لابلى ، وأنا آخذ بذراعه على شيلم العوامة :

— أريد أن آخذ هذا الجهاز الامريكى معى يوما ، لاختبره اختبارا دقيقا ، ثم أعيده اليك ٠٠

وانتظرت من ابلى أن يمانع فى هذا ، ولكنه أسرع يقول :-

— بكل سرور ٠٠ يوم أو أكثر كما تشاء ٠٠ !

نساء ٠٠ وخمر

ورأيت الالمانيين وقد استخففتها المشوة ، والمرح ، وعلمت أنهما سوف يقصدان الى جروبى لتناول الغداء وأنهما سيعودان بعد ذلك الى العوامة بصحبة فتاتين ٠٠

وكان لا بد أن أنسحب .. فاعتذرت عن قبول دعوتهما
للغداء .. لأخذ معي الجهاز ! ..

وبدأت شكوكي تجد أسبابا ترتكز اليها ، ثم تحققت بعد
ذلك من أن شكوكي لم تكن عبثا ..

فقد علمت ان الالمانيين قد استطابا الحياة الناعمة ، التي
وفرتها لهما آلاف الجنيتات التي بدلوهنا عن طريق اليهودي من
البنك الأهلي ، وتعرفا على عدد من الراقصات ، ومن بائعات الهوى
.. وأرادا أن يطبلا مكتهما فى القاهرة ، وأن يلقيا عن كاهليهما
عبء المسئولية والمخاطرة ... فادعيا أن الجهاز الذى معهما قد
تعطل ، واستطاع « هوارد » أن يزودهما بهذا الجهاز الأمريكى ،
فادعيا أنهما لا يستطيعان تشغيله .. واتصلا بنا ..

وبهذه الوسيلة استطاعا أن يغطيا أنفسهما فى قضاء الأيام
والليالى بين سهر المراقص ليلا ، ولهو مع الغواني نهارا ... فقد
كانت حجتهم أن الجهاز معطل ، وأنهما لا يستطيعان العمل بالجهاز
الجديد !!

وبدأت المتاعب !

عرفت هذا .. ولكنى عرفته بعد فوات الأوان ..
وفى يوم الأحد ، ذهبت الى العوامة ، وأوقفت التاكسى
خارجا ..

وأخذت الجهاز ، وبخرجت تاركا خلفى إبلر وساندى
ومر الأحد ، والاثنين ...

وفى يوم الثلاثاء ، قبض عليهما ..
وفى اليوم نفسه عرفت أنا بنبأ القبض على هذين الرجلين ،

فبدأت مخاوفي ، ، فقد كنت حتى ذلك الوقت ، أعتقد في وجود
الخزافة الكبرى التي عرفت في مصر ، باسم « قلم المخابرات
البريطانية » . . .

وكننت على يقين حتى ذلك اليوم من أن هذه المخابرات هي
التي أمسكت بخيوط المغامرة التي جاءا ليقوما بها ، وانها هي التي
قبضت عليهما ، وأنه ليس من المستبعد أبدا أن تكون عيون
المخابرات قد وقعت على في الزيارتين اللتين قمت بهما للعوامة ،
وانى بهذا بت في خطر أنا ومن معي في تشكيل الضباط .

وبدأت أعد نفسي لكل احتمال وأنبات أصدقائي بالقبض على
هذين الرجلين ، وأبلغت الفريق عزيز المصرى أيضا . . .

ولم أقف عند هذا ، فقد كان على أن أعرف كيف قبض
عليهما ، وهل اكتشفت المخابرات ما كان بينى وبينهما من صلة ،
وهل هناك مراقبة موضوعة علينا ؟ . .

وبدأت سلسلة من التحريات على نطاق ضيق ، مأمون . .
فعلمت أن المخابرات البريطانية قد علمت بوجودهما منذ شهر ،
وأن الرقابة كانت مفروضة عليهما طوال ذلك الشهر ليلا ونهارا ،
وأن هم المراقبة كان معرفة أعوانهما في القاهرة والعمل الذى
يقومان به فعلا . .

خرافات المخابرات

وعرفت بعد ذلك أن هذه المراقبة لم تكتشف صلتى بهما ،
ولم تقع أعينها على داخلا الى العوامة ولا خارجا منها . . . وانها
حتى بعد القبض عليهما ، لم تكن تعرف عنى شيئا . .
وتكشفت لى المخابرات البريطانية على حقيقتها خرافة كبيرة .

ملآنة الجيوب بالذهب .. فقد عرفت بعد ذلك كيف قبض عليهما ،
ويوم عرفت ذلك .. عرفت قصة من القصص التي تلعب فيها
المرأة ، ويلعب فيها الذهب ، وتنام عيون المخابرات ..
وعرفت في ذلك اليوم شيئا آخر أيضا .. عرفت حياة
جديدة لم تكن لي بها خبرة من قبل ..

رفعت إسجبت بسبب شهر زاد

- ♦ عذارى شهر يار ..
- ♦ فى عوامة الراقصة ..
- ♦ النحاس وحمدى سيف
- النصر يسلطان علينا
- الانجليز
- ♦ حسن البنا يهرب معى من
- وكيل الاخوان المسلمين
- ♦ حتى لو كان مصطفى
- النحاس ! ..
- ♦ هل كان حسن البنا ..
- معنا ؟

قبض البوليس على ابلر وساندى يوم الأحد ، ومر بى يوم
الاثنين وأنا أحاول أن أعرف ان كانت صلتى بهما قد اكتشفت أم
لا ؟ ..

فعلى الاجابة على هذا السؤال يتوقف مصيرى كضابط فى
الجيش ..

وكمصرى حر يعيش حياته طليقا كما يعيش المصريون ..
وقد يذهب الأمر الى أكثر من هذا ، فيتوقف على الاجابة
على هذا السؤال : حياتى أو موتى ..

وأكثر من هذا .. ان نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية
لصلتى بهذين الرجلين ، كان يمكن أن تكون المفتاح الكبير الذى
يفتح أمامها الباب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش ، هذا
الذى ترامت أنبأؤه الى انجلترا منذ شهور كثيرة ، فأدت بها الى
افتعال حادث ٤ فبراير ، ومجابهة هذا التشكيل بقوة الوفد
الشعبية فى ذلك الوقت .

ولم أكن أتوقع أن يقبض على سريعا ، فقد كنت أرجح أن
المخابرات البريطانية ، وان كانت قد اكتشفت صلتى بالماسوسين
الالمانيين ، فهي لا بد أن تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت ،
لتمكن بهذا من وضع يدها على سر تشكيل الضباط كله .

وكان هذا ما أعتقد ، ولكنني فوجئت في يوم الثلاثاء التالي ،
أى بعد يومين من القبض على الجاسوسين ، بالقبض على وعلى زميل
حسن عزت ..

ودهشت لهذه السرعة ، وخيل الى أن المخابرات البريطانية
الساخرة ، لم تكن غافلة عنا ، وانها قد وضعت يدها فعلا على كل
أسرارنا ..

والا لتركنتي طليقا كطعم يوقع لها الصيد الثمين فى الشراب
ولكنني تنفست الصعداء بعد أن عرفت التفاصيل المثيرة
التالية أثناء التحقيق ..

بلاد شهر زاد

كان ساندى ، شأن أكثر الألمان ، ولوعا بالموسيقى
الكلاسيكية الأوربية .. ولم يكن ابلى كذلك ، فقد كان على النقيض
منه ، لا يحب الا موسيقى الجاز ، تمتزج طرقاتها بالحمر التى تدور
برأسه ، فتحيله كائنا عجيبا ، نصفه انسان ، ونصفه حيوان ..

وفى احدى الأمسيات ، جلس ساندى فى عوامة الراقصة
حكمت فهمى ، يستمع الى موسيقى « شهر زاد » للموسيقار
الروسى ديمسكى كورساكوف .. وكان ابلى مغيفا محنقا ، يحاول
اغراء صديقه للقيام معه الى موعد حافل ضربه مع بعض الغواني فى
ملهى الكيت كات .. وأصر ساندى على سماع الموسيقى الخالدة
حتى نهايتها ، فوضع أمامه كأسا من الحمر وأخذ يسمع ويحلم ،
وبتمثل فى خياله آخر مرة شاهد فيها هذا الباليه على مسرح من
مسارح برلين ..

ورويدا رويدا اندمج ابلى معه فى الاستماع الى الموسيقى

ولكنه لم يسلم نفسه لأنغام الموسيقى بقدر ما أسلم نفسه
لهمسات شيطان أخذ يراوده ..

وفجأة صاح بصديقه صيحة مخمورة :

— ما كان أسعده هذا الملك .. شهر يار ..

وضحك ساندی وهو مسترسل في أحلامه وقال :

— كان يأتي كل ليلة بعذراء طاهرة .. يبيت معها ليلته ..
ثم يذهبها في الصباح ..

وصاح ابلر ، والحر في رأسه :

— هكذا الحياة .. ماذا ينقصنا نحن ، لنكون مثله ؟ أنا
شهر يار الثاني ، وأنت شهر يار الثالث ..

ألسنا في بلاد ألف ليلة وليلة ؟

— أكنت تقرأ مثل قصص ألف ليلة وأيام الشباب ؟

فأجاب ابلر :

— لقد كنت أطرّد من المدرسة وأنا أقرأها يوما فقد كانت
معى الترجمة الحقيقية لها ، بكل ما فيها من كلام لذيذ !

وسأله ساندی بخبث :

— وهل تحب أن تدبح النساء ؟

فأجاب ابلر :

— ولماذا أذبحهن .. أعطين مالا .. مالا من البنك الأهلئ
.. كم يكون لذيذا أن تعيش كل ليلة في أحضان عذراء !

وانتهت الموسيقى وخرج العريدان الى الكيت كات يقضيان
سهرتهما ..

تلك الليلة .. فكانا كلما سكنت الموسيقى رفعا عقيرتهما بألحان شهر زاد ، فتضج القاعة بالضحك على هذين «الانجليزين» - كما كانت تظن الراقصة - اللذين ذهب بمقلهما الشراب ..

عذارى شهريار

ولم تمر الليلة على خير ..

فقد أسر ابلز بأحلامه الحيوانية الى احدى صديقاته .. فضحكت الصديقة بخبث ، ودخلت معهما في مفاوضات ، أصبح ابلز بعدها شهريار الثاني ، وأصبح ساندی شهريار الثالث أيضا ..

وبدأت العوامة تستقبل كل صباح فتاتين جديدتين من بائعات الهوى ، في ثياب كشياب الطالبات .. يدخلان على استحياء ..

ويخرجان وقد امتلأت حقيبة كل منهما بمائتي جنيه !

أخذتاها من الرجلين باعتبارهما من العذارى !

واشتهر أمر ابلز وساندی بين مجموعة من فتيات اليهود ، اللواتي كن يقمن بهذه التمثيلية العاطفية الفذة ..

حتى كان يوم السبت السابق للقبض عليهما ..

وكانت في العوامة يهوديتان لتمثل كل منهما دور عروس من عذارى شهريار ..

وانتهى التمثيل .. والرجلان في نشوة بالغة ، من السكر الشديد ، والخيال المنطلق ..

وتهيات الفتاتان للخروج .. ثم وقفتا فى انتظار الأربعمائه
جنيه ..

ودخل ابلر الى غرفته ، لىأتى بالنقود ، ولكنه لم يجد سوى
سبعين جنيها فقط ، هى كل ما كان لديه من أوراق مالية مصرية .

ومد ابلر يده بالنقود الى احدهما فأخذتها ، وغدتها ، ثم
قذفت بها فى وجهه وهى تصيح :

— أتسلبنى أعز ما أملك ، بثلاثين جنيها ؟ أين باقى المبلغ ؟

وصاح فيها ابلر ، وقد أغاظه منها تطاولها عليه ، وقال :

— ليس معى غير هذا .. هيا اخرجى قبل أن أذبحك كما كان
يفعل شهر يار ..

وارتجفت الفتاتان ، وقد سمعتا كلمة « أذبحك » وخيل
اليهما أن هذين « الانجليزيين » قد يصنعان أى شىء دون أن يخشيا
عاقبة أو حسابا ..

ورأى الألمانيان هذا الهلع على وجه الفتاتين ، فاستتبدا
يهما نشوة الحمر والانتصار ..

وانطلق أحدهما يغنى نشيد « المانيا فوق الجميع » ثم شاركه
الآخر ، فكونا معا ثنائيا فريدا فى نوعه ، ينشد نشيد هتلر !

ولم يكن هذا النشيد مجهولا ، خصوصا فى أوساط اليهود
فهزت إحدى الفتاتين رأسها ، وجذبت الأخرى ، ومضيتا
من العوامة الى قلم المخابرات البريطانى ..

وبعد ساعات قليلة ! كان ابلر وساندى فى طريقهما الى
السجن ! ..

امام تشرشل ! ..

عرفت تفاصيل هذه القصة التي تكشف عن خرافة المخابرات البريطانية فتظهرها على حقيقتها : ذهب كثير واعتماد على اغراء هذا الذهب للنفوس الضعيفة التي تخون وطنها في سبيله .. فليست المخابرات اذن هي التي اكتشفت سر الجاسوسين .. ولكن الفتاة اليهودية التي أصرت على أن تأخذ ثمن جسد مائتي جنيه، وسيمان عندها أن تأخذ المبلغ من ابلر .. أو من مخابرات الانجليز ! وكنت قد بدأت أشك في أن الفتى المجنون قد اعترف بالصلة التي قامت بيني وبينه ...

وظهرت لي الحقيقة كاملة عندما علمت بعد ذلك ، أن الجاسوسين قد أمسكا عن الكلام يوما كاملا ، ثم حملتهما المخابرات البريطانية حملا الى مستتر تشرشل وكان يزور مصر في ذلك الوقت ، فلما مثلا أمامه ، وزعدهما بحياتهما ان اعترفا بكل شيء . واختار الجاسوسان بين الموت والحياة .. فاعترفا اعترافا كاملا ، وجيء بنى وبحسن عزت الى السجن !

حتى لو كان مصطفى النحاس

وبدأنا نرقب النهاية المحتومة لضابطين في الجيش المصرى ، يقبض عليهما بتهمة الاتصال بجواسيس الأعداء .. وقد كان الألمان في ذلك الوقت هم أعداء مصر من الوجهة الرسمية !

ثم جاء اليوم الذى يتقرر فيه المصير .. فقد صدر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا ، ودعينا للمثول أمامه ..

ولم نكد ندخل حتى فوجئنا بما أفقدنا الصواب ..

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية ،
وانجليزيين أحدهما برتبة ميجر ، واسمه جنكينز ، والثاني برتبة
كابتن واسمه سمبسون من ضباط قلم المخابرات البريطانية .

وضابط من البوليس المصرى وكان اسمه كمال رياض .

وكان يبدو من تصرفاته وحركاته وأسئلته ، انجليزيا صميما
لا يمت الى المصرية بشيء .

وقد لا تهم القارئ تفاصيل المحاكمة .

فقد كان أهم ما فيها اعتراضنا على أن نحاكم كضباط
مصريين ، أمام ضباط انجليز ، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من
وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف النصر ، ومن رئيس الحكومة
نفسه ، مصطفى النحاس !

بل لقد كان هذا التصرف من وزير الدفاع المصرى ، ومن
رئيس الحكومة المصرية ، هو الخنجر الأول الذى طعنا به فى ذلك
اليوم .

ولم يستطع المجلس العسكرى أن يحصل منا على شيء .
لا اعترافات ولا اجابات .

لا شيء غير الاحتجاج العنيف . ونظرات الاحتقار .

وتقرر وضعنا تحت الايقاف . ثم طردنا من الجيش فى ٨
من اكتوبر ١٩٤٢ .

أى بعد حادث ٤ من فبراير بشمانية أشهر فقط .

ولم نكد نبرح مكاننا من الجيش ، حتى تسلمتنا السلطات
المدنية ، فحملتنا الى سجن الأجانب ثم رحلتنا الى معتقل المنيا .

حلقة الاتصال بالاخوان

كان هذا الحادث ، الذى انتهى بطردنا من الجيش واعتقالنا ،
نذيرا آخر بتأجيل العمل الحاسم الذى كنا نفكر فيه .

وكان كذلك بدءا لتطورات أخرى فى تشكيل الضباط الذى
لم يتأثر موقفه بخروجنا من الجيش ، ولم يتأثر بذلك موقفنا منه
نحن أيضا ..

وكان نهاية صلات مع الاخوان المسلمين ، وبدء صلات
جديدة معهم ..

فقد كنت أنا حتى ذلك الوقت حلقة الاتصال الوحيدة بين
تشكيل الضباط وبين الاخوان المسلمين ..

فلما انتهى الأمر باعتقالى ، بدأت حلقة أخرى عملها ..
وكنت حين قبض على ، قد أجريت فعلا آخر اتصالاتى فى
تلك الفترة معهم ..

وكانت هذه الاتصالات فى نفس الفترة التى تم فيها اتصالى
بالماسوسين الالمانيين ..

فقد كانت خطتنا اذ ذاك لآبادة الجنود الانجليز العائدين من
العلمين ، قد تمت من الناحية العسكرية ، وكانت استعداداتنا
كافية فعلا ..

وكنا قد بدأنا نفكر فى التنفيذ العملى .. فكان لا بد لنا من
ان نعاود الاتصال بالاخوان المسلمين لكى يكونوا هم القوة الشعبية
التي تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير .

واذا قلت « الاتصال بالاخوان المسلمين » فانما أعنى الاتصال

بالمرحوم حسن البنا ، فلم تكن لى ضلة عملية بغيره .. أو هكذا أراد حسن البنا نفسه .. فقد كان كما قلت من قبل ، أحرص ما يكون على أن يظل ما بيننا وبينه سرا خافيا على الجميع ، حتى على كبار الاخوان أنفسهم .

وعندما بدأت الاتصال به للقيام بالعمل الفعلي الذى كان يعرف اننا ننويه . تكتم الأمر أيضا بينه وبين نفسه ..

فقد ذهب الى حينثذ فى دار الاخوان وطلبت مقابلته لأمر هام ، وكان الاستاذ السكرى وكيل الاخوان المسلمين فى ذلك الحين موجودا معه ، فاذا به يشير بأن أدخل الى غرفة فى مدخل الدار ، كانت مخصصة لشركة المعاملات الاسلامية ..

وبذل رحمه الله جهدا كبيرا لى لا يشعر السكرى بأية حركة غير عادية ، ثم تسلل الى فى الغرفة من باب آخر لها ، وأخذنى من يدى فخرجنا متلصصين ، الى عربة نقلتنا الى بيته بالقرب من دار الجماعة ..

وأغلق البنا باب غرفته ، وأوصد الشبائيك ، ثم مال على برأسه لى يسمع ما أردت أن أنهيه اليه ..

دور الاخوان

وفى تلك الليلة بسطت للمرحوم البنا كل التفاصيل ، وتوسعت معه فى شرح دقائق الحطة العسكرية الموضوعة ، وأفهمته حقيقة الدور الذى نريد أن يقوم الاخوان به ، وحدود هذا الدور .

وأطرق البنا طويلا وهو يستمع لى ثم سكنت فترة طويلة أخرى قبل أن يتكلم .. وعندما تكلم أجهش فى البكاء !

ومرت فترة وهو يتكلم ..

كنت أنا خلالها ذاهلا كالمسحور ..
قال كلاما كثيرا .. كلاما مثيرا امتزج بالايان الشديد ..
وكان واضحا جدا من كلامه انه يؤثر مصلحة البلاد ..
ولكنني عندما خرجت من عنده ، سألت نفسي :
هل وعد الرجل بشيء ؟
هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الاخوان منها ؟
وحرت في الاجابة عن كل سؤال من هذه الأسئلة .. فالواقع
أن الرجل تكلم كثيرا وأثر في نفسي كثيرا ، وبكى من أجل
مصر كثيرا .. ولكنه لم يعد بشيء ولا ارتبط بشيء !
ولا أفهمني انه مقبل على تنفيذ نصيب الاخوان من الحطة !
هل كان معنا ؟
ولكنك لو سألتني حينئذ سؤالا من هذه الأسئلة لما استطعت
أن أجيب عنه اجابة قاطعة كما أستطيع أن أفعل اليوم ..
انه برغم عدم تقيده بأى وعد فهو معنا .. بقلبه ووجدانه
وتفكيره .. وروحه أيضا !
وكان أخطر ما أردت معرفته منه في تلك الجلسة ، هو أن
أعرف شيئا عن استعداداته من حيث الأسلحة .. فقد كنت على
يقين أن الرجل يملك سلاحا ، وانه يختزنه ويعرف كيف يخفيه .
وكانت مباراة بيني وبينه .. أنا أريد أن أعلم وأطمئن ، وهو
يباعد بيني وبين ما أريد مباحة لبقه لا تكاد تشعر بها أبدا ..
وفي جو الغموض والاسرار الذي كان يحوط نفسه به ،

ويحوط كل أعماله وكل جماعته ، كان سهلا عليه أن يقنعك بأنه يملك سلاحا ، وأن يقنعك بالأ تسأل عنه أبدا ..

وأن يقنعك بأنه أعد فعلا جماعته للكفاح ، وأن يقنعك بأن تحفظ هذا سرا بينك وبين نفسك ..

وأن يقنعك بأنه معتمد على قوة كبيرة مخيفة مجهولة ، وأن يقنعك أيضا بأن تؤمن بهذه القوة ، دون أن تعرف عنها أى شيء ..

وكان هذا هو آخر اتصال لى بحسن البنا قبل اعتقاله ..

ولكن اتصالات جديدة بدأت عقب ذلك . اتصالات بينه وبين ضابط آخر من ضباط تشكيلينا ، واتصالات بينه وبينى أثناء هروبي من المعتقل ..

وكانت هذه الاتصالات الجديدة ، صورة أخرى من صور الفصل الكبير الذى اشترك الاخوان فى صفحاته ..

ثَوْرَة رَشِيدِ عَالِي الْكِلانِي

♦ عزيز المصرى يتوقع هزيمة
رشيد الكيلانى

♦ تاريخ الخيانة فى سياسة
البلاد العربية

♦ خبرة البارون التائه فى
الصحراء !!

♦ كيف ادعيت أنى مريض
بقلبي ؟

♦ ألخط الملعون يتربص عند
الهرم ..

♦ سسقوط طائفة عزيز
المصرى !!

كان اعتقالى خاتمة لفترة من فترات الكفاح الذى بدأناه
يوم استقر عزمنا عليه فوق تباب الشريف .. الى جوار منقباه ..
ولم يكن هذا الكفاح يستطيع ان يتصل طول الوقت ، فقد
قلت ان جمال عبد الناصر كان قد تقل الى السودان ، وان
تشكيلنا الاول كان قد تشتت هنا وهناك ..

وكانت الاحداث قد دفعت بعضنا لى يعمل ، فعمل بروح
التشكيل ، وفكرته .. واتصل فى ذلك يمن استطاع الاتصال
بهم ، وتصرف وحده حين اعوزته المشورة ..
وقد تلا هذا الاعتقال احداث .. وسبقته ايضا - غير
ناذكرت - احداث ..

وكانت كل هذه الاحداث ، وثيقة الصلة بالتمهيد للثورة التى
كنا نعد لها ، وبالعامل الفعلى الذى كانت الاحداث تدفعنا الى
القيام به ..

ولكى يتم اليوم ما نستطيع سرده من تفاصيل هذه الثورة
وتمهيداتها ، سأروى قصة الدور الفعلى الذى قام به عزيز المصرى،
الذى أدى الى اعتقاله ومحاكمته ..

كنا قد عدنا من الصحراء الغربية ، عقب رفضنا أوامر تسليم
السلاح الى القوات البريطانية ..

وكنّا كما أسلفت ، قد عقدنا العزم على الاتصال ، بعزيز
المصرى ، وعلى ماهر ..

ولم يتم اتصالي بعلى ماهر ، ولكنى اتصلت بعزيز المصرى ،
على النحو الذى ذكرته ..

وبرغم التحفظ والحذر الشديدين اللذين كنت التزمهما كلما
ذهبت اليه الا اننى فوجئت ذات يوم بالقائمقام موسى لطفى ، مدير
المخابرات المصرية وقتذاك ، وهو يقول لى : اننى ألتقى بعزيز
المصرى هنا وهناك ..

وان المخابرات البريطانية التى تراقبه ، قد وضعتنى أنا
أيضا تحت المراقبة ! ..

وسألت القائمقام موسى لطفى عما يريد منى ؟
فسكت ثم قال :

— انى فقط احذرك ..

وفهمت أن تحركاتى كانت مكشوفة . وذكرت لهذا الرجل
احسانه الى بكشف هذا السر لى ..

اللحظة الحاسمة

وبدأت أزيد من حذرى ، ولكنى لم أوقف اتصالي ، لا بعزيز
المصرى ، ولا بالجماعة التى كنت ألقاها من تشكيلنا ..

وكان شغلنا الشاغل فى تلك الفترة ، هو مراقبة تطورات
هجوم المحور فى الصحراء الغربية .. كنا نتتبعه ساعة بساعة ،
ونحن نستعد ونتكفل انتظارا للحظة الحاسمة ..

وكان يوم من أيام الصيف فى عام ١٩٤١ .

كنت عائدا الى منزلى . عقب نزهة قصيرة اعفيت فيها نفسى من متاعب التفكير وتوتر الاعصاب . ولم اكد ادخل البيت ، حتى اخبرت بأن عزيز المصرى قد مر بى ، فلما لم يجدنى طلب ان اتوجه اليه فور حضورى .

وكانت هذه الزيارة من عزيز المصرى ، وهذا الطلب ايضا ، يحملان فى طياتهما بالنسبة لى ، شيئا خطيرا ..

فلا بد ان شيئا قد وقع ، واننا على وشك ان نخوض احدى المعارك .. !

وغادرت منزلى فورا .. واسرعت الى عزيز المصرى .. وجلس عزيز يروى لى تفاصيل مثيرة ، الهبت حواسى ، وجعلتنى اعتقد ان ساعة البدء ، قد تحددت ..

واننا فى الطريق اليها ..

قال لى عزيز المصرى : ان الالمان قد اتصلوا به عن طريق بعض أعوانهم .. انهم يرجون بخبرته فى شئون الشرق الاوسط والعرب ، وانهم على اتم استعداد لاختطافه ، ونقله الى قيادتهم ، حيث تستطيع خبرته أن تلعب دورا عمليا كبيرا ..

اذن فقد بدأت نذر المخاطرة .. ولن يكون العمل داخليا فقط ، وانما سيكون هناك تنسيق لخطة من الداخل مع خطة أخرى مع الالمان ..

وكان يجب أن نقرر : هل نقوم بهذه المخاطرة ، أم نرفض القيام بها .. وكان علينا أن ندرس كل ذلك على أساس الاعتبارات والظروف المختلفة المحيطة بنا .. فى القاهرة ..

ففى هذا الوقت كانت الحكومة ومن خلفها مخابرات الانجليز

تشك في نوايا عزيز المصري ، وتتوقع منه أن يهرب الى الخارج .
ومن اجل هذا سحبت منه جواز سفره ، ووضعت عليه رقابة
شديدة ..

ولم يقابل عزيز المصري هذا الاجراء بالرضى ، بل توجه الى
المسؤولين ، وطلب منهم ان يسمحوا له بالسفر الى الخارج فعلا ،
فرفضوا هذا الطلب ..

ومعنى هذا ، ان كل حركة من حركات عزيز المصري كانت
تسجل وتحسب عليه ..
واكثر من هذا ان حكومة مصر ، ومخابرات الانجليز كانتا
تتوقعان سفره ..

اما من الناحية الاخرى التى جعلت عزيز المصري يشعر
كانه سبع قد حبس في قفص من حديد .. فهى قيام ثورة رشيد
على الكيلانى في ذلك الوقت بالعراق !

السياسة العرب !

كانت هذه الثورة ، هى المتنفس الحقيقى الوحيد لنا ، هنا
في مصر .. وكنا نتابع انباء هذه الثورة ، في حماسة بالغة ، ونعلق
عليها آمالا واسعة ..

ولكن نظرنا الى هذه الثورة ، كانت تختلف كل الاختلاف عن
نظرة عزيز المصري ..

كانت نظرنا مليئة بالارتياع والحماسة والتفاؤل ...

وكانت نظرتة مليئة بالضيق والتشاؤم ..

فقد كنا في شبابنا وحماستنا ، نريد ان نصنع ماصنعه رشيد
على الكيلانى ..

ننقض على الانجليز ونعلنها عليهم في ازمتهن ثورة مسلحة ..
وكانت هذه البداية من رشيد على هي المفتاح الذي رايناه
يفتح لنا الطريق ، ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها .
ولكن عزيز المصري ، كان يسمع انباء هذه الثورة فينتابه
الضيق والعصبية ، ويملاه التشاؤم ..
وكنا نسأله في ذلك .. فيقول :

— انتم لا تعرفون رجال السياسة في العراق مثلما اعرفهم ..
وكان يسترسل في حديثه فيروي لي قصصا من خيانات
السياسة العرب او اكثر اناسا العرب على الاصح ، منذ اتصل
بالأحداث في عهد الدولة العثمانية ، وكان اذ ذاك يرعى الحركة
العربية .

وكان يسمع انباء هذه الثورة ، ثورة رشيد على ، فيتوقع
الخيانة ، وتتجسم له الخناجر التي لا يد ان يطعن بها رشيد في
ظهره ..

وكان يتصور هذا المصير ، لتلك الثورة المخلصة ، فيكاد ينفجر
غيظا ، وكندا ..

هروب عزيز مصري

ولم تكن نحن .. حتى آخر لحظة ، نشاركه هذا الشعور ،
او نقبل منه هذا الكمد ..

هذان الطرفان : المراقبة الشديدة المفروضة عليه من الحكومة
والانجليز .. وثورة رشيد على التي كان يتوقع لها ان تطفئها
الخيانة .. كانا هما العاملين الرئيسيين في تكييف الموقف عندما

عرض الالمان عرضهم عليه ان يختطفوه ليستفيدوا من خبرته في وضع خططهم ..

وفكر عزيز المصرى طويلا .. وفكرت معه .. ثم استقر رأينا على وجوب سفره .. وعدم افلات هذه الفرصة ..

وفي اليوم التالى ، عاد عملاء الالمان الى عزيز المصرى ، فابلغهم قراره بالقبول ..

ووضع الالمان خطة الاختطاف ..

طلبوا منا أن نحدد لهم مكانا خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات .. وقالوا انهم بمجرد معرفة هذا المكان ، سيرسلون طائرة تحمل العلامات الانجليزية لتهبط فيه .. ويكون عزيز المصرى فى انتظار الطائرة ..

وعلى الفور تناولنا الخرائط ، واخذنا نحن الاثنين ، ومعنا زميلى عبد المنعم عبد الرؤوف ندرس جميع الاماكن ، وندرس أيضا كل الاحتمالات ..

اخترنا مطار الخطاطبة .. ولم يكن مطارا بالمعنى المفهوم ، وإنما كان مجرد ارض صالحة لهبوط طائرة .. !

وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى ، ثم حددنا مكانه على الخريطة بالطريقة الطبوغرافية العسكرية ... وارسلناه الى الالمان .. !

وبدأنا نحن ننتظر الموعد الذى سيحدده الالمان لهبوط طائرتهم « الانجليزية » فى ارض الخطاطبة .

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد من الالمان ،

يرفضون فيه فكرة « الخطاطبة » ويعينون منطقة « جبل رزة »
على طريق الواحات البحرية ، مكانا للقاء ..

البارون الثالث .

واخذنا ندرس أسباب هذا التغيير .. فوجدنا ان الالماني كانوا
على حق وانهم على دراية تامة بصحرائنا ، ومعرفة حقيقية بوسائل
الهروب من مصر .. ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق
الرحلات التي قام بها كشافوهم ورحالوهم قبيل الحرب والتي تاه
في احداها أحد باروناتهم في صحرائنا .

لهذا قبلنا هذا التغيير ، وحددنا يوم السفر ..

كنا اذ ذاك في يوم اربعاء ، وكان سفر عزيز المصرى قد تحدد
له يوم السبت التالى على الفور ..

ولا ادري كيف توقعت مخابرات الانجليز ، اننا على وشك
اتخاذ خطوة خاصة ..

فقد صدرت الى في نفس اليوم - يوم الاربعاء - اوامر بالنقل
الى الصحراء الغربية فورا ، وانبأنى مدير السلاح ، وهو يصدر
الى امره ، وجوب سفرى في اليوم التالى مباشرة يوم الخميس .. !

ولم تكن لهذا النقل أسباب .. وانما كان امرا واجب
التنفيذ فحسب ..

ووقفت حائرا امام مدير السلاح اللواء احمد الصاوى ، وهو
يصدر الى امره .. وكان على ان اختار ، اما ان اسافر فى الموعد
المحدد واما ان ارفض السفر ، ومعنى هذا اعلان عصياني لأوامر
الجيش فى ظروف حرب ..

وهى أخطر تهمة يمكن أن توجه إلى ضابط في الجيش ..
وخرجت من عند مدير السلاح ، وتوجهت إلى عزيز المصرى ،
لأعرض أمرى عليه ..

ولكنه رفض أن يشير بشئ على ، وفوض لى الأمر كله ..
والشئ الوحيد الذى اتفقنا عليه هو وجوب سفر عزيز المصرى فى
الموعد الذى تحدّد فعلا .. وأن يكون عبد المنعم عبد الرؤوف فى
صحبتة حتى تطير به طائرة الألمان ..

وقد تركت الأمر لهما ، وتوجهت أنا إلى المستشفى العسكرى
صباح الخميس .. وادعيت أنى أشعر بالآلام مترتبة على مرض فى
القلب أصبت به اثر حادث تصادم كان قد وقع لى ..

ولم يكن صعبا ان احصل على اجازة مرضية من المستشفى
العسكرى وأن ابطل بذلك - ولو مؤقتا - أمر النقل إلى الصحراء ..
وقضيت يومين فى المستشفى اترقب يوم السبت واتعجله ..

سوء الحظ

وجاء يوم السبت .. وزارنى فى نهايته عبد المنعم عبد الرؤوف
وكان حزينا مبثسا .. ! ان الرحلة لم تتم ، ولم يستطع عزيز
المصرى أن يصل إلى « جبل رزة » ولم يكن السبب انكشاف أمر
هذه الرحلة ، ولا رقابة البوليس ، ولا أى شئ من كل الأسباب
التي تطوف بالذهن لأول وهلة ..

ولكنه كان القدر ..

فقد خرج عزيز وعبد المنعم بسيارة جديدة اشترت خصيصا
لهذا الغرض .. وسارت بهما السيارة شوطا ، واذا بها تتوقف

عن السير فجأة على مقربة من الهرم ، وقبل ان يدخلها بها طريق
الواحة البحرية ، الذي كانت الطائرة الالمانية ستهبط فيه ..

وكان الاتفاق ان تهبط الطائرة عند الغروب ، وان يصعد اليها
عزيز بمفرده ، ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكى فور وصوله الى
خطوط الالمان ..

وقال لى عبد المنعم ، انهما لم يتمكننا من اصلاح العطب الذى
اصاب السيارة ، فتركها فى مكانها بعد ان فات الوقت المحدود
لهبوط الطائرة .. وعادا .. !

وقال لى ايضا : ان عزيز المصرى فى حالة عصبية شديدة
بسبب هذا الحادث ..

ومضى بعد ذلك يومان ، ثم اتصل أحد رجال الالمان بعزيز
المصرى ، وأبلغه ان الطائرة قد آتت فى موعدها ، وانها حوت حول
المكان ، ولم تجد الاشارة المتفق عليها ، فعادت ..
ثم مرت ايام كثيرة ، دون ان يجدد الالمان اتصالهم بعزيز
المصرى ..

وكان لابد لاجازتى المرضية ان تنتهى ..

وكان لابد ان ارحل الى الصحراء الغربية ..

ورحلت فعلا ، تاركا كل شىء لعزيز المصرى وعبد المنعم
عبد الرؤوف ..

المحاولة الثانية

واكاد اتصور الآن الايام التى مرت بعزيز المصرى بعد ذلك:
على ضوء ما اعرفه عنه ، وما لمستته من انه اذا صمم على شىء لم
تستطع قوة ان توقفه عن المضي فيه ..

فقد كان عزيز قد صمم على الذهاب الى خطوط الالمان ، وكانت هذه الفكرة قد اختمرت في رأسه ، واصبحت مسيطرة على تفكيره وآماله .. وكان من الصعب بعد ذلك أنتزاع هذه الفكرة من رأس الرجل ..

ومرت ايام قليلة ، واذا به يكلف عبد المنعم بأن يبحث له موضوع سفره ، على متن طائرة مصرية ..

وبدا عبد المنعم دراسته ، ثم اتصل بقائد الفرقة الجوية حسين ذو الفقار ، واتفق معه على أن يعد خطة السفر ... وان يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى الى الالمان ..

وتحدد موعد السفر ، في ليلة كان فيها ذو الفقار هو الضابط العظيم بالمطار ..

وحمل ذو الفقار عزيز المصرى في احدى الطائرات .. وطارت الطائرة بهما ..

ولكن القدر كان بالمرصاد ايضا .. فقد سقطت الطائرة وقبض على الرجلين ووضعوا في السجن ..

وبعد أن قضى عزيز المصرى عاما ونصفا في السجن ، نقل الى « ميس » الضباط تخفيفا عنه .. ثم افرج عنه بعد ذلك في مارس سنة ١٩٤٢ .

في نفس الفترة التى بدأ فيها الالمان ايلر وساندى اتصالهما بى .. وبعزيز المصرى ..

كان القدر دائما ضدنا في هذه الفترة .. ولكننا كنا نستفيد من القدر ..

وجاءت الفترة التى اعقبت اعتقالى .. وتغير كل شيء ..

الهرب إلى اسطنبول

- ♦ صداقة .. وصديق ...
- ♦ عشرة جنيهات فقط ...
- ♦ لماذا لم تنسف السفارة
البريطانية ؟
- ♦ فدائيون في الجيش ..
- ♦ وفدائيون في الشعب !
- ♦ متى نضعف .. ؟
- ♦ جمال يعود ...

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبي طويلة ، فعلى الرغم من عودة جمال عبد الناصر من السودان ، الا انه وجد من الخير للتشكيل وللثورة ، الا يعاود العمل المنظم الفعلي الا بعد أن تستكمل لهذا العمل اسباب النجاح ، وكل وسائله ..

وقد جاءت هذه الاسباب واكتملت الوسائل بعد بضعة سنوات .. عندما بدأت اعمال وخطط منظمة وصلت الى غايتها يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

ومع ذلك ، فقد كانت هناك اتصالات ، وكانت هناك ألوان من النشاط في نفس الفترة التي تلت اعتقالى ، وسبقت نقطة البدء التي حددها جمال ..
مدة كانت فترة ركود ، ولكنها لم تخل من عمل .. ومن تفكير في عمل ..

عندما أتذكر اليوم تلك السنوات التي اتصلت فيها بحسن البنا ، قبل اعتقالى ، يأخذنى كثير من العجب للفتات كان يلتفتها في وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال ..

وانا أتذكر اليوم ، كم ألح على حسن البنا أن اذكر له اسما واحدا من اسماء زملائى ، ليتصل به ان حدث ان عاقنى شيء عن الاتصال به .

وكننت انزعج لهذا السؤال ، وكننت اتهرب من الاجابة عليه ،
فقد كان متفقاً بينى وبين اخوانى ان اظل انا وحدى ، الضابط
الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الاخوان .
ولكنه الح .. الح كثيرا ...

وفى مرة اخرجنى ، فاطلت التفكير .. ثم اخترت ان اذكر
له اسم عبد المنعم عبد الرعوف ..

ولا اذكر على التحديد لماذا اخترت عبد المنعم ... وكل
ما أستطيع اليوم ان اذكره من افكار ذلك الماضى البعيد الحافل
بالمشيرات ، هو انى اخترت هذا الزميل ، ربما لانه كان اول من
انضم الى تشكيلنا عقب عودتنا الى القاهرة فى عام ١٩٤٩ .

ولم يعلق حسن البنا بشئ عندما ذكرت له اسم عبد المنعم .
وانما لزم الصمت والحرص اللذين لونا حياته حتى فارق هذه
الدنيا ، يحدث اغتياله المشهور ...

ولكنى عندما قابلته اول مرة بعد ذلك ، ذكر لى اسم
عبد المنعم واثنى عليه طويلا .. ثم اخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة
عن تاريخ عائلة عبد المنعم وحياته وبيته ...

وفهمت ان صلة ما قد وجدت بين أسرة عبد المنعم ، وبين
مرشد الاخوان ، وانها صلة قديمة ، وانها صلة معرفة وصداقة
وبيئة ، فقد كان جد عبد المنعم شيخا للازهر ، كما ان عائلته كلها
كانت معروفة بالدين والتقوى ..

وامسك حسن البنا عن ذكر عبد المنعم بعد ذلك ، حتى
ظننته نسيه ! .

ثم كان القبض على عزيز المصرى وكان الافراج عنه ، ولم يشر
حسن البنا اليه ابدا ..

صداقة .. وصديق

وعندما أفرج عن عبد المنعم وكنت أنا اذ ذاك طليقا لم يقبض على ، فقد أفرج عنه مع الفريق عزيز المصرى فى مارس عام ١٩٤٢ ، ولم يقبض على أنا الا فى أغسطس من ذلك العام .. عندما أفرج عنه ، لم اشأ أنا أن اتصل به فى شيء ، كنت أخشى عليه أن تشو حوله شكوك جديدة .. وكنت أريد له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والاعتقال ..

ولكن يبدو أن عبد المنعم أساء فهمى حينذاك ، فقد غضب فى نفسه وتضايق .. وعرفت فيما بعد ..

وجاء اليوم الذى قبض فيه على وقبض فيه على عزيز المصرى مرة أخرى .. ونم أكن اذ ذاك على صلة بعبد المنعم ، ولا على شبه صلة به

وكان آخر شيء أفكر فيه هو أن ينشط عبد المنعم بمجرد اعتقالى ليقوم بما قمت به ، لفكرتنا ، ليقوم بواجبات أخرى يكلف بها نفسه .. لشخصى ..

انها الصداقة التى آمنت بها دائما .. هى التى دفعته أن ينهض فوراً بعبء كنت أنهض به .. ثم أن يفاجئنى مفاجأة أخرى ..

عشرة جنيهات

كنت قد نقلت الى معتقل المنيا .. وكنت أذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى ، بالقراءة الكثيرة أقطع بها وقتى .. وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هماً ثقيلاً ، مثيراً للنفس باعثاً للكآبة ... والجنون

فمثلى فقير لا يملك غير عمله .. وذو زوج وأولاد .. يعيش
فى المعتقل لا يعرف لأهله معينا ، غير الذى خلقه وخلقهم ..

وفى طريقى اليومى الى مكتبة المعتقل الثقيت بالرحوم الشهيد
يوزباشى محمد وجيه خليل ، الذى استشهد فى حرب فلسطين ،
وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبد الرؤوف

وينتحنى بى الصديق ناحية ليسر فى أذنى ان التشكيل قد
رتب لعائتى عشرة جنيهاً فى كل شهر ، وانه جاء لى يطمئننى
بعد ان عزت على الجميع زيارتى ..

متى نقصف ؟

وكانت هذه العاطفة الصادقة من زملائى هى اسمى ما يمكن
ان يشعر به مثلى فى ظلمة الاعتقال

فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من أجل فكرة أنهم لا يضعفون
أمام الموت ولا يضعفون أمام السجن ولا يضعفون أمام التعذيب ،
وقد يخيل اليهم فى لحظات الحماس والانفعال أنهم لن يضعفوا
أمام شىء فى الوجود .. ولكنهم فى هذا وأهمون . فهناك الشىء
الذى يضعفون أمامه ، والذى لا يملكون حياله شيئاً الا الفرار ..
من الواقع ، والفرار من التفكير فيه .. الفرار من هذه المطارق
التي تطرق الرأس والقلب والضمير ... وتحيل الجبار وهما
ضعيفا يكاد يستسلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح ، وبقطة
الفكرة المتأصلة فى نفسه ومثالية الهدف ...

ولعلك عرفت الآن ، ما هو هذا الشىء الذى يضعف أمامه
المجاهدون ... انه الولد ، الطفل .. العيال !

هؤلاء الصغار الودعاء ، الذين ندفعهم دفعا الى مرارة

الكفاح ، وتأخذهم اخذاً على الصبر والحرمان والتقصيف ، ولما
يبرحوا بعد مهاد الطفولة ، ولما يعرفوا بعد مراح الصبا
هؤلاء هم نقطة الضعف فينا .. وهى نقطة ضعف اعترف
بها ، ولا تخجلنى ... لاننى انسان !

وقد كنت احتمل ان يحرم اطفالى من رعاية ابئهم .. ولكنى
ما كنت أصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة

وكانت هذه الجنيهات العشرة ، هى العون الوحيد الذى اقبله
لأطفالى لأنها لم تصدر عن عطف ولا اشفاق . وانما صدرت عن
فكرة مشتركة ، وتكافل بين مكافحين ...

وبدأت أنسى الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل ... وبدأت
أفكر فى خطوط المستقبل ، وخطوات الجهاد
وكان مجرد تفكير نظرى ، تنقصه حكمة الواقع ، ودراسة
الطبيعة

وكان أهم ما يشغلنى هو أن أخرج من هذا المعتقل ، ولكنى
لم اكن قد حددت بعد ، لماذا أخرج ، او ماذا أستطيع أن أصنع
وانا مطارّد شريد !

الى تركيا

ويبدو انى لم اكن وحدى الذى فكر فى هذا الامر ... فقد
فكر فيه عبد المنعم عبد الرؤوف فى نفس الوقت الذى كنت انا
أفكر فيه ...

وفى جلسات متعاقبة مع بعض أعضاء التشكيل من سلاح
الطيران ، وكانوا من اكثر أعضاء تشكيلنا حماسة واندفاعا .. اخذ
عبد المنعم يضع خطة لتحريرنا .. عزيز المصرى وانا ..

وكانت خطته تعتمد على عدد من المجازفات ، ولم تكن خطة عملية على اى حال ...

كانت خطته تقوم على الهجوم على المعتقل الذى يقيم فيه عزيز المصرى واختطافه اختطافا مسلحا من حرسه ليهرب عزيز من معتقله فيجد عربة فى انتظاره تحمله الى المنيا

وكان الشق الثانى من الخطة مماثلا للشق الاول فهو قائم على الهجوم على معتقل المنيا واختطافى من هناك بالقوة لأهرب فأجد عبد المنعم فى انتظارى

اما الشق الثالث .. فكان قائما على أن تقوم طائرة من القاهرة لتهبط فى المنيا فى نفس الوقت الذى يصل فيه عزيز المصرى اليها ، وأخرج انا من المعتقل

وكان الاتفاق ان تحملنا الطائرة فورا الى سوريا .. أو الى اسطنبول

وكانت كفة الاراضى التركية هى الراجحة فى هذه الخطة . للموقف الذى كانت تركيا تتخذه من الحرب

ولكنها - كما قلت - لم تكن خطة عملية .. فلو قدر لهدين الهجوميين المسلحين ان ينجحوا ، لما كان من السهل ضبط التوقيت، فى العمليتين معا ، بحيث لا تزيد مدة بقائى خارج المعتقل عن دقائق معدودة تحلق بنا الطائرة بعدها الى خارج الحدود ...

لم يكن هذا سهلا .. ولعل أسهل ما كان فى هذه الخطة هو الدور الخاص بسلاح الطيران .. فقد كان زملاؤنا الطيارون ، أكثرنا اندفاعا وحماسا فى كل شئ .. وكنا نرجع ذلك دائما الى طبيعة عملهم كطيارين كل حياتهم مغامرة مستمرة ، والى قوة أعصابهم التى تعتبر شرطا أساسيا فيمن يقبل فى هذا السلاح

كان الجزء الخاص بالطائرة .. هو الجزء العملى الوحيد فى هذه الحطة ، أما القسمان الآخران منها فكانا يحتويان على كثير من الثغرات الكافية لخلق متاعب جديدة لنا ، كنا فى غنى عنها ... وكانت هذه الخطة هى خطة عبد المنعم وحده ... فقد كان التشكيل - كما قلت - فى فترة من فترات الركود

تطورات .. بالجملة !

ولكن هذه الفترة كانت تحوى تطورات كثيرة فى الحياة المصرية ، وفى موقف العناصر المختلفة التى كانت ذات تأثير فى سياسة البلاد .

فقد أصبح للملك - مثلاً - موقف جديد وتطورت نظراته الى عرشه ، والى شعبه والى مستقبله والى الانجليز تطورا كبيرا ... هذا الملك الذى كان يمثل عنصرا من العناصر الوطنية حتى ٤ فبراير ١٩٤٢ والذى اعتبرناه فعلا رمزا لمصر .. واعتبرنا الاعتداء على قصره اعتداء على مصر .. وأردنا أن نثار له بآبادة الانجليز . قد تطور أو تغير .. ووضح لنا هذا التطور والتغير بصورة جعلتنا نضعه فى الصف الاول من صفوف الأعداء ...

واحمد ماهر .. الذى ملأ قلوبنا يوم ان وقف وقفته امام الانذار البريطانى فى عام ١٩٤٢ والذى علقنا عليه املا كبيرا يوم عاد الى الحكم فى عام ١٩٤٤ ، لم يكده يستقر فى مقعد رئيس الوزراء حتى أصدر امره ببقائنا فى الاعتقال وكان هذا الامر بناء على «امر» من الانجليز ، ولا أقول بناء على طلب او رغبة او تفاهيم !

وحسن البنا ، الذى كان قد أصبح قوة رهيبه يخشاهها الملك ، يعطى عن مخاوفه منها ، بدأ يضع لنفسه سياسة جديدة يضمن

بها القفز بحركة الاخوان المسلمين في جو آمن من مقاومة القصر
لو غدره .. وكان رحمه الله يحاول دائما اقناعنا بخطته ، ويحاول
ايضا الامساك بطرفي حبلين في قبضته

جمال يعود ..

وفي هذا الوقت هربت أنا من المعتقل .. هربت في نوفمبر
١٩٤٤ أى بعد تكليف وزارة احمد ماهر بشهر ..

وكانت ظروف كثيرة متعاقبة ..

ففى الوقت الذى انصرف فيه عبد المنعم عبد الرؤوف الى
الاخوان المسلمين انصرفا كلياً . وفى الوقت الذى هربت أنا فيه
من المعتقل ، وبدأت أكافح لاعيش هارباً شريداً أقتات من عدد من
الأعمال الغريبة هنا وهناك ، متفكراً مستتراً حتى ألغيت الأحكام
العرفية عام ١٩٤٥ فبدأت أظهر بوجهى

فى هذا الوقت .. كان جمال عبد الناصر قد بدأ يتولى
بنفسه امر التشكيل داخل الجيش ، لينظمه تنظيمًا جديداً وليضع
له خطة بعيدة المدى طويلة الأمد قائمة على فلسفة مدروسة
واقعية

وبدأت حركتنا تتخذ صورتين ..

صورة داخل الجيش يرسمها ويكون عناصرها جمال
عبد الناصر ..

وصورة خارج الجيش توليت أنا أمرها ..

وكان الغالب على الصورتين ، روح فدائية ، وكانت بين
الصورتين صلات ...

كنا قد بدأنا نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد اثر احداث
واحداث ..

وكنا قد رسمنا خطتنا القربية على أن ننشئ تشكيلا شعبيا
وتشكيلا عسكريا ، يعملان جنبا الى جنب ، كل بوسائله وكل
بخطته ، ولا يرتبط احدهما بالآخر اى ارتباط ظاهر حتى تأتى
اللحظة المناسبة لذلك

ومر بنا تاريخ طويل .. ووقعت أمام أعيننا هزات عنيفة

نسف السفارة ..

وكننت اتعجل الخطى .. وكان جمال يترث ..

حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى
عقب مصرع المرحوم احمد ماهر .. وذهب النقراشى الى السفارة
البريطانية فقابلته كيلرن .. على سلم السفارة ..

وكانت هذه القصة حديث مصر ..

فقد كانت قصة بفيضة فاضحة .. ولم يكن فى البلاد مصرى
واحد يحتمل سماعها ، دون أن تغور الدماء فى عروقه ويهم بأى
عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنون .. فقد كان خلاصة هذه
القصة أن النقراشى لم يكده يشير الى مطالب مصر ، حتى هز ذلك
اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية ، وقال للنقراشى ، دعك من هذا
الكلام .. فان حديث الجلاء والوحدة ليس الا حديث خرافة

وكانت لكمة قاسية أردنا أن نردها

وذهبت الى جمال .. وفى يدي خطة من التشكيل الشعبى ،
لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها

واستمع لى جمال طويلا . وناقش خطتي مناقشة كاملة
واقتر كل اطرافها وعناصرها ..

ولكنه فى آخر الامر .. هز راسه وقال : لا ..

كان يستعرض فى ذهنه الاجراءات التى يستطيع الانجليز
اتخاذها عقب نسف سفارتهم ، وكان يستحضر فى ذهنه مصرع
« لى ستاك » سردار السودان ..

وقال : لا .. نحن لا نريد أن نعيد مأساة السودان التى
وقعت منذ عشرين عاما ..

وكان على حق .. فعشرون عاما فى عمر امة مكافحة ،
ينبغى لها أن تغير من اساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب
ومن دروس ..

ولم تتم هذه الخطوة .. ولكن بدا صراع من نوع آخر
جديد

هذا اجمال لفترة طويلة .. ولكن هل يكتفى القارىء
منى باجمال ؟ ! ..

إن للقارىء أن يسأل عن موقف الملك وكيف تطور ..

وله أن يسأل عن موقف الأحزاب وكيف تطورت ..

وله أن يسأل عن موقف حسن البنا وكيف تطور وكيف
تعاوننا معه وكيف تعاون معنا ..

وله أن يسأل عن جمال عبد الناصر كيف بدأ خطوته
الجديدة

وله أن يسأل عن سر التشكيلين الفدائيين .. تشكيل
الجيش وتشكيل الشعب .

وله أن يسأل عن دور الأحرار في معركة القنال

وله أن يسأل عن ثورة الأحرار في نادي الضباط ...

وله أن يسأل عن خطة الأحرار التي اتبعوها بين صفوف
الشعب ..

وله أن يسأل عن الترتيبات والظروف التي أخرجت موعد
قيام الحركة . ! ؟

له أن يسأل عن كل هذا ؟

إقالة وزارة النحاس

♦ أحمد ماهر ينفذ رغبات
الانجليز ..

♦ فاروق يقول ليوسف
رشاد .. « حسن البناء
ضحك علينا »

♦ « ضممنا » الملك « الى
صفوف الأعداء .. !

♦ اخلاص حسن البناء .. !

♦ العمالق الذى لا يقهر .. !

♦ الملك يخشى وكيل الوزارة!

في الساعة الخامسة تماما من مساء ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، انقطع صوت الاذاعة المصرية فجأة ، وكانت تذيع احدى الأغاني .. ثم عادت تصدر صوتا كان مألوفاً لدى المصريين طوال فترة الحرب هو صوت الاستاذ محمد سعيد لطفى ، الذى كان مستشارا للاذاعة في ذلك الوقت ...

كان يحمل أمر الاقالة التى وجهها فاروق الى النحاس لينهى بها عهدا بدأ بدبابات الانجليز

وكان واضحا في صوت مستشار الاذاعة ، وفي القائه لهذه الاقالة . أنه طروب بها مستبشر .. شمتان !

وكان سهلا على المدركين لحقائق الامور ان يعرفوا الاسباب التى تدعو مستشار الاذاعة الى الفرح الشديد بهذه الاقالة ، فقد كانت هذه الاقالة بشرى - من السماء ! - هبطت على ذلك الرجل ، لتنقذه من عذاب طويل ، وضيق وحر ج لا مثيل لهما عاش فيهما أكثر من عامين ونصف عام ..

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تتحدى القصر ، وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لاقالتها ...

ولو كان الخلاف قائما على اساس دستورى ، لكان خلافا في سبيل مصر .

رأس الملك !

ولكن النحاس كان يتحدى الملك ، باسم الانجليز ، لاباسم الشعب ، ولا باسم الدستور .

والملك كان يحنى رأسه ، لانه كان يعلم انه لا يستطيع شيئا غير الانحناء ، حتى تحين الفرصة ، ليبطش بهذه الحكومة التى جاءت رغم أنفه ، لتذل كبريائه ، وتهدر كرامته !

وكان الملك قد جرب حظه مرة خلال حكم الوفد .. فأرسل حسنين يفاوض كيلرن ليسمح الانجليز بتغيير وزارة النحاس ، فكان الرد الذى تلقاه على ذلك ، هو برقية من تشرشل يقول فيها :

— لا تغيير ..

وسكت الملك ، وسكت حسنين ، وعلم الوفد بالامر ، فازدادت حكومته صلفا ، وبطشا ...

والمهم ان هذا الخلاف والتحدى بين الحكومة وبين «الملك» كان مصدر متاعب وخرج شديد لرجل الاذاعة المسئول ...

كان الملك مثلا يأمر بإذاعة القرآن الكريم من القصر ، فترسل الاذاعة رجالها والآتها لأعداد ما يلزم للملك .. وتسمع الحكومة بالامر فترسل رجالها لسحب آلات الاذاعة .

ويبدأ الحرج ، وتبدأ المتاعب ، للاذاعة ورجال الاذاعة ..

وكان الوفد يقرر القيام برحلات فى الاقاليم ، فيأمر الاذاعة بإذاعتها ، ويسمع الملك الهاتف والدعمايات ، فيغضب ، ويبلغ غضبه بطريقته المعروفة ، لرجل الاذاعة المسكين ..

وهكذا ، كان على الاذاعة أن ترضى الانجليز ، وان ترضى الحكومة ، وان ترضى الملك ، وكان هذا أمرا لا سبيل اليه !
فاذا أقال الملك حكومة النحاس ، فقد كان من الطبيعي أن يفرج رجل الاذاعة ويستبشر ..

وسمعنا هذه الاقالة من الاستاذ محمد سعيد لطفى ،
وسمعنا بعدها مباشرة الامر الملكي الصادر بتكليف احمد ماهر بتشكيل الوزارة .. وكنا في المعتقل ، قد استطعنا ان نحصل على جهاز راديو يسمح لنا باستعماله كلما رضى عنا ادارة المعتقل ..
ولا اخفى على القارئ انى انا ايضا طربت لهذه الاقالة ..
فقد كانت - عندى - الرد الاول على انذار ٤ فبراير المشؤم .
وفي غمرة هذا الطرب ، غفلت عن تحليلها ، ولتعمق في مدلولها ..

فان الامر لم يكن بعد قد ترك للملك يتصرف فيه كيف يشاء ،
لابد من مصدر لهذه القوة التى تقمصته ، حتى أقال وزارة النحاس ... ولا بد من اتفاق سابق ، وان التغير آت من الانجليز ،
لا من الارادة الحرة للملك !

تجاربنا

غفلت عن هذا التحليل ، فى غمار النشوة التى بعثتها فىنا هذه الاقالة ..

وغفلت عنه فى غمار النشوة التى تلتها . اذ اصدر الرئيس الجديد امره بالافراج عن جميع المعتقلين .. وبدأت أعد نفسى للحرية ...

وكل من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الامل فى الحرية،

وكيف تتزاحم مشروعاتها على الراس ، وتتواكب صورها أمام
الخيال ...

ولكنني أفقت بعد ذلك بقليل .. أفقت من الآمال ، وأفقت
من الخيالات ، وافقت من هذا الطرب الذي غمرني عندما سمعت
أقالة النحاس .

فقد رأى أحمد ماهر أن يفرج عن جميع المعتقلين ... ولكنه
رأى أن فينا خطرا داهما يهدد النظام العام !

وبدأنا التحليل ، وتعمقنا في سر الاقالة ، وتكفلت الايام بعد
ذلك بإفشاء الاسرار !

وبدأت أضيق ذرعا بالمعتقل وأصبح وجودي فيه بعد ذلك
ضربا من المستحيل ... فوضعت خطة هربى وهربت فعلا ،
هربت في الشهر التالي لأقالة النحاس ، اى في شهر نوفمبر
١٩٤٤ ...

وبدأت اتصل سرا باخوانى في تشكيل الجيش ، واتصلت
سرا بالرحوم حسن البنا ، وأعمل سرا في سبيل الحصول على
ضرورات الحياة ...

انها فترة طويلة على قصرها ، لانها كانت مغامرة كاملة .. ولعل
القراء قد قرأوا طرفا منها بقلم غير هذا القلم .. ولعل اعود الى
ذكرها يوما من الايام بالتفصيل

ولكنني لا أفعل اليوم ، وقد حددت لهذه الصفحات المجهولة،
خطا تسير عليه ، يستهدف الكشف عن الاسرار التى يمكن كشفها
من تاريخ التمهيد لهذه الثورة ، وتاريخ تجاربنا خلال ذلك
التمهيد

خرجت من المعتقل لأكتشف عددا من الحقائق الجديدة
ولأعرف عددا من الاسرار ...

خرجت لأسمع حديث الملك ، عندما ذهب يزور تشرشل
في السفارة البريطانية ...

وكان حديثا عجيبا ... فالرجل الذي ضربه الانجليز -
أو ضربوا مصر كلها في شخصه ، لم يكن يخلق به ، ولا بكرامة
عرشه ، ولا بكرامة البلد التي « يملكها » ان يذهب بنفسه لزيارة
رئيس وزراء الانجليز ، الذي أصدر أمره بتحريك الدبابات الى
قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية ..

ولكن ... متى كانت لفاروق كرامة ، ومتى كان يعرف
كرامة لعرشه وبلده ...

القوة التي في الميدان

لقد ظننا هذا يوما ... وكنا في ظنوننا مخطئين ...
فالضربة التي اصابت كبرياء مصر من أجل الملك ، لم تصب أبدا
كبرياء الملك من أجل مصر ... لأنه لم تكن له كبرياء .

وخرجت لأرى قصر رأس التين ، القصر الرسمي الثاني في
البلاد ، وقد أمر الملك بتحويله الى مستشفى عسكري ، لا لجنود
مصر وضباطها ، الذين حاولوا الموت في سبيل عرشه يوم هوجم
عرشه ، ولكن لجنود الانجليز وضباطهم الذين تحركوا بالدبابات
يحطمون بها باب قصره الاول ، في قلب العاصمة ! ...

وخرجت لأرى فاروقا قد ترك كل ما كنا نرجوه فيه من
معاني الشباب والوطنية ، وارتدى بين أحضان جنود أميركا ،
وضباط أميركا ... يلعب معهم ، ويسهر معهم ، ويقوم برحلاته

معه ويلهو في لياليه معهم ... وكأنه رأى فيهم الجدار القوي
الذى يستطيع الاستناد اليه ، ان تخلى عنه الانجليز ! ...

وخرجت لاجرف السر في كل هذا ... فقد سيطرت على
الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى اقتحم فيه
قصره بالديابات والمدافع .. ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان
بالشر ! ...

أصبح الملك يخاف ... يخاف على حياته ، ويخاف ضياع
العرش منه ، حتى لقد كان يتتبع أنباء التحركات الداخلية لجنود
الانجليز ، فلا يكاد يسمع عن أى تحرك من تحركاتهم ، حتى يؤوله
بأنهم يقصدونه به ، وأنهم يعتزمون ازاحته عن العرش مثلما
ازاحوا من قبل بعض اسلافه ..!

وكان تصرفه الدائم في كل مرة من هذه المرات ، هو أن
يترك قصره ، ويهرب الى انشاص ... وكان انشاص كانت بعيدة
عن دبابات الانجليز !!

واذن فقد أصبح الملك العوبة في أيدي الانجليز ، ولم يعد
في استطاعتنا أن نعول عليه في شئ من خططنا ... بل لعل
الاسلم أن نعتبره ... من الأعداء ...

وهكذا ، ذهبت مع الأعداء ، صفوف الوفد وصفوف
السعديين ، وقوة الملك

ولم يبق في الميدان الا قوة الاخوان

هل نستعين بهم .. وهل نعول عليهم ؟

عاودت اتصالى بالمرحوم حسن البنا ، وأنا هارب من المعتقل
وتبسط معى حسن البنا بصورة لم تسبق له من قبل ..

فالبرغم من كل الصلوات التى قامت بينى وبينه كنت أشعر دائما
انه يقول شيئا ويخفى فى نفسه أشياء ..

ولكنه فى تلك المرة ، تبسط كثيرا وشرح كثيرا ، وافاض
كثيرا ... ثم ... ثم كلفنى بأمر !

شرح لى حسن البناء متاعبه التى تأتية من ناحيتين :

ناحية الملك .. وناحية الأجانب ...

وقال لى : ان الملك قد بدأ يشعر شعورا قويا بخطورة
دعوة الإخوان ، لما كان يسمعه من ان دعوتهم تقوم على ان
يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة

وقال لى : ان الملك يدبر أمره ليطيش بهذه الحركة : وانه
يخشى ان يضرب الملك ضربته ، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها .

العلاق الذى لا يقهر

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن البناء عن شعوره
بعدم وصول دعوته الى ذروة القوة والمناعة ... فقد كان دائما
يعطى سامعه صورة للجماعة ، أشبه بصورة العلاق الذى
لا يقهر ولا يخشى عليه ...

واستطرد بعد ذلك الى ذكر طرف آخر من متاعبه ، وكان
هذا الطرف ، هو موقف الأجانب من الدعوة ...

فقد بدأ يشعر بأن الأجانب أيضا يرهجون دعوته ، ويعتقدون
انها اذ تقوم على وجوب الأخذ بشريعة الاسلام ستتعرض حتما
لاعمالهم واموالهم ، وحررياتهم الممنوحة لهم بمقتضى القانون
الساند ، والدستور ..

وقال لى : ان هذه النظرة الموحدة الى دعوته ، من جانب الملك ، ومن جانب الأجانب ، تجعل الدعوة فى خطر جسيم ، فما أيسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة الى تحالف عملى للقضاء على الدعوة ، وعلى الجماعة التى تدعو اليها ... يومئذ لا يعرف من أين تصوب اليه الضربات !

واستمعت اليه ، منصتا ، ومناقشا ... ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة ، يريد أن يبدأ بها حديثا جديدا وبدأ حديثه الجديد ...

قال لى : انه يريد أن يضع حدا لهذه المتاعب ، وانه يعتقد ان الاجانب يمكن أن يطمئنوا الى الدعوة ، لو اطمأن اليها الملك ونظر فى عيني طويلا وهو يقول :

انا أستطيع ان أكسب طمأنينة الملك ، لو تقابلت معه .. وكان وجهه ينبىء فعلا عن الثقة الكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك .

وظهرت هذه الثقة أكثر وأكثر ، وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفسه جميع الاوهام والشكوك لو تيسرت له مقابلته ... مرة واحدة !

ثم أوضح لى انه لا يريد أن يبدأ مع الملك سياسة وفاق ، او تعاون ... ولكنه يريد أن يشيع جوا من الطمأنينة ، فى نفس الملك ، يجنب به سفينة الاخوان أية عقبات تعترض الطريق .

وقصد الى هدفه بعد ذلك مباشرة ، فقال لى : أنت تعرف يوسف رشاد .

قلت له : نعم ... أعرفه ، وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة فقال : ويوسف اليوم ذو حظوة ، فلو استطعت أن تشرح له

هدفى ... وأن تفهمه أنى لست خطرا على الملك ، ولا أريد أن
أكون خطرا ، لأمكنه اقناع الملك بمقابلتى ...

واجبته أنا : أحاول ... !

ومضيت فى تلك الليلة ، ابحت الامر بينى وبين نفسى ...
هل أقوم بهذه الوساطة ، وكيف أقوم بها ... وما مدى ما يمكن
أن يتسرب عليها ؟ . وكنت اذ ذاك لا أزال هاربا أعيش متنكرا
واتحاشى الظهور فى أى مكان .

ولكنى مع ذلك .. ذهبت الى يوسف رشاد .. وأبلغته
رسالة حسن البناء ، فناقشنى فيها ، ثم وافق على أن يلعب
هذا الدور .

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى : لقد فاتحت
الملك فى هذا الامر ، فى محادثة تليفونية بينى وبينه واذا به يقطع
حديثى قطعاً ويوجهه وجهة أخرى وقابلته بعد ذلك فقال لى .
- كيف تكلمنى تليفونيا فى امر كهذا ، الا تعلم ان حسن
رفعت يراقب التليفونات ؟!

ودهشت انا عند سماع هذه الكلمة .. فقد فهمت منها
انه يخشى المراقبة ، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية
المصرية !

وعاودت الاحاح على يوسف رشاد بعد ذلك . وفى هذه
المررة ، استطاع يوسف أن يحصل على اذن من الملك ، بأن يقابل هو
أولا حسن البناء ، ويستمع اليه ... وينقل حديثه الى الملك ليرى
ان كان يقابله ...

وكدنا نحدد موعد المواجهة بين حسن البنا ويوسف رشاد ... وفي احد الايام كنت في منزل يوسف رشاد فدد جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم ... واستمع يوسف لحظات قصيرة .. ثم قال : حاضر ... وانتهت المكالمه ... ونظر الى يوسف وقال لى : ان الملك يقول :

— الغ كل ما قلته لك بشأن حسن البنا ..

ويست انا من المحاولة ، وخصوصا انى كنت أقوم بها في حالة تنكرى واختفائى ... وابلغت حسن البنا بىأسى ... وموت أيام .. وسقطت الاحكام العرفية ، وبدأت أظهر من جديد ..

اتحاد الكلمة

وكن في بيتى بعزبة النخل في احدى الليالى ، عندما أقبل حسن البنا ، ومعه المرحوم محمود لبيب ، فتناولا معى طعام العشاء ...

وأخذ حسن البنا يتحدث عما يمكن أن تجنيه البلاد اذا ما اتحدت الكلمة ، وهدأت شكوك الملك في الأخوان ... ولكنه كان في هذه المرة شديد التحفظ يكفى بالتلميح عن التصريح ، لوجود المرحوم محمود لبيب ...

وفهمت انا انه يريد منى أن أعاود الكرة ، والى في تدبير مقابلة له مع الملك ... فامحت به بدورى ، بأنى سأفعل ..

وفي اليوم التالى ، قصدت الى الاسكندرية ، فقد كان الملك هناك في تلك الايام ، وكان يوسف رشاد الى جانبه ، وتحدثت مع يوسف رشاد في الأمر ، وأقنعتة بمعاودة المحاولة ...

وبذل يوسف رشاد جهدا كبيرا مع الملك ..
وضحى في سبيل ذلك تضحية .. كانت كبيرة في ذلك
الوقت ! ...
فقد غضب منه الملك ، واقصاه عن صحبتة عشرة ايام
طوال .. وعندما عاد يقربه ، قال له : اياك أن تغاتحنى مرة أخرى
في هذا الموضوع !

اخلاص حسن البنا

وللتاريخ بعد ذلك اذكر ، أن الملك في يوم من الايام ، قد دعا
اليه يوسف رشاد ، وطلب منه أن يتصل بحسن البنا ، وأن
يستمع الى ما كان حسن البنا يريد أن يقوله له ..
والتقى يوسف رشاد بحسن البنا وتحدث معه ثلاث
ساعات .

وقال لى يوسف رشاد : انه خرج من هذه المقابلة ، مقتنعا
تماما بخلوص نية حسن البنا نحو الملك .. وانه ذهب الى الملك
فنقل اليه كل شيء ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له : حسن البنا
ضحك عليك !!

وحاول يوسف رشاد أن يدافع عن نفسه ، وأن يقنع الملك
بأنه ليس بالنماذج الذى يضحك عليه الناس ... ولكن الملك
نقل اليه كل شيء ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له : ضحك
عليك ...

هذا ما قاله لى يوسف رشاد ...

وقال لى ايضا بعد ذلك بأعوام ان الملك في أواخر عهد
ابراهيم عبد الهادى قال له :

— احنا غلطنا في ضربة الاخوان . وحقنا نرجع لسياستنا القديمة ...

الله أعلم !

وسألت يوسف رشاد ، وما هي السياسة القديمة ... فقال :

— صدقنى ... أنا لا أدري ... ولكن يبدو أن صلة أخرى قد حدثت بين حسن البنا وبين الملك عن طريق غير طريقى .. وان الملك قد اتخذ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦ موقفا معينا من الاخوان ... ثم عدل عنه بعد حرب فلسطين ...

قال لى ذلك ... ثم قال : والله أعلم ...

هذه هي العناصر التي كانت في الاجواء خلال الفترة بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ وفى هذه الفترة ، كان جمال عبد الناصر قد بدأ خططه الجديدة ..

خُطُوطُ الثَّوْرَةِ

- ♦ يوم السلام وسلاطان
الظلام ..
- ♦ الجيش والشعب مظلومان !
- ♦ الملك والأحزاب في خدمة
الاستعمار
- ♦ من الذى تقدم لحماية
الملك .. ؟
- ♦ الفساد والرجعية والحزبية
البغيضة ! ..
- ♦ لابد من قوة تقضى على
الإقطاع ..

يستطيع قارئ هذه الصفحات ان يبدأ من هنا فصلا جديدا
كاملا من تاريخ هذه الثورة .

وهو فصل يختلف في كثير عما تضمنته الصفحات السابقة . .
فحيث قام التمهيد الاول ، للثورة ، على أساس أكثره عاطفي ،
وحيث استطاعت الظروف والاحداث والتقلبات السياسية ان تكون
عاملا اساسيا في دفع خطواتنا الاولى وتوجيهها . . واملاء اعمال
واتصالات معينة علينا . . فان الشطر الثاني من هذا التمهيد
الطويل للثورة ، أو الفصل الثاني الذي نبدأ تاريخه اليوم يتميز
أول ما يتميز بسيطرة العقل على كل خطواته ، التي بدأت تقوم على
أساس معين مدروس ، ولهدف محدد مدروس . . وفي تتابع منطقي ،
لا صلة للاحداث الوقتية به ، اللهم الا صلة العوامل المساعدة على
زيادة الوعي بين عناصر الشعب والجيش ، وبعث اليقظة الحقيقية ،
واشعار الافراد بأن القضية قضية كل منهم . . وأشعارهم بضرورة
الثورة . .

وان كانت الصفحات السابقة ، قد حوت أعمالا ، واتصالات
أساسها انفعالات فردية أو شبه فردية بالاحداث . . . فلن تضم
الصفحات التالية سوى أعمال ، تنظيمية ، تنتفي منها الروح
الفردية ، ويسيطر عليها عقل التشكيل المنظم ، ونتائج المناقشات
والابحاث بين العناصر التي اجتمعت وتآلفت ، وحددت أهدافها .

لقد آن وقت العمل الجماعي المنظم .. وبدأ جمال عبد الناصر
بحرج من صمت المراقب ، الى حركة القائد الذي يعد العدة لأكبر
معركة تنتظرها مصر منذ غلبت على امرها تحت اقدام الطغاة ..

يوم السلام

لو قدر لهذا الفصل ان يوضع تاريخ لبدئه .. لأمكن ان يقال
انه بدأ في ٨ مايو ١٩٤٥ ، نحدد هذا التاريخ ، ولا نقصد به ان
اعمالا معينة بدأت في هذا اليوم بالذات .. وانما نعني فقط ان
هذا اليوم ، قد وضع حدا لفترة من تاريخ العالم ، تبدأ بعدها فترة
أخرى .. ومصر ، كجزء من العالم ، تتأثر حتى بأحداثه الكبرى
كما ان ظروفها الداخلية ، كانت لابد ان تتأثر ، بهذا اليوم
ايضا .

انه يوم انتهاء الحرب في أوروبا ..

اليوم الذي انتظره العالم طويلا ، وخدع به العالم كثيرا

فقد سمي يوم السلام !

وقد سمي يوم النصر !

واعتقد الناس ، او هكذا ضللهم سادة الغرب ، ان العالم قد
بدأ حقبة حقيقية من السلام .. وان قوى الخير قد انتصرت فعلا على
سلطان الظلام ، وان هذا الخير سيعم جميع الامصار والشعوب ،
وان المواثيق والعهود التي كانت تبرم وتقطع خلال فترة الحرب ،
ستصبح منذ اليوم حقائق بارزة في تاريخ الإنسانية .

ولم يقل أحد لهم أبدا ، ان سلطان الظلام قائم في نفس القوى
التي كانت تحاربه ، وان المواثيق والعهود ، قد اعدت لاحاديث
الندعاية في اذاعاتها ونشراتها وافلامها وصحفها ، وانها ستصبح

تاريخاً بمجرد انتهاء الحرب • ألم تكن قد سمعنا بميثاق الاطلنطي
والم تكن قد قرأنا عنه في مئات من الصور المختلفة ، والم تكن
تشرات الدعاية واذاعاتها تقول حينئذ ان هذا الميثاق يجب ان
تتضمنه محفوظات تلاميذ المدارس لانه دستور الحياة والكرامة
والعدالة التي تمخضت عنها الانسانية بعد ابشع مجزرة شهدتها
الحياة •

كنا نسمع هذا ، كما كان العالم يسمعه ، وكنا ننتظر اليوم
الذي تضع فيه الحرب أوزارها ، لا ايماناً منا بصدق هذه الدعايات ،
ولكن لنبدأ خطي جديدة على أرض واضحة المعالم ••

فقد كان انتهاء الحرب عندنا يعنى أشياء كثيرة ••

يعنى تبلور الاوضاع بصورة لا تسمح بالفروض ولا المخادعات
ولا الاحتمالات •• وانما تسمح بشيئين اثنين •• لاجود لثالثهما :
العمل لمصر •••• والعمل ضد مصر •

ولكل من العملين طريق واضح ، ومظاهر لا تخفى على أحد •
وليس بين الطرفين طريق وسط •

هذا هو اول ما كان انتهاء الحرب يعنيه بالنسبة الينا •

وكان يعنى شيئاً آخر ••

كان يعنى قرب انتهاء الاحكام العرفية •••• الكابوس اللعين
الذى وضع مصائر الاحرار تحت رحمة مخابرات الانجليز وجواسيسهم
والذى كان يتهدد كل من يحاول ان يخطو خطوة وطنية واحدة
خلال اعلانها ••

وان لم تكن هذه هي الفرصة المناسبة لبدء العمل المنظم ،
فليست هناك فرصة أخرى ••

ولم جمال عبد الناصر هذه الفرصة التي كان قد فكر فيها
طويلا خلال الحرب .
ثم بدأ ينظم خطوته ، ويحدد أعوانه ، ويرسم خطواته لهدف
كبير .

وكان جمال الذي يعمل ، هو جمال الناضج الذي مرت به
تجارب السنوات الست الكثيرة ، سنوات الحرب ، وما تخللها من
احداث داخلية وخارجية ، وما رآه فيها من هزات عنيفة ، ومن
محاولات وطنية وأخرى خائنة . . . ومن بطولات زائفة ، وأساليب
خادعة ومن أوضاع غريبة حلت بالجيش ، أو فرضت عليه ، ومن
دعايات مثيرة ، غرق فيها الشعب وتهدف كلها الى تضليله لكي
يكسب الاستعمار وأذنا به من الحونة وأصحاب المصالح والحكام
الفاسدين .

وكان جمال يرى أن هذه الظروف والاحداث والصور قد مرت
بغيره مثلما مرت به . . . وان هذا الغير قد تأثر بها وانفعل ،
واكتسب وعيا جديدا ، نشأ في فترة الحرب وآن له أن يتجمع . . .
وأن يعمل وعيا في كثير من عناصر الشعب ، وعيا في كثير من عناصر
الجيش . . . وعيا لا بد ان يحرك اصحابه الى عمل معين أو اتجاه معين
. . . ولا بد لكي تنجح خطى اصحابه ، أن تتجمع وان تتوحد وان
تتحد اهدافها .

الجيش والشعب

وكان أيضا يرى عقبات في الطريق

فعلى الرغم من ثقته بأن العناصر الواعية في الجيش ، تسيطر
عليها نفس الافكار والمبادئ التي تسيطر على العناصر الواعية في
الشعب . . . وعلى الرغم من شعوره بأن ما يسخط منه أفراد الشعب

وجماعاتهم هو عين ما يستخط منه ضباط الجيش وجنوده .. وعلى الرغم من ثقته بأن المعركة التي يجب أن تبدأ هي معركة الجيش والشعب معا .. الا انه كان يشعر بانعدام ثقة الشعب في الجيش وانعزال الجيش انعزالا ظاهرا عن قضايا الشعب ..

فقد كانت صورة الجيش في ذلك الوقت هي صورة «الكرباچ» الذي يلهب به الطغاة ظهور ابناء الشعب ، وهو سيف التهديد الذي يملكه الحاكم ويملك ان يسخره ضد هذا الشعب كلما ثار أو سخط انها الصورة التي رسمها الانجليز وشاركهم في اظهارها ، ووضع الاطار حولها ، حلفاؤهم : القصر ، والاحزاب .

وأصبح الشعب لا يخشى الملك ، لا لانه مقدس ، أو لأن القانون يحميه ، ولكن لانه القائد الاعلى للجيش ، والمسيطر على تبحركاته ، والامر فيه والنهي ..

والجيش مظلوم ..

والشعب مظلوم ..

فلم يكن جيش مصر أجنبيا عن ابنائها ، ولم يكن جيشا من المماليك أو المرتزقة .. ولكنه كان جيشا من الشعب .. مشاكله هي نفس مشاكل الشعب ..

ولم يكن الشعب يجهل هذه الحقيقة ولكنه كان يضلل عنها بأساليب كثيرة وفي مناسبات متعددة ، تجعله يخشى جيشه ، وكأنه جيش احتلال .

كانت هذه هي الحقيقة الاولى في الموقف .. ان الشعب يعتقد ان هذا الجيش هو جيش فاروق لا جيشه .. وانه يائس من امكان القيام بالثورة الكبرى ، لان الجيش عندئذ لن يثور في صفوفه ، ولن

يقاتل دفاعا عن مطالبه . وانما سيقف في وجه أبنائه يضربهم
بالحديد والنار ، ويحطم معنوياتهم ، وينصر عليهم الظالم والطاغية
والمحتل .

وكان حاجزا ليس من اليسير تحطيمه ، فليس من اليسير أن
تخلق ثقة وإيمانا ، حيث لا ثقة ولا إيمان .

وكان هناك الى جانب هذا العمل حلف آخر كبير .. جمعت
عناصره مصالح مشتركة كثيرة .

وكان هذا الحلف ، يجمع بين الملك والأحزاب ، والرجعية ،
ويعمل بوحى الاستعمار ، أو يعمل لصالحه .

وقد لا نذهب وراء الاستنتاجات كثيرا .. فنتهم عناصر هذا
الحلف بالخيانة العامة .. ولكن شيئا في الوجود لا يستطيع أن ينفي
عن هذه العناصر جميعا ، أنها كانت تخدم الاستعمار ، ضالة .. أو
عامدة .

فأما الملك .. فقد كان عامدا متعمدا فاهما لما يعمل حق
الفهم . كان الملك قد عرف تماما أن الهوة سحيقة بينه وبين هذا
الشعب .. وكان الذين حوله ، من الحاشية الفاسدة والرواد
الخائنين .. قد أقنعوه تماما ، بأن كل تقرب من ناحيته الى الشعب ،
سينزيد من نهم هذا الشعب في مطالبه .. وأن هذا الشعب ان لم
يضرب بالسياط سيتغول ، ويتحول الى خطر داهم عليه وعلى أسرته
وعلى عرشه أيضا .

وكان حسنين يقول بلسان الملك : « لقد عرض الملك عرشه
في الطريق فلم يتقدم لانقاذ هذا العرش أحد من أبناء شعب مصر » ..

وهو يعنى يوم ٤ فبراير ، حينما تحدى الانجليز .. فلما
انتصر الانجليز عليه وعين النحاس رئيسا للوزراء ، هتف الشعب

للنحاس ولم يلتقط عرشه الذى القى الانجليز به .. فى الطريق !
وكان حسنين يبرر بهذا مسلك الملك ، الذى بدأ من تقربه
للانجليز ، وخضوعه لاوامرهم وبيعه نفسه لهم ... فالملك بحاجة
الى من يحميه ... وقد أثبت الشعب ، فى ٤ فبراير انه غير مستعد
لحماية الملك .

أحزاب الأقلية

وكان فى هذا الحلف مع الملك .. أحزاب الأقلية ، التى لم
تحلم يوما بالوصول الى مقاعد الحكم عن طريق انتخابات نزيهة بريئة
عن التزوير ، وكانت هذه الاحزاب منذ نشأت تعرف أن طريقها الى
الحكم هو الايقاع بين حزب الأغلبية وبين الملك ، والاعتماد على قوى
السلطة المحتلة والسلطة الداخلية فى حكم البلاد .

وكانت لذلك تأتى الى الحكم بغیضة كريمة ، وتذهب عنه
عشيرة بلعنات شعب مصر .

ولكن الطريق قد دخلت عليه عوامل جديدة بعد ٤ فبراير ..
وجدت هذه الأحزاب فرصتها لتضليل الشعب بما تزعمه من وطنية
الملك ، ومن انها تأتى الى الحكم ، لتنتقم للوطنية المصرية من قبول
حزب الأغلبية الحكم على حزاب الانجليز .

وبهذا بدأ الشعب يتعرض لحملة تضليل كبيرة مثيرة تشنها
عليه أحزاب الأقلية ، متحالفة مع القصر .. مع الملك وأعوانه
ورواده وحاشيته .

أما حزب الأغلبية .. فقد أغرق فى الفساد ، وداخلته
شياطين الشهوة فُضم اليه الاقطاعيين والسامسة .. وربط
بمصالحهم مصيره ، وبدأ هو الآخر يتعزل عن تمثيل الشعب ، تمثيلا
صحیحا يقوده به الى أهدافه الحقيقية .

لقد تمثلت ديكتاتورية الأغلبية في أبشع صورها وأصبح من العيبت التفكير في اصلاح هذا الحزب بعد أن قوض بنفسه الأساس الشعبى الذى يقوم عليه .

ولم يكن هذا وحده هو كل شيء فى الجانب الآخر ، كانت هناك أيضا حملة الرجعية المتجربة بالقيم الروحية لشعب مصر .

وشعب مصر شعب مؤمن متدين ولكن الايمان والتدين شيء ، ومحاولة استغلال هذه الحقيقة العميقة فى الشعب ، استغلالا يحولها عن الفاية السامية منها تحويلا كاملا .. شيء آخر .

فالايان والدين خيران أصيلان فى طبيعة شعب مصر .

والاتجار بالدين شر مستطير يخلق للدين أهدافا غير أهدافه ، ويجعل منه عاملا رجعيا يستتبع الجمود والتحجر ، ويفسد الجماعات .

أمراض الشعب

ولكن هذا هو الموج المتلاطم الذى يحوط سفينة الشعب .

استعمار قائم .. احلاف من القصر والأحزاب والرجعية .. ودعايات تنصب انصبابا فوق رغوس هذا الشعب المسكين ، وكلها تحاول أن تنحرف به عن دوره الحقيقى فى المعركة الى ادوار كثيرة أخرى تخدم أهداف الاستعمار وحلفائه المستترين والظاهرين .

وفوق هذا كله .. فهناك جبهة الشعب أيضا ، وما تعانيه من أمراض .

أمراض وراثية بعيدة الغور متأصلة الجذور .
أمراض أوزته أياها ذله الطويل تحت سياط الاقطاع والملوك
والطغاة وجيوش الاحتلال .

أمراض منها التردد ، ومنها النفاق ومنها الاستسلام للواقع
ومنها الخوف .. ومنها ، ومنها .. ومنها !

أمراض لا سبيل الى بعث هذا الشعب ، الا باستئصالها ، ولا
سبيل الى استئصالها الا بإزاحة اسبابها من الطريق .

لا بد من قوة

فلا بد اذن من قوة تعمل لازاحة هذه الاسباب ...

لا بد من قوة تزيل من البلاد الملكية الطاغية لتزيل بعد ذلك
آثارها .

ولا بد من قوة تقضى على الاقطاع قضاء مبرما لتستطيع بعد
ذلك ان ترفع مستوى الشعب، ومعنوياته ، وتزيل منها اثار الخضوع
والخنوع والاستسلام والخوف .

ولا بد من قوة تقود الشعب كله للذود عن حقوقه وحريته
المقدسة التي سلبها منه الاستعمار قرونا وقرونا حتى فقد الشعب
الامل في الخلاص منه ... او كاد يفقد هذا الامل .

ولا بد من قوة تستطيع ان تقف في وجه الأحزاب التي تستغل
الشعب لتخدم مصالحها ومصالح الانجليز ، وتقف في وجه الرجعية
التي تضلل الشعب ، وتنحرف به عن طريقه الذي رسمته له فطرته
السليمة طوال القرون الماضية ، وتثبت اقدامه في طريق التطور
والنهوض .

لا بد من قوة تصنع كل هذا .. لتصل بالشعب الى الامل
الذي يراوده : ان يحكم نفسه بأيدي أبنائه ، وأن تكون له بنفسه
الكلمة العليا في مصيره .

ولم تكن هناك قوة تستطيع أن تقوم بهذا العمل ... غير الجيش .

الجيش الذي لا يثق به الشعب ، والذي يعتبره سوطا يلهب ظهره بأمر الطغاة ، والذي استطاع الاستعمار وأعوانه أن يعزلوه عزلا كاملا عن الشعب الذي ينبت منه .

هذا الجيش الذي كان يطمع الشعب في معاونته ، ولكنه وجد نفسه بمثنأى ومجزل عنه .

وبدأ جمال يرقب هذه الجبهات ، الأعداء ، والمملك ، والأحزاب ، والرجعية ، والانحلال الذي بدأ ينخر في عظام الأمة .

ووضع جمال عبد الناصر هذه العوامل والقوى جميعا امام ناظرية ، ثم بدأ .

بدأ يرسم الوسيلة ... ويضع الخطوط ، ويعد التنظيم الذي يستطيع أن يقود الجيش الى معركته الكبرى باسم الشعب .

بدأ يصنع ذلك ، في الفترة التي تلت يوم ٨ مايو ١٩٤٥ .

يوم النصر كما سماه الانجليز .

اللبان الخمس

- ♦ فتحنا دكانا لبيع
الزجاجات القديمة
- ♦ الادارات الثلاث
- ♦ كان سلاحنا زجاجات
مولوتوف
- ♦ الذين « وصموا » باثكفاح
الوطني
- ♦ كانت الصداقة هي أساس
التشكيلات .

بعد الدراسة المستفيضة التي قام بها جمال عام ١٩٤٥
للموقف ، وما يحيط به من ظروف وملابسات قرر ان يبدأ العمل
الداخلي في الجيش .

والذين يعرفون « جمال » يعرفون انه رجل لا يبدأ عملا حتى
ينتهي تماما من بحث جميع تفاصيله ، ولا يخطو خطوة حتى يدرس
الارض التي سيخطو عليها ، ويتبين جيدا معالم طريقه يدرس قبل
كل هذا ، ما سبقها من خطى .

ويوم قرر جمال أن يبدأ عمله التنظيمي الجديد .. كان كمن
يقف في منتصف طريق متصل .. وراءه خطوات تتلاشى مع الليل ،
وامامه خطوات تبدو مع النهار .

وكان لا بد له أن يسلط اضواءه القوية على الليل الطويل
من خلفه ، ليدرس كل خطوة من الخطى السابقة . فقد تعود أن
يستفيد من هذه الدراسات وأن يكسب كثيرا من التأمل في أفكاره
السابقة ، وفي أفكار الآخرين .

وقد كان هناك شبه تنظيم حركي لنا ، قبل عام ١٩٤٥ وكان
هذا التنظيم المبدئي ، هو أول شيء أكب جمال على دراسته ، يوم
أراد أن يبدأ العمل الجديد .

كنا قبل عام ١٩٤٢ قد انتهينا في تنظيم أنفسنا ، الى تشكيل

خمس ادارات رئيسية . تنفرد كل منها بدور خاص في خدمة التشكيل .

وكانت هذه الادارات على التوالي هي.:

- ١ - الادارة الاقتصادية .
- ٢ - ادارة التشكيلات .
- ٣ - ادارة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية .
- ٤ - ادارة الارهاب .
- ٥ - ادارة الأمن .

وكانت ظروف كثيرة قد اقتضت ان ننشئ هذه الادارات الخمس ، لنحقق عن طريق كل منها هدفا معينا ..

وقد نجحنا في بعض ما أملناه منها وفشلنا في بعضه الآخر ..

ولكنها جميعا قد قامت بواجبها في ظروف الحرب القاسية ، واستطعنا عن طريقها أن نحقق كثيرا من الأعمال التي كنا نقررها .

وقد تبدو أسماء هذه الادارات أسماء ضخمة ، فيخيل لسامع كلمة « ادارة الاقتصاد » او « الادارة الاقتصادية » مثلا ، انها كانت إدارة منوطة ببحث المسائل الاقتصادية أو المالية للبلاد أو تصميم السياسة الاقتصادية المستقبلية عند نجاح فكرتنا ..

قد يبدو شيء من ذلك ... وعندئذ تبدو مهمة هذه الادارة عندما تفصح عنها ضئيلة هزيلة ..

فقد وجدت هذه الادارات لتكون في خدمة التشكيل وخدمه ، من حيث هو تشكيل عسكري داخل الجيش ..

وكانت لكل منها أهمية قصوى ، عند انشائها ، والى كل منها يرجع جانب من نجاح هذا التشكيل فى الاحتفاظ بكيانه خلال سنوات الحرب ، وما يحيط بالكفاح فيها من خطر ..
وسأضح أمام القارئ هنا صورة لكل من هذه اللجان ، أو الإدارات ، ووظائفها وأهدافها ..

الإدارة الاقتصادية

نشأت فكرة هذه الإدارة نتيجة للواقع الذى درسناه فى ماضى المكافحين والذى توقعناه لأنفسنا .

فالذى يدرس تاريخ الكفاح الوطنى فى مصر ، والذى يدرسه فى بقاع الأرض جميعا ، يعرف دون مشقة كبيرة ، ان من أهم العوامل التى تعوق المكافحين عن مواصلة الكفاح ، والتى تثبط همم المقبلين عليه لقمة العيش .. لقمة العيش التى لا يفرى الحصول عليها ، ولكن يرهب الحرمان منها .

ولنحصر أنفسنا فى تاريخ مصر لنرى صور المكافحين الذين سبقونا ، وكيف جعل الاستعمار وحكوماته منهم عبدا ، ورموزا للشقاء ، ترهب كل من تحدثه نفسه بالكفاح ..

فقد كان من « يومئذ » بالكفاح الوطنى ، ينظر حوله فلا يجد بدا ثمة إليه ..

لا يجد عملا فى حكومة ، ولا فى شركة من الشركات .. ولا رعاية من أصحاب الوطنية والمتجرين بالكفاح ..

وانظر الى الذين حكم عليهم بالسجن سنوات كثيرة وصلت الى حد الأشغال الشاقة المؤبدة فى عام ١٩١٩ وما تلاه من أعوام الثورة المصرية المجيدة ..

منهم من عفى عنه قبل أن تنقضى مدة عقوبته .. ومنهم من
تضامها كاملة في الشقاء ..

فانظر الى الفريق الاول ، تجده قد انقسم طائفتين : طائفة
غنمت الغنم كله فأصبح منها الزعماء والحكام والثرأة وأعضاء
مجالس الشركات الكبرى والمساهمون فيها وحملة الألقاب والرتب
والتياشين ..

هذه طائفة ...

وطائفة غرمت الغرم كله .. خرجت من السجون لتجد
تعاسة الحياة .. لتجد عقوق الوطن والأصدقاء وزملاء الكفاح ،
لتعيش مشردة تسعى الى لقمة العيش ، فان لم تجدها - وما
وجدتها - في رعاية الوطن ، ذهبت تقفاتها في معسكرات الانجليز!

وأما أولئك الذين خرجوا من ظلام السجون بعد انقضاء
مدة عقوبتهم .. فياويلهم .. ! خرجوا للنسيان والتشرد ..
خرجوا أشبه بفاقدى الرشد .. تزوغ أعينهم في جنبات الوطن ..
لترى الشباب يهتف للزعماء ، ويهتف للحرية .. ولو نظر أمام
عينيه لرأى كيف يكون عقوق الزعماء ، والى أى مصير ينتهى رواد
الحرية والمكافحون عنها ..

وكانت هذه الأمثلة كلها أمام أعيننا في تلك الفترة التي
أقدمنا على اجتيازها بجرأة الشباب ، وحماسة الذين وهبوا للجهاد
أنفسهم ..

وقلنا اننا بشر ..

واننا لا نريد أن يتعرض أحدنا لمثل ما تعرض له هؤلاء
المساكين ..

وان علينا أن نتدبر أمر تمويل هذا التشكيل بحيث يصبح قادرا على اعادة أى فرد منه يتعرض لنكبة من هذه النكبات ..

ونشأت هذه اللجنة .. لجنة كل مهمتها جمع المال ، واختزانه واستثماره - ان أمكن - بوسائل مأمونة لا تكشف عن حقيقتها ، لكي لا نسير فى طريقنا ، وظهرنا من هذه الناحية مكشوف ..

وبدأت هذه اللجنة تكون لها رأس مال ..

وبدأته فى حقيقة الأمر على حسابنا ..

فكلفتنا أن يضغط كل منا ميزانيته ضغطا شديدا ليرى كم جنيها - أو كم قرشا ! - يستطيع أن يقطعته من مرتبه كل شهر لصالح التشكيل ..

وفعلنا ..

وكلفتنا بعد ذلك ، أن يستدين كل منا على مرتبه قيمة شهرين من أحد البنوك ، كما يفعل كثير من الموظفين ..

وفعلنا .. أى فعل أعضاء التشكيل جميعا الا أنا فقد أعفتنى اللجنة من هذا التكاليف لأنى اذ ذاك كنت المتزوج الوحيد بين أعضاء التشكيل ، وكنت أنفق على أولادى وزوجى من مرتب « اليوزباشى » المعروف .. !

وعلمت اللجنة ان الفريق عزيز المصرى قد باع محصول حديقته من ثمار المانجو بخمسين جنيها فاستولت على هذه الجنيهاات الخمسين !

ولم تجد وسيلة للتمويل السريع بعد ذلك .. فاكثفت ! وكان يمكن لرأس المال البسيط ، الذى جمعناه حينئذ ان

يكون نواة لا بأس بها لتمويلنا . ولكن عام ١٩٤٢ جاء بأحداثه التي قررنا خلالها الاستعداد لإبادة الانجليز العائدين من العلمين . . . وكانت وسيلتنا الى ذلك الزجاجات المعروفة بـ «مولوتوف» والقنابل والمسدسات المصنوعة محليا ، والمفرقات . .

وكانت المشكلة في هذه الحطة ، هي مشكلة الحصول على الزجاجات الفارغة . . فوظفنا لذلك رأس المال . . ثم فكرنا في كيفية استخدامه . .

وكان ان فتحنا « دكانا » لتجارة الزجاجات الفارغة ، وأجلسنا فيه رجلا أمينا ، أخذ يتعرف ببائعي الزجاجات الفارغة المتجولين . . حتى عرفوه واعتادوا ان يعودوا اليه آخر كل نهار ، بما جمعه من الزجاجات الفارغة . .

ولم يكن هذا الفيض يكفي ، فذهبنا الى سوق الزجاج بشارع كلوت بك وابتعنا منه ما يلزمنا . .

كنا بحاجة الى عشرات الالوف من الزجاجات الفارغة . . وكان رأس المال الصغير الذي جمعته لجنة الاقتصاد هو الذي مكنا من اتمام هذه العملية . .

وعلى الرغم من ان المال الذي جمعته هذه اللجنة لم يستثمر ، ولم يستعمل فيما جمع من أجله . . الا ان وجود هذه اللجنة كفكرة ، ظل ماثلا امام جمال عبد الناصر وهو يعد عدته للتنظيم الجديد . .

لجنة التشكيلات

واللجنة الثانية ، أو الادارة الثانية ادارة التشكيلات . .

وكانت لهذه الادارة أهمية خاصة نظرا للعمل الخطير الذي كانت منوطة به . .

فهى التى كانت تجمع العناصر التى يمكن ضمها إلينا من ضباط الجيش فى مختلف الأسلحة ..

وهى التى كانت تبسب هذه العناصر باعتبار أسلحتها واختصاصاتها وتكون منهم الخلايا والتشكيلات المختلفة ..

وهى التى كانت ترأب مدى تقدم التشكيل أو تأخره بما لديها من المعلومات البقية عن عدد الضباط الذين ينضمون إلينا والذين يخرجون علينا .. ومعرفة أسباب زيادة الأقبال على التشكيل أو نقصه ..

وكانت هذه اللجنة هى وحدها التى تعرف جميع الضباط الذين ينصروننا ، وهى وحدها التى تعرف - فعلا - مدى قوتنا ..

فعلى الرغم من أننا حرصنا منذ البدء على أن يضم تشكيلنا ضابط من كل سلاح يكون مسئولا عن صلة سلاحه بالتشكيل إلا أن هذا الضابط نفسه لم يكن فى أكثر الأحيان يعرف أكثر ضباط سلاحه .. لأنهم ليسوا من دفعته .. أو لأنهم لم يخدموا معه فى مكان واحد ..

أما هذه اللجنة فكانت مهمتها أن تعرف الجميع ... وأن تجمعهم لا على أساس اختبارات الجمعيات السرية المختلفة ولكن على أساس الصداقات القائمة بينهم وبين بعضهم .. فقد كان أساس تشكيلاتنا ، هو الصداقة التى تخلق الثقة وتنفي الشكوك .. وكان مفروضا أن تنتهى مهمة اللجنة عند هذا ، وأن تحيل أمر الضباط الذين يخرجون على التشكيل إلى لجنة الأمن .. ولكننا لم نكن تقدمنا فى أساليبنا فى الفترة الأولى إلى هذا الحد ...

وكانت هذه الصورة للجنة التشكيلات هى التى وجدها جمال أمامه .. عندما بدأ تنظيمه الجديد ..

لجنة الدعاية

واللجنة الثالثة كانت لجنة للدعاية والاتصال بالكتل الشعبية ولم تكن هذه اللجنة تفتعل الدعاية ولا كانت تلجأ الى الأساليب الشائعة فيها كطبع المنشورات أو مراسلة الصحف .
وانما كانت تسير الأحداث لتثير مناقشات عارضة تستعرض فيها الحالة العامة ، في جلسات الضباط في « ميساتهم » أو بين الشلل المختلفة في منازلهم ..

وكانت الحوادث التي تقع في تلك الفترة الكثيرة الأحداث ، هي التي تدفع بدعايتنا كثيرا الى الأمام ..

ومن أهم الحوادث التي استغلتها لجنة الدعاية حادث تسليم فرنسا عام ١٩٤٠ وما تبعه من انعزال انجلترا ووقوفها وحيدة أمام العدو ، مما كان يثير حماسة الضباط لكل فكرة تقول بضرب انجلترا في محنتها ، لانها لن تسلم بمطالبنا ، ولن تخرج من بلادنا الا وهي مرغمة صاغرة ..

ومن الأحداث التي دفعت بدعايتنا كثيرا الى الأمام أيضا في تلك الأيام حادث الأمر الذي صدر اليه بتسليم أسلحتنا للانجليز ، ورفضنا هذا الأمر ، وحادث خروج على ماهر يعسد بيانه المعروف .. ثم أخيرا حادث { فبرابر الذي غطى على كل ما عداه ! ..

هذا من حيث الدعاية داخل الجيش ، أما الاتصال بالكتل الشعبية فقد كان هم هذه اللجنة أن تقوم بعملية موازية تماما لعمليتها الأولى داخل الجيش .. وهذه العملية الجديدة ، هي جس نبض الكتل الشعبية ومعرفة اتجاهاتها ومدى تأثيرها بالحوادث المختلفة .. ونوع هذا التأثير ، ومدى استعدادها للمعركة ..

وعن طريق هذه اللجنة تعاوننا حيناً من الزمن مع بعض شباب
الحزب الوطني كما عرفنا عن طريقهم الأستاذ عبد العزيز علي.
وكان اذ ذاك لا يزال مسيطراً على الجهاز السري للحزب الوطني
الذي شكله بنفسه عام ١٩١٩ .. وقد ظل يتعاون معنا بعد ذلك
لفترة طويلة .. وأفدنا من معونته كثيراً ..

وكان هذا هو كل عمل هذه اللجنة حينما بدأ جمال يضع
تنظيمه الجديد ..

أما اللجنتان الأخيرتان ، وهما لجنة الارهاب والامن فانه لم
يحن بعد الوقت لشرحهما وتسليط الاضواء عليهما ..

اللقاء الاول بين عبد الناصر وعامر

- ♦ مولد الثورة بين الخرطوم
وام درمان
- ♦ جهلاء في منصب القيادة !
- ♦ «فكرة الحياة» لا تختفى ..
- ♦ خمر بامر القائد ! ..
- ♦ هروب من النافذة ! ..
- ♦ خطة مأكرة ! ..

بهذه الحلقة يبدأ الطور الثاني من اطوار التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ٠٠ وهو الطور الذي بدأه جمال عبد الناصر ، بعد التجارب العديدة التي مرت بنا في تلك السنوات الاولى المليئة بالمخاطر والمشقات ٠٠

وان كان جمال قد اشعل الجذوة في ليالى منقباد ٠٠ وان كانت هذه الجذوة قد ظلت مشتعلة بأيدينا ، نلهب بها سواد الاعوام المظلمة .. فقد ظل جمال مراقبا لهيبتها مسجلا لانتصاراتها - مستفيدا من تجاربها ٠٠

وكان في صمته ، خلال نقله الى السودان ، وبعد عودته من هناك يعد لجذوة أخرى لا يظهر ضوءها ، ولا يفرغ زيتها ٠٠ جذوة عاقلة حكيمة لا تشعل النار ولكن تضيء الطريق ٠٠

وفى خلال الاعوام التي كنا فيها نظهر لنختفى ، ونختفى لنظهر ٠٠ كانت عينا جمال الفاحصة تبحث عن الرجال والأعوان ٠٠ ولعل انتصاره الاول في هذا الميدان ٠٠ كان لقاء بعبد الحكيم ٠٠

وبقصة هذا اللقاء ٠٠ يبدأ هذا الطور ، من اطوار التمهيد للثورة ٠٠

الى السودان

السودان ...

السودان .. الذى يهرع اليوم شيقا للقاء مصر .. وتهرع
مصر للقاءه جذلى .. كان فى تلك الايام منفى المغضوب عليهم من
رجال الجيش ..

ولا يسأل أحد : لماذا كان السودان منفى ؟! فهكذا كان ..
وكانت أسوان أيضا منفى .. والعريش .. والصحراء الغربية
وكل بقعة خلا القاهرة .. والاسكندرية !

وفى الجيش ، كان الملازم جمال عبد الناصر ضابطا صغيرا
مغضوبا عليه .. فمنذ أيام منقباد وثورتنا على الاوضاع هناك ..
على البعثة الانجليزية .. وعلى اللواء المصرى الذى كنا نسميه
السلطان عبد الحميد .. منذ تلك الايام المجيدة من أعوام
الشباب .. كسب جمال كراهية القومندان .. وحقدهم ..
وتوقعهم الفرصة ليقاع الاذى به ..

وكان معروفا ان الكتيبة الثالثة ستتحرك الى السودان ..

وعندما يقترب رحيل كتيبة الى السودان ، يرسلون الى
الكتائب الاخرى فى أنحاء الديار ، لكى تبعث اليهم بأسماء
« المغضوب عليهم » من ضباطها .. لكى يساقوا الى المنفى يوم
الرحيل ..

ولكنه لم ينتظر أن ترسل به كتيبته الى المنفى .. وانما
سارع بنفسه يقدم اسمه ، ليكون بين الراحلين ..
ودهش اخوانه لهذا التصرف .. وكانوا يحبونه ، ويحبون
أن يبقى بينهم ..

ولكنه كان قد رسم لنفسه طريق السير .. وكان قوة مجهولة
تدفعه دفعا الى زيادة شطر الوادى الحبيب .. واستقراء الحقيقة
فيه ..

عبد الحكيم ... هناك

وكانت الكتيبة الثالثة التى تتهيا للرحيل ، لا تزال فى المكس
بالاسكندرية وكان على جمال أن يمضى الى الاسكندرية ليلتحق بها،
ثم يرحل معها الى أرض الجنوب ..

وقى ليلة السفر الى الاسكندرية ، التقى به الصاغ عثمان
نصار من ضباط كتيبته ، وكان من أصدقائه المخلصين ...
وسأله :

— أترحل غدا ؟ ..

— بأذن الله ..

— هل تعرف أحدا من الضباط هناك ؟ ..

— أبدا ...

— اسأل اذا عن الملازم عبد الحكيم عامر ، وتعرف به ..

ولعل هذا هو كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان
نصار اليه عن عبد الحكيم ..

فلم يكن جمال ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الأسس
السطحية البسيطة .. ولم يتوقع أبدا أن يكون عبد الحكيم — هذا —
صديق عمره ، ورفيق جهاده الكبير ..

ولا يذكر جمال عن يوم لقائه الأول بعبد الحكيم شيئا ..
ولكن عبد الحكيم هو الذى يذكر ...

يذكر أن نبأ وصول جمال الى الاسكندرية كان قد سبقه الى هناك ..

ويذكر انه قام من فوره ، وذهب يستقبله كصديق ، أو زميل جديد ..

ويذكر انه قدم اليه نفسه .. ثم قدم اليه كل التسهيلات المستطاعة ..

ويذكر أيضا .. ان جمال كان « قرفانا » وانه قابل صنيعة شاكرا .. ولم يبد عليه اثر لهذه التوصية التي كان يحملها من الصاغ نصار ..

نقيضان

وقد تسجل الأيام ان لقاء عبد الحكيم وجمال قد تم في ذلك اليوم .. بالاسكندرية ..

ولكن هذا اللقاء ، لم يكن شيئا ..

لم يكن هو اللقاء الحقيقي بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك كثيرا في حياتهما .. واللذين ارتبطا معا بأقوى ما يرتبط به صديقان .. رباط العقل والقلب والكفاح المشترك ..

أما اللقاء الحقيقي .. والتعارف الكامل .. فقد بدأ في الخرطوم ..

هناك عاشا معا .. وعرف كل منهما صاحبه ..

ولكنهما لم يقطعا مرحلة التعارف في يوم أو اثنين ، ولا في اسبوع أو اسبوعين ..

فقد كانا نقيضين في كل شيء ..

كان جمال شديد التحفظ ..

وكان عبد الحكيم شديد الاندفاع ..

كان جمال هادئ الأعصاب دائماً .. مهما حدث . ومهما رأى .. وما أكثر ما كان يرى مما يشقى النفس الأبية ..

وكان عبد الحكيم سريع الانفعال : سريع الغضب تستفز الصغرة والكبيرة على حد سواء !

والذين يعرفون عبد الحكيم اليوم . في هدوئه ، وصمته ، واتزانه البالغ ، قد لا يصدقون هذا الكلام ، وقد ينكرون هذه الصورة ..

ولكن الأيام التي مرت بعبد الحكيم في اثني عشر عاماً .. والاحداث التي هزته هذا .. قد استطاعت أن تغير فيه كل شيء .. وان تبدله انساناً آخر لا يعرفه اليوم من عرفه بالامس القريب ...

الأسد الهصور

وأخذت عوامل كثيرة تعمل في توطيد الصلة والصدقة بين الضابطين الصغيرين ..

وكان أول هذه العوامل .. قومندان الكتيبة ..

كان قومنداننا من نوع فريد ، قل أن يوجد بين الضباط مثله

فقد عرفنا قومنداناً ذلك الزمان ، قططاً في ثياب اسود ..

عرفناهم اذلة للضباط الانجليز .. اعزة علينا ، نحن أبناء الفلاحين ..

عرفناهم يتحكمون في مصائرنا وأعمالنا وخطواتنا بالباطل أكثر مما يتحكمون بالحق ..

بل لعلنا لم نعرفهم يتحكمون بالحق أبدا ٠٠ ولو كانوا كذلك
ما غضبنا ولا اعتبرنا صلحهم من مستلزمات الحياة العسكرية.

ولكن الصلف والخطرة ، كانا مظهر التعويض عن مركبات
النقص التي كانوا يعانون منها ٠٠

جهلاء ٠٠ في مناصب القيادة ٠٠

اذلة لأصغر ضابط انجليزى ٠٠ وعلى اكتافهم المزيد من
النجوم والتيجان ٠٠

وتحت امرتهم ، شبان صغار ٠٠ كبرت بالعلم مقاييسهم ،
وبالعزة والوطنية أنفسهم وقلوبهم ٠٠

هكذا كان موقف القومندانات منا ٠٠

أو هذه كانت أسباب هذا الموقف ٠٠

ولكن قومندان الكتيبة الثالثة في السودان ، كان يجب أن
يتحكم في ضباطه الصغار ، تحكما من نوع جديد ، لم تعرف له في
الجيش مثيلا ٠٠٠

من النافلة !

كان الرجل ولوعا بالشراب ٠٠ ما يكاد المساء يقبل ، حتى يعد
عدته ، لسكرة تذهب بعقله ٠٠ وتريه نفسه اسدا هصورا يملأ
زئيره الفلوات ٠٠

ولم يكن يحب الشراب وحده ٠٠

ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الانجليز ٠٠

فكان الحل الطبيعى عنده ٠٠ أن يأتى بضباطه ٠٠ بالامر !!
وأن يكلفهم بمجالسته وبمشاربته كلما جاء المساء ٠٠

وتصوروا .. شرابا بأمر القائد .. وفي مجلس الأسد
الهصور ..

لقد كان الضباط جميعا - حتى الذين يشربون الخمر منهم -
يضيقون بهذا التكليف الثقيل ..

ولكن جمالا ، لم يكن يضييق فقط ، بل كان يضييق ويسخط
ويقاوم .. ويفسد على القائد مجلس الشراب ..

وماذا يستطيع أن يصنع ، وقد امتنع عن المشاركة في
الشراب ، فصدر اليه الأمر بالمشاركة في جلسة الشراب ..

وكانت ليلة لا ينساها جمال ، ولا عبد الحكيم .. حينما
حاولا أن يتركا مجلس القائد .. فرفض وزمجر وقام الى أبوابه
فاغلقها ..

وتلفت جمال حوله .. وانتظر حتى شرب القائد كأسين أو
ثلاثة .. وبدأ يصول في المكان ويزار ..

ثم أشار الى عبد الحكيم .. وقفز من النافذة .. وقفز عبد
الحكيم خلفه .. وتبعهما الضباط جميعا ..

وعاد القائد الى مجلس الشراب ، ليجده خاليا خاويا من
السما ..

ولم يخن صراخه ولا زئيره شيئا ! .. فبعد دقائق كان
الضباط جميعا قد استقروا في احدى دور السينما يشاهدون فيلما
ضاحكا .. ويضحكون ..

والذى لم يضحك في تلك الليلة هو القومندان المهيب ! ..
ومنذ الصباح التالي ، بدأت حرب باردة بين القومندان وبين

جمال وعبد الحكيم .. فقد فهم انهما كانا رأس الحربة التي فتحت
الثغرة في نافذة داره ..

وبلغ التفنن من الطرفين أقصاه في هذه الحرب الباردة ..
حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما .. لأن عبد الحكيم
قد هبط الى القاهرة ليلتحق « بفرقة » دراسية من فرق الجيش ..

انتفاع ...

وأدرك القائد أنه لم يعد أمامه سوى جمال .. وأن جمالا ،
وقد أصبح وحده الآن ، لن يجد من يشاركه في معارك كل يوم ! ..
ولكنه لم يلبث أن نكب في فطنته .. فقد استمرت الحرب
الباردة بينه وبين جمال .. وزادت فتونها ..

وفي يوم من الايام .. أصدر القومندان أمره بنقل جمال الى
جبل الاولياء .. ليستريح منه ..

واستراح فعلا .. ولم يره بعد ذلك حتى اليوم ..
وأتى عبد الحكيم فرقتة ، وعاد الى الخرطوم .. فلم يجد
« جمال » ووجد أركان حرب الكتيبة يسأله في حذر :

— ماذا بينك وبين القومندان ؟ ..

ويجب عبد الحكيم في حذر أيضا :

— لماذا ؟ ..

فيسر إليه أركان الحرب ، ان القومندان لم يكذب يعلم نيا
عودته ، حتى استشاط غضبا وأصدر أمره بنقله الى كسلا ..

... خطة

وكان عبد الحكيم قد عرف ان « جمال » قد نقل قبله الى جبل الأولياء .. وفهم ان القومندان يريد التخلص منه كما تخلص من جمال ..

وكان عبد الحكيم يعرف نفسية القومندان جيدا .. ويعرف ان هذا النقل ليس الا انتقاما ..

وكان يريد أن يذهب الى جبل الأولياء بدلا من كسلا بأى ثمن ..

وابتسم عبد الحكيم فى وجه أركان الحرب ، وقال له :
- ان « عفتى » لا يزال مربوطا .. وأنا أحب أن أذهب الى كسلا ..

وتركه قليلا ريثما يبلغ هذا للقومندان .. ثم طرق باب القومندان ، ودخل .. ولم يكده ينه من التحية حتى سألته فى تلهف :

- متى أذهب الى كسلا ؟ ..!

ودهش القومندان ، وقد وقع فى روعه ان لعبد الحكيم أصدقاء أو أقرباء أو مصالح من أى نوع هناك .. ثم زمجر وقال :

- من قال لك انك ذاهب الى كسلا .. انى لن أبعث بك اليها .. وستذهب غدا الى جبل الأولياء !!

ولعل هذه كانت أول خطة من خطط عبد الحكيم الماكرة الماهرة !

وكان صباحا مشرقا عندما ذهب عبد الحكيم الى جبل الأولياء .. الى صديقه .. جمال ..

فكرة الحياة

وفى جبل الأولياء .. زادت الصداقة عمقا بين الزميلين ..
واكتمل التفاهم بينهما .. فى كل شىء ..

• كانا يقضيان معا سهراتهما يلعبان الشطرنج •

• وكانا يقضيان معا أيامهما .. فى رحلات الصيد •

وعندما يذكر أحدهما تلك الايام وتلك الليالى ، لا يكاد يذكر
الشطرنج ، ولا الصيد ، بقدر ما يذكر المشاجرات الكثيرة التى تقع
بينهما ..

فليس يسيرا أن تقوم صداقة حقيقية بين هذين الرجلين دون
أن يسبقها عدد كبير من المشاجرات ..

• ولم يكن فى جبل الاولياء من الضباط سواهما ..

فكان جمال هو القومندان ، وكان عبد الحكيم ضابطه
الوحيد .. ! ولم يكن بد اذا تشاجرا صباحا أن يصطلحا فى
المساء .. واذا تشاجرا مساء أن يصطلحا فى الصباح ! ..

ولكن هذه الفترة .. قد انتهت بالتفاهم التام بينهما ..
وبالتفكير المتصل الموحد .. فى حالة الجيش ..

فقد اقتنعا تماما ، أن المشكلة ليست مشكلة الكتيبة .. ولا
القومندان ولا الرؤساء الانجليز ..

• ولكنها مشكلة الجيش كله .. والبلد كلها ..

وكان الحاكم العام فى السودان يزودهما بكتوس المرارة
والحق على الاستعمار والأوضاع القائمة فى البلاد .. كان الحاكم
العام فى السودان ، هو القائد الأعلى للجيش هناك ، بما فى ذلك

الجيش المصرى .. وكان لا يخفى احتقاره لجيش مصر ولا كراهيته
للمصريين ولا نزعاته الاستعمارية العاتية التى لا تقاوم ..
وما حدث فى تبات الشريف ..
حدث فى جبل الاولياء ..
انها الجنوة التى يوقدها جمال فى بساطته وعمقه واتزان
تفكيره ..

انها القرار ، والتصميم الذى تتمخض عنه المناقشات معه ..
انها لفكرة « فكرة الحياة » التى انبعثت هناك فى تبات
الشريف ، قد كسبت رجلا جديدا .. عبد الحكيم عامر ..
لا يد من القضاء على الاستعمار .. بأى صورة ، وبأية
وسيلة ..
لا بد من تطهير أرض مصر والسودان من هذا العار الجاثم
فيهما ..

لا بد من عمل شيء .. شيء عظيم ..
ومثلما حدث معنا أيام تبات الشريف .. حين صدرت حركة
التنقلات فى الجيش ، فذهب كل منا الى مكان .. حدث مع جمال
وعبد الحكيم ..

فلم تلبث الأوامر أن صدرت بنقل عبد الحكيم الى منقباد
ونقل جمال الى الصحراء الغربية ..
وافترقا فى ذلك اليوم افتراقا ظاهرا .. ولكن الصلة بينهما
لم تزد الا وثوقا وقربا ، حتى التقيا مرة أخرى فى القاهرة فى
ديسمبر سنة ١٩٤٢ .. عقب حادث ٤ فبراير المشؤم ..
وعندما التقيا .. بدأت احداث جديدة .. لم تعرف القاهرة
أكثرها .. ولكن تسجلها هذه الصفحات ..

أول ثورة في نَادِي الضَّبَّاطِ

- لحساب من كان يعمل
أحمد حسنين ؟!
- خطة الحركة الأولى .. !
- أحمد حسنين ينصح ...
- جذا .. وليس قنبلة ...
- معركة من نوع جديد ...
- أين الطريق .. ؟

الحقيقة التي يجب أن يدركها كل من يقرأ هذه الصفحات ،
أو يحاول دراسة تاريخ هذه الثورة ، والخطوات التي مر بها
التمهيد لها ، هي ان الذين قاموا بها وأعدوا لها ، لم يبدؤوا خطواتهم
بوعى كامل وانمسا تدرجوا في وعيهم السياسي ، مع الاحداث
والأيام ..

ولعلمهم أحسنوا الظن يوما برجل أو جماعة أو حزب .. ولعلمهم
علقوا على هذا الرجل ، أو هذه الجماعة ، أو هذا الحزب أملا ...
ولعلمهم ساروا أشواطا خلف هذا الأمل ..

ثم جاءت الايام ، تكشف لهم عن حقائق لم يكونوا يعرفونها ،
وجاءت الاحداث تطرق أعصابهم طرقا عنيفا يهز كيانهم هذا ، ويفتح
عيونهم لادراك جديد ، ويوجه خطواتهم الى طريق أكثر وعيا ، وأقرب
صلة بالهدف ..

والهدف الواحد .. الهدف الكبير الذي لم يتغير ، والذي
تعتبر كل الاهداف الجزئية في تاريخ هذه الثورة ، وسائل إليه ،
هو القضاء على الاستعمار ، وإزالة كابوسه الجاثم فوق صدر مصر .
وليس غريبا في سبيل الوصول الى هذا الهدف ، أن تلتقي
جماعتنا بكثير من الاحزاب والهيئات والافراد .. فقد كان هذا
الهدف ، هو البريق الذي يرفعه كل تشكيل سياسي فوق بابيه ،
والذي يخطف بريقه أنظار الشباب المتعطش للخلاص ..

وليس غريبا أيضا في سبيل الوصول الى هذا الهدف ، ان تنأى جماعتنا بنفسها نأيا شديدا ، عن كل وسيلة يظهر عنصر التضليل فيها ، سواء أكانت الوسيلة حزبا ، أم جماعة ، أم فردا .

وقد كانت الفترة التي بدأت بعد حادث ٤ فبراير ، فترة نشاط ثورى كبير ، لا في جماعتنا وحدها ، ولكن هنا ، وهناك . . .

في الجيش ، والجماعات ، وطوائف الشهاب القومى والحزبى ، والتكتلات الصغيرة العلنية والسرية ، المدنية والعسكرية . . .

وكانت هذه الفترة لذلك ، محسكا للأفراد والجماعات . . . ومختبرا يظهر معادن النفوس وفرصة للتعارف بين المخلصين .

بعد ٤ فبراير

كانت فترة عضوية تلك التي تلت حادث ٤ فبراير . . .

وكانت مجالا لنشاط كبير . . . هنا وهناك . . .

فقد كان الملك - مثلا - يظهر أمام الشعب بمظهر الوطنى الذى تحدى المستعمرين ، وأراد أن يقود شعبه الى الخلاص منهم فغلبوه على أمره ، واستلوا منه سيفه وصولجانه وألزموه قصره كالطير السجين . . .

وكانت الاحزاب المعادية للوفد ، تحاول بنشاطها الخفى والظاهرى ، أن تكسب من تصويرها للحادث نفسه ومن نقائص الحكم الوفدى المعروفة ومن عطف الشعب على موقف الملك المطعون فى قصره ، وسيلة لاكتساب الانصار ، وبث الدعاية الحزبية ، والتمهيد للوثوب الى الحكم فى ثوب وطنى ، بعد أن كانت لا تعرف طريقهما الى الحكم الا وأنف الشعب راغم تحت أقسام القصر والانجليز . . .

وكانت طوائف الشباب المجاهد المختلفة الاتجاهات ، قد زج بها في السجون والمعتقلات ومستشفيات المجانين ..

وبقيت خارج الاسوار جماعة الاخوان المسلمين من ناحية ، وجماعات صغيرة ضئيلة العدد من الشباب الساخط تجتمع لتفكر ، وتزداد سخطا ، أو تجتمع لتدبر أمرا كهذا الذي كنا ندبره والذي اعتقلت بسببه واعتقل معي بسببه عزيز المصرى وآخرون ..

جماعات ... واتجاهات

كنت أنا اذن أعمل من ناحية ..

وكان الاخوان المسلمون يعدون أنفسهم على النحو الذى تحدثت عنه فى بعض الصفحات السابقة ..

وكانت هناك اجتماعات متفرقة تعقد هنا وهناك ، تضم شبابا ثائرا ساخطا ..

فمن هذه الاجتماعات مثبلا ، اجتماعات كانت تعقد فى حى الزيتون ضمت عددا من ضباط الجيش من بينهم الصاغ كمال الدين حسين وضباط آخرون ..

واجتماعات أخرى كانت تضم اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وعددا من الضباط وضباط الصف ، على نحو سنفصله على صفحات قريبة ..

كان كل يعمل فى طريق .. وكانت أغلب الخواطر والافكار تتجه ناحية القتل والارهاب .. قتل الانجليز وأعاونهم ، فلم يكن هناك متنفس حقيقى للشوثة المكبوتة فى الصدور .. ولم تكن هناك آمال واضحة تدعونا الى التريث والتفكير ، أو تستطيع أن تحدد خطواتنا اليها فى اتزان .. كنا قد فقدنا كل صمام يحمينا من الانفجار ، حتى صمام التعزى بالامل ..

وكان جمال وعبد الحكيم فى ذلك الوقت ، كسائر هذه الجماعات الشابة الساخطة ، يحاولان أن يصنعا شيئا ..

ولكن الميزة التى امتاز بهما جمال ، ميزة الصبر والتريث والتفكير الكثير .. استطاعت أن تنأى بهما وبمجموعة أصدقائهما عن كل عمل طائش ، أو خطوة غير مأمونة ..

الحركة الاولى

حتى كان عام ١٩٤٤ .. أى بعد أن قضت وزارة النحاس فى الحكم ما يقرب من العامين ..

وكان قد أصبح واضحا ان هذه الوزارة قد وطنت نفسها على تسليم كل ما يطلبه اليها الانجليز .. وان الملك قد أصبح عاجزا عن كل مقاومة .. وان مقاليد الحكم الداخلى نفسه فى مصر ، قد وضعت نهائيا بين يدى تشرشل رئيس وزراء انجلترا ..

ولم تعد الأعصاب تستطيع مزيدا من الاحتمال ..

ولقد أصبح هذا الوضع الشائن ماثرا لأحاديث بين الضباط فى كل مكان .. الكل يتكلم .. الكل يهمس .. الكل يفكر ..

ورأى جمال ان فى الامكان استغلال هذه الحركة الواسعة من الهمس والنشاط والسخط فى دوائر ضباط الجيش ، بتحويلها الى حركة موحدة واضحة ، وسيلتها معارضة هذا اللون من الحكم ، وهدفها تحدى الانجليز ..

واشتراك جمال وعبد الحكيم فى تنظيم هذه الحركة واعداد العدة لكل احتمال ..

ثم اتفق جمال وعبد الحكيم على ألا يظهرها بصورة واضحة فى هذه العمليات ، على أن يكون عبد الحكيم هو المحور الظاهر فيها ..

ومرت أيام ، فوجيء بعدها أعضاء مجلس ادارة نادى ضباط الجيش ، وكبار اللوائات والقواد فيه ، بدعوة موجهة الى الضباط لعقد اجتماع عام فى النادى للبحث فى شئون البلاد والحكم . .

ثم فوجئوا بعدد ضخم من الضباط يحضر هذا الاجتماع فى موعده . . ثم فوجئوا بمناقشات واضحة ، وخطابات جريئة ، وقرارات تتخذ . .

وقام اللوائات يحسولون الاعتراض على هذه الحركة وهذه الخطابات السياسية ، وهذا النشاط الذى لا تقره تقاليد الجيش . . !

واذا بعاصفة من السخرية والتحدى تثور فى وجوههم ، من جانب الضباط الصغار . . واذا بالاجتماع يواصل برنامج الموضوع له ، برغم هذا الموقف من اللوائات المسيطرين على الجيش والنادى جميعا . .

نصيحة حسنين

وانتهى هذا الاجتماع بتشكيل لجنة من ضباط مختلف الاسلحة ، كان من أعضائها الصاغ صلاح سالم ، ولم يدخل اللجنة جمال ولا عبد الحكيم ، طبقا للقرار الذى اتخذه من قبل . . .

وكلفت هذه اللجنة من قبل الضباط المجتمعين جميعا بالتوجه لمقابلة المرحوم أحمد حسنين (باشا) للتفاهم معه فيما يمكن عمله لوضع حد لهذا الحكم الانجليزى السافر فى البلاد . . وافهامه أن الضباط جميعا مستعدون لآى أمر ، مهما كان هذا الامر . . انهم اذ يلجئون اليه فى هذا السبيل . . انما يريدون بذلك أن يوجههم الوجهة السديدة التى تضمن ألا تضار مصلحة البلاد بشيء .

وذهبت اللجنة فعلا الى المرحوم أحمد حسنين وقابلته فى مكتبه . . وناقشته كثيرا . . ولكنه خذلهم . . وأضاع هذه الجهود

التي جمعتهم ، وكتلتهم ، بنصيحة واحدة وجهها اليهم ، ثم تشبث بها تشبثا شديدا .. هي ألا يقوموا بأى عمل من أى نوع كان لان الظرف - فى نظره - غير مناسب لشيء ..

وعادت اللجنة بهذه النصيحة .. ولم تكن تعلم ، ولا كان أحد فى البلاد يعلم بما كشفت عنه الوثائق والوقائع بعد ذلك من الاسرار ..

وعندما تكلمت الوثائق والوقائع ، أثبتت ان احمد حسنين رائد فاروق ، ورئيس ديوانه وظهيره ومرشده يوم حادث ٤ فبراير . وقبله ، وبعده .. والرجل الاول فى القصر المعتدى عليه .. احمد حسنين هذا ، كان طوال حكم الوفد فى تلك الفترة ، يتصل بالانجليز .. لا لمصلحة البلاد .. ولكن لكسب ثقتهم فيه كحاكم جديد ، يستطيع أن يقضى لهم من المصالح ما كان الوفد يقضيها .. وان ينفذ لهم سياستهم « الديمقراطية » فى حكم البلاد وتوجيهها .. احمد حسنين كان يريد أن يكون بطل ٤ فبراير الثانية .. ولكن بغير دبابات .. !

ومع ذلك ، فلم تكن شكوكنا فى احمد حسنين قد بدأت فى ذلك الوقت .. ولم تكن لذلك نجد تحليلا سليما لموقفه ..

وعندما علم الضباط بهذه النصيحة ، هاجوا وماجوا .. وأوشكوا على الانفجار ..

سباب فى الطريق

وكان لا بد من صمام أمن آخر .. ولم يكن صمام الامن هذا سوى التنفيس .. التنفيس بالقول . بالصوت ، بالكلام .. ما دامت الكتابة ممنوعة ، والأعمال الايجابية ... لا يرضى عنها الرجل الاول فى قصر الملك ! ..

وتم الاتفاق على أن يخوض الضباط معركة من نوع جديد ..
معركة لا تجمع فيها ولا تكتل ولا منشورات ، ولا اعتداءات ، معركة
ليست بالفردية ، ولا بالجماعية ، وانما هي جماعية الحقيقة فردية
المظهر ..

ورأت القاهرة ضباط الجيش ، بملابسهم الرسمية ، يختلطون
بالناس فرادى ، فى المقاهى والمجتمعات ، وعربات الأتوبيس
والترام .. وساعات الصلاة .. ويثيرون مسائل الحكم ، ويوجهون
السباب علنا ، للانجليز ، والوزارة التى أقامها الانجليز ..

ولم يكن المراد بهذه العملية ، مجرد إثارة الشعور الشعبى
ضد الانجليز وضد حكومة النحاس .. ولكن كان الغرض منها
اشعار الانجليز والحكومة نفسها ، بأن ضباط الجيش قد فاض بهم ،
وانهم قد أصبحوا على استعداد لأى شىء ..

هذء ... لا قبيلة

وظلت القاهرة تسمع هذا السباب العلنى وترى هذا التحدى
السافر من صغار الضباط فترة طويلة من الوقت .. حتى كان
حادث ، لم يكتف فيه بطله « الضابط » بكلمات السباب
والتجريح ..

كان النحاس ذاهبا لصلاة الجمعة بمسجد الرفاعى ..

وما ان انتهت الصلاة وخرج النحاس ليركب عربته ، الا وتقدم
منه ضابط شاب من السواحل هو أبو شبانة وألقى بحذائه على
عربة النحاس ..

ويبدو انه لم يستطع أن يسدد قذيفته جيدا على العربة ..
فقد أخطأ الحذاء عربة النحاس ، والتقى بعربة عبد الحميد
عبد الحق ..

وثارت نائرة الحكومة ورجالها .. وظن البعض ان الحذاء
يخفى قذيفة من نوع آخر أشد خطرا وفتكا .. فارتفعت القلوب ،
وهلعت الأفئدة ، وحوقلت الألسنة ، وبسملت الشفاه .. وانتهى
الأمر بالقبض على الضابط .. صاحب الحذاء ..

... ومحاكمات !

وفى ثوان معدودة ، كان الفريق حمدي سيف النصر (باشا)
وزير الحربية ، قد أبلغ نبأ العدوان الأثيم .. وفى الدقائق التالية.
كان قد توجه الى وزارته ، وجمع هيله وهيلمانه ، وقرر عقد
مجلس عسكري مستعجل لمحاكمة هذا الضابط المقبوض عليه ..

ولأول مرة عقد المجلس العسكري ، فى الدور الأسفل من
وزارة الحربية .. وجيء أمامه بالضابط المتهم .. وشرع فى
محاكمته على وجه السرعة ، بينما كان حمدي سيف النصر فى غرفة
مكتبه ، يستجوب الشهود بنفسه قبل أن يمثلوا أمام المجلس ،
ويلقى اليهم بتفاصيل ما يشهدون به ، ويهددهم بكل تهديد
مستطاع !

وليس أمر هذه المحاكمة ، هو ما يهمنا فى هذه الصفحات
فقد كان الضباط جميعا فى انتظار محاكمات مثلها ، لكل منهم ..
وكانت كل كلمة مما كانوا يقولون علنا فى الطرقات والمجتمعات
كافية لادانة قائلها .. وسامعها ! ..

ولكنها حادثة من الأحداث ، التى وقعت فى تلك الأيام
نتيجة لعدم اكتمال الوعي السياسى فىنا ..

فحقيقة كنا الى ذلك العام ، نأمل كثيرا فى وطنية الملك ...
وكنا نصنع كل هذا لمقاومة الانجليز فى شخص الحكومة التى
فرضوها ...

ولكن عاما واحدا لم يكد يمر بنا ، حتى أدركنا اننا كنا على خطأ عظيم .. وحتى تغيرت فكرتنا تغيرا كاملا ، وأصبح واضحا أمامنا ان كل شخص ممن كنا نعرفهم ، ونعلق الآمال عليهم ، كان يضع مصلحة البلاد تحت كعب حذائه ، وأنهم جميعا كانوا يعملون في سبيل تقوية نفوذهم ، والوصول الى مقاعد الحكم ، والسيطرة والسلطان ...

حتى الملك المطعون في قصره ، أدركنا من أمره ما لم نكن ندركه ، وما لم نكن نتصور حقيقته ..

وحتى الأحزاب التى لبست أثواب الملائكة ، لم نكن نستطيع أن نتصور مدى القذارة الموغلة فى أبدانها تحت هذه الأثواب البيضاء الناصعة ..

أين الطريق ؟ ..

الكل سواء ..

الكل يعمل لنفسه ..

الكل لا يهتم بمصلحة البلاد فى شئ ..

الكل على استعداد للبيع .. والتسليم ..

الكل عدو لمصر .. صديق لأعدائها ..

والظلام كثيف ..

لا أمل فى الملك .. ولا فى الأحزاب ..

والأمل الوحيد قد يتخالج خيالنا فى وجوه جديدة مجهولة ..

وجوه خرافية تصنعها أوهامنا ، وتتمنى أن تلقاها على مسرح الحياة ..

ولكن .. أين الوجوه .. وأين مقام هذا الأمل ، فى عالم
الحقيقة ..

هذا ما لا بد أن نصل الى جواب عليه ..

ولكن كيف تستطيع هذه الوجوه أن تظهر والظلام كثيف ؟

لا بد اذن أن ينقشع الظلام ..

ولكن .. كيف ينقشع الظلام ؟

هذا محور التفكير الذى أدى الى تشكيلات كثيرة عسكرية
رسمية .. تتناولها هذه الصفحات ..

عزیز المصطفیٰ فی معرکۃ الحُرّیۃ

- حقیقۃ منشورات مصطفیٰ
● صدقی ..
- قصۃ اعترافات حسین
● توفیق ..
- حیلۃ القاویش ..
- ضبط یحلفون یمین
● الاخوان المسلمین ؟
- نصیحة العمر ..

عندما يتكاثف الظلام ، وتتعذر الرؤية ، ويتخبط الناس في طرقات الحياة ، وتتشعب بهم مسالكها ٠٠ يختار الله من عباده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التي تغني عن البصر ، فإذا هم يتوقفون عند العثرة ، لأنهم يتوقعونها ، وإن لم ترها منهم الأبصار ٠٠

وقد كان الله معنا في طريقنا الطويل الى هذه الثورة فأودعنا البصيرة كلما ادلهمت الظلمة ٠٠ وجنب خطواتنا أكثر العثرات ٠٠

وفي طريقنا هذا الطويل ، لمعت أمامنا أضواء ، وتبعنا أقدامنا ٠٠ ولكن خطواتنا ظلت محتفظة باتزانها وشخصيتها ، واستقلال توجيهها واستطاعت أن تؤكد للجميع ، أنها تستطيع أن تلتقي بخطوات الآخرين ، ولكنها لا تستطيع أن ترتبط بها ، لا متبوعة ولا تابعة ، لأنها خطوات لا تمضي الا بإرادة أصحابها ، وأصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة ، مهما افتقدوا الضوء في الطريق ٠٠

منذ عام ١٩٤٢ ٠٠ وعقب حادث ٤ فبراير ببضعة أشهر تقرر هذه الحقيقة ، حقيقة استقلال خطواتنا داخل الجيش عز، كل مؤثر خارجي وعن كل قيادة خارجية ٠

وكان لهذا القرار ، الذي أصبح تقليدا راسخا لنا بعد ذلك ،
سبب مباشر وظروف .

ففى يوم من الأيام ، وجه المرحوم الشهيد « وجيه خليل »
الى عبد الحكيم عامر وكان يعرفه ويعرف حماسه واتجاه تفكيره
ويعرف أنه واحد من جماعة الضباط الأحرار الذين يتشاورون دائما
فيما ينبغي عمله عقب ذلك الحادث المشؤم . . .

ولا شك أن بعضنا كان يرى العنف ويفكر فى القيام بأعمال
ارهابية واسعة النطاق . . . فالارهاب دائما هو أول الحلول التى
تبادر للشباب المتحمس فى أيام المحن القاسية التى تجتاح
الوطن . . .

ولم تكن هذه الفكرة تجد معارضة كبيرة أو محسوسة من
أكثرنا . . بل لقد كان بعضنا يدبر الأمر للتنفيذ وكأنها خطة
مرسومة لا اختلاف عليها .

ولم تكن زيارة الشهيد « وجيه خليل » لعبد الحكيم عامر الا
صدى لوجود هذا الاتجاه بيننا . . فقد كان مقصودا بهذه الزيارة
تدبير اغتيالات متعاقبة واسعة النطاق تشل حركة الانجليز وأعوانهم
فى الأيام العصيبة من أيام الحرب .

وانتهت هذه الزيارة والتقى عبد الحكيم بجمال فأنبأه
ببنيتها . .

لا آلات ولا أدوات

وكعادة جمال أنصت طويلا الى هذه القصة . . والأسلوب الذى
سيتمتع فى التنفيذ ، وتمويل الفدائيين ورعاية أسر من يتعرض منهم
لسوء ، والاستعدادات الموجودة لهذه المعركة التى « سوف » تدور
فى الظلام . . .

وشئ واحد لم يستطع جمال ان يستخلصه من حديث
عبد الحكيم ..

من الذى سيدير هذه المعركة .. وما هى أهدافه منها ..
ولم يكن الشهيد وجيه خليل قد قام بهذا الاتصال باسمه
الخاص ولكن باسم جماعة تقف من خلفه هى التى بعثته رسولا إلى
جمال ..

وقال جمال فى هدوء :

— لا ...

ثم أردف :

قد نرى القيام بحملة ارهابية واغتيالات ، ولكننا عندما نصنع
ذلك يجب أن نصنعه بأنفسنا ونتحمل وحدنا كل مسئولياته
ونتأجه ... فالخط الذى يجب أن نسير عليه كضباط فى الجيش
هو ألا نكون آلات ولا أدوات فى يد أحد من الناس ولا جماعة من
الجماعات مهما كانت وحدة أهدافنا ومهما كانت درجة اخلاصهم ..

قال هذا جمال فى عام ١٩٤٢ .. وانتهت بهذا قصة « وجيه
خليل » .. قبل أن تبدأ .. !

ولكن قصة أخرى لوجيه خليل قد بدأت بعد ذلك .. قصة
عظيمة ، مجيدة وهب فيها حياته كأشجع ضابط فى أقدم الميادين .

فقد انضم وجيه بعد ذلك الى الأحرار وأصبح عنصرا من أهم
العناصر فى تشكيلاتهم .. فلما كانت حرب فلسطين كان من أسبق
الضباط اليها .

وهناك فى الميدان جرح زميل له وكان هو فى مصفحته فهبط

ليحمل زميله الجريح .. هبط تحت نيران اليهود ليخر صريعا شهيدا كأشجع ما يكون ضابط وكأنبل ما يكون انسان .

يمين الاخلاص للدعوة

وفي عامي ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ .. في الفترة التي تتناولها هذه المجموعة من الصفحات ، تكررت الصلات بين الضباط الأحرار وبين تشكيلات كثيرة عسكرية ، ومدنية .. ولكن هذا القرار الذي صدر في عام ١٩٤٢ . ظل دستورا لهذه المجموعة من الضباط .

في هذه الفترة نشطت جماعة الاخوان المسلمين نشاطا كبيرا في اجتذاب عدد من ضباط الجيش اليها .. ونشطت نشاطا كبيرا في الاتصال بجمال عبد الناصر ، ومجموعة أصدقائه ..

وليس سرا أن عددا من الضباط كانوا قد ألفوا دعوة الاخوان ، وأحبوها .. ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها .

وعندما تلتقي ببعضهم اليوم قد يقص عليك قصة ذلك اليوم الذي تم فيه « اختياره » بواسطة الجماعة ، ثم طلب منه أن يذهب الى مكان ما .. لحلف اليمين ..

كانوا اذ ذاك يذهبون ليلا ، الى حى الصليبية فاذا ما انطوى الحى عليهم ، قادهم رسول الاخوان في أزقة مظلمة متعرجة .. حتى يصلوا الى بيت عتيق .. فيصعدوا درجا يؤدي بهم الى غرفة مظلمة ، لا أحد فيها ، ولا تفتح نوافذها ..

ويجلس الضابط الى منضدة ، وضع عليها مصحف ، ومسند .. ثم يدخل الى الغرفة في الظلام رجل لا يراه الجالس . ويلقنه يمين الاخلاص للدعوة ، فيؤدي هذا القسم ويداه موضوعتان على المصحف والمسند .

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفة أولا . . ثم يخرج الضابط ليجد رسول الاخوان الذى جاء به فى انتظاره يقوده مثلما جاء به الى خارج الحى . .

التعاون . . لا الانضمام

وكان الصلة بين الاخوان ، وبين ضباط الجيش ، ضابط هو الصاغ عبد المنعم عبد الرؤوف . . وكان عبد المنعم يدعو ضباط الجيش الى الانضمام لصفوف الاخوان ، ويعرفهم دائما بالصاغ « محمود لبيب » ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة .

وكان الضباط يرحبون بهذا التعاون . . انهم كانوا يريدون متنفسا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة ، كقوة وطنية مقيدة بأغلال الحياة العسكرية . .

وكانت كثرة الضباط ترى أن يقوم التعاون دون الانضمام . . فمن سمات الرجل العسكرى ألا يخضع لأوامر تأتية عن غير الطريق العسكرى الذى يندرج فيه . .

ولعل أخطاء كثيرة قد وقعت من جماعة الاخوان فى صلتهم بالضباط . . فقد كان الضباط ينضمون الى هذه الجماعة ، أو يتعاونون معها ، وفى يقينهم ان دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب لشباب الاخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى انتظار الفرصة التى تأتية للعمل . .

ولكن تنظيمات الاخوان ، كانت لا تفرق بين الضباط وغيرهم . . حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب . . فإذا أقبلوا ، وجدوا واحدا من المدنيين ، يعطيهم دروسا فى كيفية استعمال المسدسات . . !

وكانت هذه الاساليب تزعج الضباط ازعاجا شديدا . .
يقبلون على الاخوان ، وعلى دعوتهم ، كضباط مدربين ، لا كجرح
في حاجة الى التدريب . . وهم يشعرون بمرارة وأسى يملآن ق
عندما يجدون الجزاء الوحيد لهم على هذا الاقبال والرضى ، ه
يعلمهم مدنى ، كيف يستعملون السلاح !

فوق ذلك ، فلم تكن خطة الاخوان واضحة لهم . . ولم يك
يصارحهم بشئ . .

وكانوا يتساءلون : متى نعمل ؟ وما هو نوع العمل
نعد أنفسنا ونعد شباب الاخوان له ؟ فلا يجابون على سؤال
وكانوا يسألون : فما هو المطلوب منا ؟ . .

فيقال لهم : ان تتقوا فى قيادة الدعوة . . وان تعملوا ما
منكم فى حينه فحسب . . .

ولم تكن هذه الفترة قصيرة . . فقد امتدت أكثر من
. . وحدثت فى خلالها أحداث ظن هؤلاء الضباط أن كل -
منها ، سيكون الناقوس ، الذى تصدر على أثره أوامر ال
المطلوب . .

ولكن هذه الأحداث مرت ، بكل رنين النواقيس . . واللا
فى جمود . . والضباط المنضمون فى حيرة من أمرهم . . لا يه
ماذا يصنعون . .

نصيحة العمر

وكضباط لم يكونوا يستطيعون أن يأخذوا أنفسهم
المأخذ الشديد . . فكانوا يتكلمون فيما يضيّقون به من ال

وكانوا يلجأون الى أصحاب الرأى يسألونهم العون والتوجيه ..
وكان ممن ذهبت اليهم جماعة الضباط المضمين للاخوان
الفريق عزيز المصرى ..

وللفريق عزيز المصرى ، طبيعته النزاعة الى التحرر من كل
قيد .. وشخصيته المستقلة دائما وطريقته فى تربية ضباطه
وأبنائه على الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية ، والعمل بالارادة .
ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا الى الفريق عزيز المصرى ،
انه قال لهم « كونوا اخوانا اذا شئتم .. ولكن لا تقفوا عند هذا
الحد » ..

ولما سألوه عما يصنعون أجابهم :

- اقرءوا .. اقرءوا كل كتاب .. اقرءوا فى السياسة
ومذاهبها .. والاقتصاد وفنونه ، والاجتماع وأبوابه .. اقرءوا
وأضيئوا فى رءوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فىنا لكى يضاء
لا لكى يهمل ويهال عليه التراب .

اقرءوا .. ثم اضربوا فى الأرض .. واعرفوا الناس ، وجربوا
بأنفسكم كل شئ .. ولا تتقيدوا بدعوة ، ولا بزعيم .. ولا تربطوا
أنفسكم برأى ، قد ترون غيره غدا اذا ما استنارت بالعلم
رءوسكم ..

ينضمون للأحرار

هذه كانت نصيحة عزيز المصرى للضباط الذين ذهبوا اليه
فى تلك الايام ..

وقد ظل هؤلاء الضباط على صلتهم بدعوة الاخوان ، ولكنهم
جميعا أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد .. وبدأوا يقرأون ..

ومن هؤلاء عدد من الضباط الذين يفخر بهم جيش مصر ..
لأنهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين ، وبين ضوء العلم ،
وحقائق الحياة المادية التي خلقنا لكي نعيش فيها ..

وكل هؤلاء قد انضموا الى الاحرار بمجرد تكوينهم على النحو
الذي سنفصله في هذه الصفحات ..

وفي خضم تلك الأيام العصيبة من أعوام ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ .
١٩٤٦ .. حدثت أحداث أخرى من تشكيلات أخرى .. بعضها
مدنى .. وبعضها عسكري ..

منشورات مصطفى صدقي

وكان أول هذه الأحداث ، هو حادث التدبير للاعتداء على
الفريق ابراهيم عطا الله .. الذي اتهم فيه اليوزباشى مصطفى
كمال صدقى وزملاؤه ..

وكان مصطفى كمال صدقى قد كون مجموعة من العسكريين،
أكثرهم من ضباط الصف .. تهدف الى تطهير الجيش من رؤسائه
الجهلاء .. وكان اسم الفريق ابراهيم عطا الله فى رأس القائمة
التي فكر مصطفى كمال صدقى وجماعته فى التخلص منهم ..

وكان مصطفى كمال صدقى ضابطا فى المخابرات فى الجيش
فاختار فى مجموعته عددا من صولات الادارة .. وأخذ يعد
المنشورات ويطبعاها داخل الادارة ، وبآلاتها ، ظنا منه ان هذه
الوسيلة هى أسلم الوسائل لكى لا ينكشف أمر مجموعته ..

ولكن تقديره لم يكن سليما .. فقد ضبطت المنشورات ..
وضبطت قائمة فى داخل ادارة المخابرات تحوى أسماء ثلاثة
وعشرين ضابطا .. وصولا ..

وألقي القبض على الجميع ، وتقرر جسيم وتقديمه الى
المحاكمة ..

حيلة من القاويش

وكان الحادث الثانى الذى أحدث دويا فى البلاد هو حادث
اغتيال أمين عثمان .. وقد قام بهذا الحادث تشكيل فدائى
خارج الجيش .. وكان متفقا عند تقريره ، ألا يبوح القاتل اذا
قبض عليه بأى شيء أو بأى اسم من أسماء اخوانه ..

وكان حسين توفيق ، هو الذى تقدم فى اللحظة الأخيرة
وأصر على أن يوكل اليه أمر التنفيذ .. وعندما قبض عليه . ظل
مصرأ على عدم الاعتراف ، حتى استطاع كامل القاويش وكيل النيابة
الذى تولى التحقيق أن يلعب بأعصابه ، بقصة مختلقة ، ان دلت
على شيء فعلى ذكاء القاويش وادراكه الصحيح لنفسيات من يقوم
بالتحقيق معهم

فقد أدرك القاويش أن حسين توفيق قد قام بهذا العمل .
كعمل من أعمال البطولة يذكره له التاريخ .. فأراد أن يطعنه فى
حلمه العزيز طعنة دامية ، تجعله ينسى عهده للجماعة ، ويبوح بكل
شيء ..

وذهب القاويش الى احدى الصحف الكبيرة ، وأملى عليها
خبرا مؤداه ان التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لأسباب نسائية
.. وجعل الخبر تلميحا الى قيام صلة بين أمين عثمان وبين سيدة
عزيزة جدا على القاتل حسين توفيق .

وفى الصباح دعا القاويش القاتل الى مكتبه .. وأطلععه على
هذا الخبر ..

وجن جنون حسين توفيق ..

لقد قتل أمين عثمان ، وفي يقينه أنه يعمل عملا من أعمال البطولة الوطنية .. فكيف يقبل أن تذهب كل هذه البطولة هباء .. وأن تلوث أيضا سمعة أسرته ، وسمعة أعز النساء عليه ..

وانفجر يعترف .. يعترف بالجماعة التي دبرت هذا الحادث وأسماء أعضائها ، وأهدافهم ، ومكان اجتماعهم ، وتفاصيل ما يملكون من أسلحة .. اعترف بكل شيء ..

وكنت بين من شملتهم اعترافات حسين توفيق ، فالقى القبض على وشاركته السجن واحدا وثلاثين شهرا ، حتى برأني القضاء ..

سياسة جمال

وهكذا

كانت هذه الفترة فترة نشاط كثير .. نشاط من الاخوان كجماعة منظمة .. ونشاط في داخل الجيش أو ألوان من النشاط في داخل الجيش ، واتصالات بالفريق عزيز المصري .. وتدبيرات عنيفة واغتيالات ..

وكان لجمال عبد الناصر رأى في كل هذا ..

في يوم طلب منه عبد المنعم عبد الرؤوف أن تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الاخوان .. رحب بقيام هذه الصلة .. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة ، وتفكيرها الخاص ..

ويوم وقع حادث الفريق ابراهيم عطا الله قرر معاونة جميع

المقبوض عليهم من الضباط وضباط الصف فقام هو ومجموعة أصدقائه بجمع الاشتراكات ودفع مرتبات المقبوض عليهم جميعا طيلة فترة ايقافهم ..

وحدث أن علمت ادارة الجيش بهذا الصنيع فأصدرت أمرها بمنع الاتصال بهؤلاء الضباط ، ومنع القيام بأية معاونة لهم .. ولكن (جمال) وأصدقائه رفضوا هذه الأوامر ، وتحدوها علنا وواصلوا العمل لمعاونة المعتقلين ..

وقد ظنت هذه الجماعة يوم خرجت من الاعتقال ، ان هذا الموقف من جمال معناه رضاؤه عن العمل معها .. ولكن (جمال) رفض ذلك عندما عرض عليه .. وقررت المجموعة عدم التعاون مع هذه الجماعة ، لأنها تضم أفرادا أكثرهم يتصف بالعبث وعدم المبالاة وحب الشهرة ، وعدم التقدير لحقيقة العمل ، الذي يريدون عمله ..

أما لماذا قام بمعاونتهم .. فقد قام بذلك ، لأنه رأى اشعار الرؤساء في الجيش ، بأن هذا الرأي الذي رآته فيهم جماعة مصطفى صدقي .. يمكن جدا أن يكون رأى الجميع !

ويوم قام التشكيل الفدائي باغتيال أمين عثمان ، ظلت المجموعة على صلة بي ، حتى أعدت خطة لتحريرى من السجن ..

وهكذا كانت تقاليد المجموعة قد بدأت تتخذ صورا واضحة فى مواقف متعددة ..

وكان أهم هذه التقاليد ، هو أن تظل الجماعة قائمة بنفسها ، عاملة بارادتها ، محددة لخطواتها ..

وفى كلمتين اثنتين ..

• ألا تكون آلة ، ولا أداة ، فى أى يد •

• أما وسائلها •• فقد تطورت ••

تطورت من صداقة تجمع الضباط ، الى تشكيل له نظام
وأدوات ••

وتطورت من السرية •• الى العلنية الى السرية مرة أخرى ••
وكان لكل مرحلة من هذه المراحل ظروفها وأسبابها وغايتها الوقتية
المحددة أيضا ••

وظلت الجماعة تسير •• خطوة خطوة •• نحو اعداد كبير ••

قَوَاعِدُ حَرَكَةِ الْأَجْرَارِ

- العمل الجماعي وحده هو الطريق الى النجاح
- النقراشي يهاجم الانجليز ويضرب الشعب !
- أهداف ... وهدف ...
- الاخوان المسلمون يهادنون صدقي ..
- لابد من قيادة ..
- مصاييح في الطريق ...

ان السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة ، راجع الى الروح التى سادت فى التمهيد لها ..

فقد يجتمع الناس حول مبادئ ، حول نظريات يقرأونها ، أو أفكار يبشر بها دعائها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبادئ والنظريات ، والأفكار غايته ، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته ، وما بعد الذروة أيضا ان صح هذا القول ..

ولكن هذه المبادئ ، والنظريات ، قد تتعرض للجدل . فتتعرض الجماعة للانقسام .. وقد يتفاقم الجدل ، فينحرف عن الآراء الى أصحابها ، وتبرز الأشخاص ، وتختفى الآراء .. وتتلعب أهواء النفوس .. ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه .. !

حدث هذا كثيرا .. حدث فى مصر ، وحدث فى غير مصر .. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور ، لأن مجادلات قامت بين قادتها ، أورثتهم التفكك والتحزب ، وفتحت الشغرات بينهم لمطامع النفوس وأهوائها ..

ولست أكتب هذا غضا من قيمة المبادئ والنظريات فما استحق الحياة من لا مبدأ له يعيش من أجله .. ولكننى فقط أرى أن المبادئ وحدها لا تكفى ، لأن الرباط الذى يربط العقول ،

لا يستطيع دائما أن يربط القلوب ، وأن يذيب الهوى . ويقتل الأطماع ..

ولذلك أرجع الفضل في نجاح هذه الثورة ، وعدم انكشاف أمر مدبريها والمهدين لها .. الى شيء أهم كثيرا من المبادئ التي قامت عليها ، وقامت من أجلها .. الى الصداقة العزيزة الوثيقة ، التي ربطت بين كل من شارك فيها ، صغيرا كان أم كبيرا ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الأحرار قبيل الثورة على الألف ضابط ، فلا يوجد بينهم خائن ، ولا وجل ولا ثرثار ؟! ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة ، أن تقوم الثورة فعلا وتنجح ، فلا يعرف من الأحرار الا هذا العدد الضئيل ، الذي ألزمته ظروف الثورة أن يظهر بوجهه على مسرح الأحداث ، وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير ؟! ..

انها الصداقة فقط . الصداقة . التي استطاعت أن تحوّل مبادئ الثورة بسياساتها المتينة ، وأن تحمى النفوس من نزواتها .. لأنها احتلت من كل قلب منزل الأطماع ..

وبهذا الدستور .. دستور الصداقة .. بدأ التكوين الفعلي للأحرار في عام ١٩٤٤ ..

اجتماعات

كانوا قد أصبحوا جماعة من الأصدقاء .. جماعة صغيرة عرف بعضهم بعضا في ظروف كثيرة مختلفة .. وقربت بينهم صداقة أثرية واعية ..

ومنهم من عرفه الناس في مجلس الثورة بعد ذلك .. ومنهم من لا يزال يقوم بتصيبه من العمل في وحدته أو سلاحه أو الإدارة التي ينتمى إليها ..

كان منهم مثلا ، جمال عبد الناصر ..

وكان منهم طلعت خيري وعبد المجيد فؤاد من سلاح المدفعية .. وكان منهم عثمان نوري من ضباط المخابرات وكان منهم كمال الدين حسين .. وكان منهم حسين حمودة .. وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

وكان معهم آخرون أيضا .. فلست أذكر الأسماء هنا على سبيل الحصر .. فقد كان معهم مثلا الصاغ خالد محيي الدين ، وكانوا يجتمعون أحيانا في بيته بشارع الخليج بالحمية .. كما كانوا يجتمعون في بيت جمال الذي كان يقع عند تقاطع شارع الملك مع شارع الملكة نازلي .. وأحيانا كانوا يجتمعون في بيت عثمان نوري بشارع جسر السويس بضاحية مصر الجديدة .. وأحيانا في بيت حسين حمودة بمنشية البكرى .

رأى عام

أصدقاء متفاهمون .. يريدون أن يعملوا شيئا .. ويستعرض هؤلاء الأصدقاء حالة البلاد .. فيخرجون بعدد من الحقائق التي يجب أن يحسب لكل منها حسابها ..

يستعرضون حالة الجيش ، فإذا هي حالة أليمة غير مشجعة .. فلم يكن لضباط الجيش اذ ذاك رأى عام .. ولو فرض ان كل ضابط صغير كان اذ ذاك ساخطا في نفسه .. فان هذا السخط

لا يمكن أن يؤدي الى نتيجة عملية ، مالم يصبح سخطا عاما ، محدد
الأسباب ، دافعا الى التكتل والعمل .

فالمشكلة الأولى اذن ، هي مشكلة خلق رأى عام واع بين
ضباط الجيش ، حتى يستطيع هذا الرأى العام أن يحرك
الجيش كله نحو هدف واحد ، بصورة منظمة منسقة تؤتى
ثمارها ..

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة ، ما سبق من أحداث
خلال الفترة الاولى من أيام الحرب .. فقد كنا اذ ذاك نعمل ..
ولكننا كنا نعمل اعتمادا على أنفسنا ، لا على رأى عام موحد بين
الضباط .. ولذلك كانت أعمالنا فردية ، أو شبه فردية .. وقد
تأكد لهذه المجموعة ألا جدوى هناك من أى عمل فردى .. وان
العمل يجب أن يكون عملا جماعيا كبيرا يأتى نتيجة لرأى عام يجمع
الضباط ..

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها .. هي
مشكلة انعزال الجيش عن الشعب ، وتسخيره دائما ضد كل حركة
شعبية تقوم فى البلاد ..

فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله .. عبء
الثورة بعد الثورة .. عبء التضحيات الجسيمة والاستشهاد
برصاص السلطات المصرية والانجليزية أيضا ..

وكان الجيش .. الجيش المصرى .. هو القوة الحارقة التى
يحسب الشعب حسابها ، كلما فكر فى الثورة من أجل تحقيق
أهدافه ..

كانت هذه هي صورة الجيش فى نظر الشعب .. أو كان هذا
هو الوضع المتعارف عليه .. ولم يحدث أبدا ان حاول الجيش

ازالة هذه الفرقة بينه وبين الشعب ، لا لان ضباط الجيش كانوا يكرهون ذلك ، ولكن لأنهم كانوا منصرفين عنه انصرافا غير واع ..
أى انهم كانوا مستسلمين للأمر الواقع المتعارف عليه ..

وكانت هذه المجموعة ترى أن الشعب الذى تحمل حتى اليوم كل الثبعات والتضحيات ينبغي أن يطمئن الى جانب جيشه ..
وأن يدرك أن هذا الجيش معه لا عليه .. وعلى الأقل ، أن يدرك ان هذا الجيش ، ان لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعه ، فلن يكون عليه بحكم مصريته ..

أهداف ... وهدف

واستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى ..

خطة لها أهداف صغيرة يتبع بعضها بعضا .. ولها هدف كبير. وغاية ، يجب أن تصل اليها مهما بعدت الشقة وطال المدى ..
وأصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الأيام ، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى :

✳ خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش

✳ اشعار الضباط ان عليهم مسئولية كمواطنين ، لا تقل عن مسئولية أفراد الشعب العاديين ..

✳ التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم الى أن يكون للجيش نفسه دور فى عملية انقاذ البلاد ، أو ان يكون على الأقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة ، بحيث لا يشترك فى تسديد الضربات الى الشعب اذا تقدم أحد لحمل تبعه الانقاذ ..

أما الهدف البعيد من كل هذا فهو الوصول بأى صورة من الصور الى تغيير النظام الملكى القائم فى البلاد ..

لا سرية ..

وبدأت المجموعة بعد ذلك تسير الى هذه الأهداف وفق نظام معين أيضا تم الاتفاق عليه ..

فقد تم الاتفاق مثلا على نبذ السرية نبذا تاما فى هذه المرحلة من مراحل الدعوة ..

فان السرية توحى بالتآمر ، وتندّر بالخطورة ولا تستطيع ان تجمع الانصار بسهولة ، لان عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الأمر ..

فلتكن العلنية اذن هى الوسيلة .. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها ، واختيار الأشخاص الذين يبدو اخلاصهم وقدرتهم على العمل دون اثاره لفظ أو شكوك فى صفوف الضباط أو فى الأوساط الحاكمة ..

وكانت هذه هى الخطوة الاولى .. فقد أصبحت هذه المجموعة بين جماعات الأصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشاكل الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. الداخلية والخارجية ..

وبدأت هذه المناقشات العلنية تستهوى الضباط الشبان المتحمسين .. وتبدأ حياتهم بشئ جديد يعطيها قيمة أكثر . فقد كانت حياة ضابط الجيش حتى ذلك الوقت حياة خاوية الا من النظريات العسكرية التى يدرسها والتدريبات التى يقوم بها ، ومشاكله الفردية الجديدة أو العابثة على حد سواء ..

وانتشرت هذه الجماعات المفكرة .. أو انتشرت هذه المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مباشرة ناجحة ..

لا بد من قيادة

وبدأت بواكير النجاح تظهر سريعا ..
فقد بدأت تسمع نفس المناقشات هنا ، وهناك .. وبدأت ترى الضباط يلتقون ، فإذا هم متفقون في السخط ، متفقون في الشعور بحاجات الوطن ، متفقون في التفكير فيما يجب عمله من أجل انقاذه ..

ومعنى هذا ان رأى العام قد بدأ يتكون .. وان عقبة كبيرة من عقبات الطريق ، قد أخذت تزول ..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه .. فقد كان واضحا ان هذا السخط عندما ينمو ، يمكن أن يكون خطرا كبيرا ، اذا لم يصحبه توجيه سديد ..

فقد تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر وبين يوم وآخر من تلك الأيام العصيبة السوداء .. وإذا بالساختين ينفجرون فرادى .. أو ينفجرون دون وعى ، فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها ..

وقد تستطيع بعض الهيئات أو الجماعات ، اذ تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش ، أن تحاول ضمهم اليها بصورة أو بأخرى .. وعندئذ تقلت من الجيش قيادته ، الى أيد قد لا تحسن التوجيه ..

وعادت المجموعة تتفق على أساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح :

✳ العمل على ألا يتأثر الضباط بالأحداث الجارية أى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى ، ودون خطة حكيمة مرسومة ..

✳ والعمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم ، فلا يرتبطون كأفراد ، أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش لأن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجيهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطره ، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس ..

تجمعات

وكان لا بد لضمان هذين العنصرين من نشاط منظم تسيطر على توجيهه المجموعة بنفسها ..

ويوما بعد يوم ، وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا ، وفى نطاق واسع ، وعلى أساس الصداقة أيضا ..

وعن طريق هاتين الحركتين ، بثت الأفكار ، وحذر الضباط من التأثير بالخوادث تأثرا فرديا ومن الارتباط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش .

وبدأت هاتان الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط .. وأصبحتا جزءا لا يتجزأ من رأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الاسلحة .

واطمأنت المجموعة الى أن الجيش لن يقوم بأى عمل أخرق أو أحمق .. وأن الضباط سيظلون بمنأى عن التأثير الفردى ، وأنهم لن يعملوا الا جبهة واحدة منظمة ..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضباط الجيش ، ولا نسبة كبيرة منهم ..
فقد كانت في الجيش العناصر السلبية التي لا تضر ولا تفيد ، والتي لا يمكن الاعتماد عليها في أى شيء ..
وكانت في الجيش عناصر أخرى مستقلة عن هذا التكوين ، كجماعة مصطفى صدقي التي رفضت جماعتنا التعاون معها ..
وكانت في الجيش عناصر انتهازية ، لم يكن من الصعب تحديدها ، واتقاء خطرها ..

وفي ظلال هذه الاجتماعات العلنية ، والمناقشات المخلصة ، والوعى الذى بدأ ينمو ، تكونت الصداقة القوية بين الضباط .
التي كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ .. وظلت سياجها حتى اليوم ..

ومثلما كان من المستحيل الوصول الى السيطرة الكاملة على جميع ضباط الجيش وعناصره ، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثير بالأحداث الجارية في البلاد .. ولكن المبدأ الذى اتفقت المجموعة عليه ، منذ البدء .. وهو ألا يؤدى هذا التأثير الى أى عمل فردي ، قد ظل سائدا طول الوقت .. وكان تأثير الضباط بالأحداث ، عاملا مساعدا لا اكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد ، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا وضوح الشمس ..

الاخوان وصدقي

ففى فبراير سنة ١٩٤٦ - مثلا - وقعت حوادث الجامعة المشهورة ، فاثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية ، وحقدهم على السلطة الحاكمة والمستعمرين ..

وفي خلال الأيام التي تلت هذه الحركة ، وقعت المهادنة بين صدقي وجماعة الاخوان المسلمين ٠٠ فأيدت هذه المهادنة دعوتنا الى عدم الارتباط بأية جماعة خارج نطاق الجيش ، اذ وضع في أثنائها التناقض بين ضباط الجيش الذين كانوا - كأفراد - على صلة بالاخوان المسلمين ، وبين جماعة الاخوان كجماعة لها سياستها التي أوحى لها في ظرف من الظروف ان تهادن حكومة صدقي ضد حركة الشعب ٠٠

٠٠٠ ثم الوفد

وعندما ذهب النقراشي الى مجلس الامن يعرض قضية مصر ٠٠ قوبلت الطريقة التي هاجم بها الانجليز هناك باعجاب شديد في صفوف الضباط جميعا ٠٠ وفي الوقت نفسه ، كشف النحاس عن وجه غير وطني عندما أرسل برقيته المشهورة الى سكرتير الأمم المتحدة يعلن فيها ان النقراشي لا يمثل شعب مصر ٠٠ في وقت كان النقراشي فيه يهاجم الانجليز .

ولعل هذين الموقفين قد أحدثا مقارنات كثيرة بين موقف النحاس وموقف النقراشي ، فقد كان شعور الاعجاب بالنقراشي في موقفه ، يقابله شعور الاشمئزاز من النحاس في موقفه . ولكن عودة النقراشي من مجلس الامن ، وأعماله التي تبعت ذلك لقمع الحركة الشعبية بالحديد والنار ، قد بعث في الضباط الشعور باليأس من كل الرجال ٠٠ وسوت بينه وبين غيره من الذين تشددوا بالوطنية وخانوا قضية الوطن ٠٠

مصاييح في الطريق

هذه الأحداث بالذات

حادث الكباري ، وحادث المهادنة بين الاخوان وبين صدقي

وحدث برقية النحاس ، وحدث قمع الحركة الشعبية على يد
النقراشي . . قد كان يمكن أن تؤدي جميعا ، أو ان يؤدي أى حدث
منها الى انفجار فردى أو جماعى من ضباط الجيش على غير وعى ،
أو تنظيم سليم . .

ولكن المبدأ الذى كان قد ساد الضباط وشاع بينهم ، جعل
من هذه الأحداث مجرد مصابيح تضيء لهم طريق العمل القادم ،
وتزيد من وعيهم الحقيقى بما يجرى فى البلاد ، وبالدور الذى يجب
أن يقوموا به . .

ومع الأيام التى تمر . . بدأت المرحلة الثانية ، مرحلة التنظيم
والتكوين . . بعد أن اطمأنت المجموعة الى المرحلة الأولى . . مرحلة
اشاعة الوعى ، وتكوين الصداقات . .

تشكيل سري داخل الجيوش

- كيف أبيع للضباط التطوع
في حرب فلسطين ؟
- حرب فلسطين تزيد سخط
الأحرار ..
- تزوير قسائم العهدة ..
والحرب بالبنادق فقط !
- الاخوان والفتى والجامعة
العربية ..
- خطابات وحماس ..
- مساعدة في الطريق ..

كانت الروح التى سادت الجيش قد بدأت تبشر بنجاح عظيم
خلال الاحداث الكثيرة المتعاقبة فى عامى ١٩٤٦ - ١٩٤٧ .

فقد ازدادت جماعات السخاطين بصورة ملحوظة وانتفت
السلبية انتفاء يكاد يكون كاملا . . . وأدرك الضباط ادراكا كاملا
انهم على وشك أن يخوضوا معركة من أجل الخلاص . . . خلاص
الشعب وخلاص الجيش الذى ينبت من صميمه . .

وشعر الحكام (الملك الطاغية ، والقواد « العظام »
والسياسيون) بعدوى السخط التى بدأت تنتشر فى صفوف
الضباط . . . وخيل اليهم ان « المصل الواقى » من وباء السخط
يكن فى خزائن الدولة ، وانهم اذا استطاعوا أن يحققوا بهذا المصل
جيوب الضباط لا يمكنهم أن يعيدوهم الى السلبية المطلقة التى كانت
قد أصبحت من تقاليد الجيش المصرى الراسخة دهرا طويلا . .

وكانت السلبية هى كل ما يأملون فيه ، ليس استطيعوا عن
طريقها عزل الجيش عن معارك الشعب ، وتسخيره فى الوقت
المناسب لالهاب ظهره . .

وبدأت ترقيات الضباط تنشر فى الصحف متتابعة متلاحقة
كوسيلة لارضائهم من جانب ولايقاع الفرقة بينهم وبين طوائف
الشعب المازومة من الجانب الآخر . .

(١٥ و ١٦) أسرار الثورة - ٢٢٥

ولكن حسابهم كان مليئا بالاطعاء الجسيمة ٠٠ والخطا الاول والاكبر فيه ، هو ان الروح الوطنية عندما تستيقظ ، يصعب تخديرها ٠٠ وان الاغداق المقتعل يكشف بنفسه عن دوافعه ويصبح عاملا من عوامل اشاعة السخط لا اشاعة الرضى ٠٠

وفي الوقت نفسه ٠٠ كانت الاحداث تتلاحق ٠٠ وكانت احداثا جسيمة كشفت الغطاء عن كل شيء ، وبدأت تجرف الضباط جرفا ٠٠ نحو المعركة ٠٠

تخول الى العمل السرى

فى ذلك الوقت كانت حلقات الساخطين ، تضم كل منها خمسة ضباط على وجه التقريب ٠٠

وكانت الاسلحة جميعا ممثلة فى هذه الحلقات ، والصدقة القوية تربط بين أفرادها ، من مختلف الاسلحة ، ومختلف الرتب التى لم تكن قد تجاوزت رتبة الصاغ فى ذلك الوقت ٠٠

ورأت المجموعة أن تبدأ تنظيمها بداية تدريجية ٠٠ فلانتقل من الاجتماعات العلنية الى العمل السرى دفعة واحدة ٠٠ وانما تتدرج الى ذلك ، حتى يصبح واقعا طبيعيا تؤمن عواقب السير فى طرقاته ٠٠

فقد كان رأى المجموعة قد استقر فعلا على تكوين جهاز سرى فى داخل الجيش يناط به الاعداد للعمل الكبير ، والقيام بهذا العمل أيضا فى اللحظة المناسبة ، مطمئنا الى تأييد الضباط جميعا فى المرحلة الحاسمة ، بعد أن اشتعلت فى قلوبهم شرارة السخط ، ونما الوعي الشعبى فيهم ، كأفراد ٠٠ وكجماعات ٠

وكان اختيار أعضاء هذا الجهاز السرى ، يحتاج الى دقة : ووقت غير قصير ٠٠ خصوصا وانه لم يكن من تقاليد هذه المجموعة.

أن تركز الى أساليب الاختبارات المفتعلة التي تركز اليها الجمعيات السرية على اختلافها كما لم يكن من تقاليدها الاعتماد على حلف يمين أيا كان شأنه .. وانما الاعتماد فقط - على الاخلاص الواعي المقترون بالصدقة الكاملة .. وبدأ التدرج الى الهبوط - تحت الارض - والايذان ببدا العمل السرى يأخذ طريقه هادئا حتى لا يشعر الضباط بأن هناك حركة غير عادية ، أو عمليات فصل بين الجهاز السرى وبين مجموعهم الساخطة ..

اشتراكات ... ومنشورات

وكانت الخطوة الاولى فيه ، هي اقتراح جمع اشتراكات من الحلقات الساخطة جميعا ..

وفهم الضباط من هذا الاقتراح ان هناك اتجاها الى عمل ، فعند مناقشة الاقتراح ، وتعليل أسبابه .. ذكر احتمال اللجوء الى طبع منشورات .. واحتمال ايقساع الحكومة لونا من الاذى ببعض الضباط ، وانه يجب أن يكون لدى «الضباط» لا لدى «المجموعة» قدر من المال يتفق منه على المنشورات ، وعلى معاونة الضباط الذين يمكن أن يصيبهم الاذى من جراء هذه الاعمال ، واعالة أسرهم اذا أصابهم شر ..

وفي الوقت نفسه .. نوقشت جبهة الاعضاء .. وحددت تحديدا واضحا ، بأنها مكونة من الاستعمار .. والملك .. والاحزاب السياسية جميعا ..

وأدرك كل ضابط انه مشترك اشتراكا فعليا في محاربة هذه الجبهة .. فسهل بعد ذلك انشاء التنظيم السرى ، فى مأمن من الفضول ، لقد كان كل ضابط بعد ذلك يعتقد انه واحد من التنظيم السرى ، ولا يفكر فى اكتشاف أمر ، يعتبر اكتشافه خطرا راهما على الحركة كلها .. وعلى المشتركين فيها ، وعلى البلاد ..

فلسطين

وبينما كانت المجموعة تدبر أمر البدء في التشكيل السرى .. جاءت الاحداث ، تؤجل هذه الخطوة وتحول اتجاه السخط الى ناحية أخرى ، لم تلبث ان كانت حجر الزاوية في تهيتة الجو لجراح هذه الثورة ..

فقد أقبل عام ١٩٤٨ ١٠٠ وأقبلت معه احداث فلسطين .. أو بصورة عامة .. حرب فلسطين ..

والقراء يذكرون كيف التهيت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابة على عرب فلسطين العزل من السلاح .. وكيف قرر الشباب العربي في مختلف البلاد خوض الحرب المقدسة ، دفاعا عن العروبة في أعز ديارها ..

وفي الايام الاولى لهذه الاحداث ، لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش هذه المعركة .. ولكن الحكومة كانت في موقف لا تستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب ، من خوض هذه الحرب كمتطوعين ..

وكانت المجموعة ترى من واجبهما تدريب الشبان الذين يتطوعون للقتال ، والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة ..

الاخوان .. والمفتى .. والجامعة العربية

وبدأت في تلك الفترة صلات جديدة مع جماعة الاخوان .. صلات بين ضباط المجموعة ، وبين قيادة الجماعة ..

فقد عقدت اجتماعات في بيت المرحوم حسن البنبا ، ضمت جمال عبد الناصر ، وكان اذ ذاك في كلية أركان الحرب ، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية ، وبعض الضباط المنتمين للاخوان ..

وفى نفس الوقت نشأت صلات بين المجموعة وبين الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ٠٠ وبين المجموعة وبين الجامعة العربية ٠٠

وكان هدف المجموعة من هذه الصلات جميعا ، هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة ، وتدريبها واعدادها اعدادا كاملا بكل ما تحتاج اليه من خبرة ومن سلاح ، قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة ٠٠

وكان الاخوان يقولون انهم مستعدون الى أقصى الحدود ، وانهم لا ينقصهم شيء سوى السماح لهم بالسفر الى ميدان المعركة ٠٠ وكان المفتى والجامعة العربية الى جانبه ، يكونان تشكيلات من المتطوعين ، وقد أعلنت الجامعة انها على استعداد لتسليحهم والانفاق عليهم ٠٠

الاستيلاء أو الاستقالة

وبقى دور الضباط ٠٠ فحينئذ كان الضباط لا يستطيعون الاشتراك فى الحرب الا اذا أعلنت الحرب من الدولة اعلانا رسميا ، واشترك الجيش فيها ، ولم يكن قد تقرر بعد اعلان الحرب ٠٠ ولذلك فكر الضباط فى الخروج من الجيش ، والاشتراك فى الحرب كمتطوعين ٠٠

وبدأت الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة ومن عدد كبير من الضباط الآخرين ٠٠ وكانوا يكتبون فى طلباتهم ، انهم مستعدون لتقديم استقالاتهم ، أو طلبات الاحالة الى الاستيلاء ، على أن تتركهم الحكومة يذهبون الى الميدان بأسلحتهم ٠٠

وكانت الحكومة مترددة فى ذلك أشد التردد ، مما أوجد الضباط فى حالة من الغضب ، وزاد من حدة السخط فى قلوبهم ٠٠

ولكن ضغط الحوادث كان قاسيا وخطيرا ٠٠ وشعرت الحكومة
بأنها لا بد أن تعمل عملا ٠٠ واقتربت اللحظات الحاسمة ، مع ازدياد
فظائع اليهود يوما بعد يوم ٠٠

قبول التطوع

وفكرت الحكومة في أن ترسل جمباعة من ضباط سلاح
المهندسين الى فلسطين ، ليقوموا ببعض الاعمال الاستكشافية
ووجدت ان خير وسيلة لذلك ، هي أن تقبل ماكان الضباط يطالبون
به من اباحة احوالهم الى الاستبداد أو قبول استقالاتهم وتركهم
للذهاب الى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين ٠٠

وفوجيء الضباط باشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان المهدي
(باشا) رئيس هيئة أركان حرب الجيش في ذلك الوقت .

ولبي الضباط الاشارة ، وفي مكتب رئيس أركان الحرب ،
وجدوا الفقيه أحمد عبد العزيز ٠٠ وأخبرهم الفريق عثمان المهدي،
ان طلباتهم قد قبلت ، وانهم يستطيعون اعداد أنفسهم للتطوع
للمقاتلة ٠٠

٤. قطاعات

كانت الجامعة العربية اذ ذاك قد بدأت تنظم تشكيلاتها
بالاشتراك مع مفتي فلسطين ، وكان قد تقرر تقسيم فلسطين الى
أربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان ، على أن تخضع القيادات الأربع
للجنة العسكرية التي جعل مقرها دمشق ، ومثل مصر فيهما اللواء
صالح حرب ٠٠

وكان القطاع المصري في فلسطين هو قطاع الجنوب ، وقد
عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبد الواحد سبل ٠٠

وكانت المجموعة تعرف اللواء سبيل من قبل ٠٠ فقد كان الفريق ابراهيم عطا الله قد أخرجه من الجيش ٠٠ فأقام الضباط له حفلة تكريم في نادى الضباط ٠٠ لا لتكريمه فعلا ولكن تحديا لابراهيم عطا الله ٠٠

وكان مع اللواء سبيل ، ضابط مخابرات هو النيوزباشى مصطفى كمال صدقي ، وقد سافر سبيل الى فلسطين مع متطوعي الجامعة العربية والمفتى ٠٠ ولكنه لم يمكث هناك طويلا ، فقد دب التفور بينه وبين ضابط مخابراته ٠٠ ثم عاد هو ، ولم يرجع مرة أخرى الى الميدان ٠٠

استعداد ٠٠٠

وكان الضباط المتطوعون في تلك الايام يعدون أنفسهم للسفر ٠٠ يعدون أنفسهم بالسلاح ، وتدريب الجنود الذين سيجاربون تحت امرتهم ٠٠ فلما عين المرحوم أحمد عبد العزيز قائدا لقوات المتطوعين في فلسطين ، ذهبت المجموعة معه الى منزل اللواء سليمان عبد الواحد سبيل لتحصل منه على معلومات عن الجبهة ٠٠

وكان مؤسفا انها لم تستطع الحصول على أية معلومات ذات قيمة عسكرية ٠٠

ومضى الضباط يواصلون استعداداتهم ٠٠

وكان أقسى ما يواجههم هي عمليات الاستعداد ٠٠ فللأسف الشديد كانت ظروف الاعداد قاسية مؤتسة لأي ضابط ، مشبعة لهم ، قاتلة للارواح ٠٠

بنادق فقط ! ..

كانت الحكومة مثلا تريد من الضباط والجنود أن يسافروا الى ميدان القتال غير مزودين الا بالبنادق !

وكان الضباط يحاولون اقناع المسئولين بأن البنادق وحدها لا تكفى وان السفر بغير مدافع ، يعتبر انتحارا ، أو يعتبر مهزلة يدفع المتطوعون ثمنها من أرواحهم .. ولكن الحكومة لم تكن تتحرك لصراحتهم ..

وبدأت الايام تمر ، ومع مرورها بدأ اليأس يخيم على النفوس ، حتى لقد عاد كثير من الضباط فى قرار التطوع ، ورجعوا الى خدمة الجيش بعد أن كانوا قد قطعوا شوطا فى استعداداتهم ..

وأى ضابط يسمح لنفسه أن يذهب الى القتال .. ومعه بندقية ، وليس مع جنوده سوى البنادق .. والميدان ميدان حرب حديثة لم يكن أحد يشك فى انها حرب ضد عدو مجهز بأحدث وسائل القتال ..

وأخيرا .. وبعد جهود طائلة سمحت الحكومة للمتطوعين بأن يأخذوا معهم عددا من المدافع .. وكان هذا انتصارا عظيما ، فرح الضباط والجنود به .. !

خطابات ..

وجاءت ليلة السفر .. وفى ليلة السفر وقعت بعض المفارقات والحوادث التى لا تنسى ..

فى ذلك اليوم .. يوم السفر .. اعتذر عبد المنعم عبد الرؤوف عن الذهاب الى الميدان .. وكان متطوعا ، ولا يدرى أحد لماذا تردد ، فقد كان حتى ذلك اليوم شديد الحماس ..

ولم يكذب نبياً اعتذاره يعرف حتى تقدم اليوزباشى خالد فوزى
لبحل محله فى التشكيلات المسافرة ٠٠

وعندما ذاع نبأ اعتذار عبد المنعم عبد الرؤوف ، دب الذعر
فى نفس أحد الضباط ، فاعتذر بدوره أيضاً ، وإذا بالمرحوم
اليوزباشى أنور الصيحي يتقدم لكى يحل محله ، وكأنما كان يسعى
الى قدره ٠٠ فقد استشهد أنور الصيحي فى أول معركة عقب وصوله
الى أرض فلسطين ٠٠

وفى مساء ذلك اليوم جمع أحمد عبد العزيز جميع المتطوعين
وخطب فيهم قبل السفر ٠٠ وكل من حضر تلك الليلة يذكر خطاب
أحمد عبد العزيز ٠٠ ويذكر قوله بحماس لهؤلاء المتطوعين ، انكم
لا تذهبون لقتال عدو فحسب ٠٠ ولكنكم ذاهبون لتكتبوا التاريخ ٠

وفرغ أحمد عبد العزيز من خطابه ٠٠ وإذا بالجمع يرى
المرحوم حسن البنا ومعه الشيخ فرغى ، قادمين لوداع المسافرين ٠٠
وخطب حسن البنا ، وخطب الشيخ فرغى ٠٠ واشتد الحماس وبلغ
أوجه ٠٠

المتطوعون ٠٠٠

وفى الحقيقة كانت الروح عالية ٠٠ وكان الحماس شديداً ٠٠
وكان الكل ذاهباً لكى يموت أقدس ميتة وأشرفها ٠٠ ولكن هذا
لم يكن يعنى أمام الضابط العارف بأسرار القتال وفنون الممارك ،
ان العمل من أوله الى آخره لن يؤدى الى نتيجة تذكر مهما حسنت
الظنون ٠٠

فقد كان المتطوعون خليطاً من شباب الاخوان المسلمين ، ومن
أفراد الليبيين ٠٠ وما تعرفه الجيوش النظامية جميعاً باسم الضبط
والربط ٠٠ كان مفقوداً تماماً بين هذا الخليط الذى لم يتعود الحياة
العسكرية ، ولا يستطيع أن يفهمها فى أيام معدودة ٠٠

وكان الضباط حيارى بين الاخوان المسلمين بنظمهم الخاصة
وتقاليدهم المعروفة ، وبين الليبيين الذين كان السيد عبد الرحمن
عزام قد أتى بهم وقال انهم خير المحاربين وأشدهم بأساً وأقواهم
شكينة ..

ولكن روح الفداء التي كانت مسيطرة على الجميع كانت توحى
بإمكان التغلب على جميع المصاعب والعقبات ..

ورحلت قافلة المتطوعين ..

والذي أفادته حركة الجيش من هذه الرحلة .. رحلة المتطوعين
الى أرض القتال ، لا يمكن تقديره بحال من الاحوال .. فقد كانت
هذه الرحلة وحدها كافية لكى تخلق فى كل ضابط قذراً من
السيخط ، يكفى لكى يدفعه دفعا الى الموت فى سبيل تغيير الاوضاع
القائمة فى البلاد ، اذا حدث ان عاد من الحرب سليماً ..

كشوف العهد

بدأت المهازل بما رآه الضباط من قوات الاسلحة المختلفة
بخصوص «العهد» التي كانت لديهم فى أسلحتهم .. فأسوأ الاسلحة
أعطيت للمسافرين وأسوأ العربات أعطيت لهم .. وأكثر من ذلك،
قام كل صاحب عهدة بمجرد عهده جرداً خاصاً ، لكى يحصر الناقص
منها ، ويكتبه فى كشوف الاسلحة والمعدات المسافرة الى الميدان ..

وهكذا كنت تجد فى الكشوف ما لا تجد فى الحقيقة ... بل
كانت الكشوف تحوى أضعاف الاسلحة والمعدات الموجودة فعلاً فى
أيدي الجنود لان أصحاب «العهد» وجدوا فى هذه المناسبة فرصة
العمر لتغطية ما فى ذمتهم من نقص شديد ..

مساعداً

والذين كانوا يعطفون على المسافرين فعلاً ، ويساعدونهم فعلاً ، هم اخوانهم الضباط والجنود والعمال الذين التقوا بهم فى الطريق .

ففى العريش مثلاً ، قام رجال الصيانة بفحص العربات المسافرة ، والذعر والأسى والحزن مخيم عليهم جميعاً . . . فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشيء . . . وقضى رجال الصيانة هناك ليلهم ونهارهم عاكفين على اصلاح السيارات واعدادها لكى تستطيع أن تكمل الرحلة الى الميدان . . .

وكان الضباط يقولون لـ اخوانهم : « الله معنا . . . فالذهاب الى الحرب بسيارات كهذه نوع من الانتحار . . . »

ومع كل هذا ، فقد كانت الروح اقوى ، والحماسة أشد من أن يجرفها اليأس . . .

وسافر المتطوعون ، وقد لزموا فى طريقهم فلنكات السكة الحديد ، حتى وصلوا الى رفح . . . ثم الى خان يونس . . .

وفى خان يونس . . . فوجئ الضباط فى اليوم التالى بحضور عبد المنعم عبد الرؤوف . . . وهكذا لم يتخلف هذا الضابط الذى كان معروفاً بين اخوانه بالحماس . . .

ولنترك المتطوعين الآن . . . فلسنا بسبيل كتابة تاريخ حرب فلسطين . . . لنتركهم ، والحق على الاوضاع يغلى فى قلوبهم . . . ونلتقى بالجيش المصرى المسافر رسمياً الى فلسطين بعد هذه الرحلة بأسابيع قليلة . . .

فلسطين .. كَيْفَ ذَهَبْنَا .. وَكَيْفَ عُدْنَا

- ♦ القيادة تأمر بإنشاء ركن
فاروق في غزة !
- ♦ القاعدة في القاهرة ..
- ♦ عبد الهادي يقبض على
جمال عبد الناصر ..
- ♦ أهداف الضباط الأحرار ..
- ♦ السرية المطلقة ..
- ♦ نظام الخلايا ..

ان قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفعجة ..
هي مأساة حقاً ومأساة من النوع الذي لا ينسى ..
ولقد حاولت أن أكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه
الثورة في اثناء حرب فلسطين .. ولكنني امسكت .. فما اعرفه
انا عن هذه الحقبة المجيدة من حياة شعب مصر وجيشها اعرفه
بالسمع ، لا بالممارسة والتأثر والانفعال .. وعندما اتذكر
ما كنت اسمعه خلال تلك الايام من مآسى الحرب ، وخيانة
القيادات ، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة ، ومتساعبي
الشخصية اذ كنت اذ ذاك سجيناً .. فلم يكفني حبس حريتى ،
ولكن كان مقدرا على ايضا ان احرم من خوض هذه الحرب
المقدسة ، التي طالما تآقت نفسي لخوضها ..
وأيام السجن يمكن أن تكون لها صفحات ..
وأيام الحرب ، لها بدورها صفحات ..
وان ارتاحت نفسي الى ذكر صفحات من ايام سجنى في يوم
من الايام ، فلن ترتاح لكتابة شئ عن ايام الحرب التي لم
أخضها ، والتي خاضها زملاء لى ، كاتبون ..

الحرب

والذى لا بد من ذكره لسكى تستقيم هذه الصفحات هو
الصورة الذهنية والعاطفية ، لضباط الجيش ، ومنهم ضباط

مجموعتنا يوم دخولها • والصورة الذهنية والعاطفية لضباط
الجيش وضباط مجموعتنا يوم عادوا منها ••

اما يوم الخروج للحرب •• فيوم ذكراء مجيدة فى نفوس
الضباط والجنود جميعا ••

لقد اعلنت الحرب •• وسواء أعلنها فاروق أم أعلنتها حكومة
البلاد القائمة - حكومة النقراشى فى ذلك الوقت - وسواء
أكان اعلانها خطأ ، أم كان اعلانها صوابا - وسواء أكان الجيش
مستعدا لخوضها ، أم لم يكن مستعدا • فالحقيقة الوحيدة
هى ان الضباط جميعا لم يفكروا فى شيء من هذا كله •• لم
يفكروا فى الخطأ أو الصواب لم يفكروا فى احتمال النصر أو
احتمال الهزيمة •• ولكنهم فكروا فى شيء واحد فقط •• ان
حربا اعلنت باسم مصر ، وان جيش مصر يجب ان يخوض
هذه الحرب ، كأشجع ما تخوض الجيوش حروبها ، وان يموت
رجالها ، ضباطه وجنوده ، فداء لكل ذرة من ثرى الارض المقدسة ،
ثرى العروبة والمجد والتاريخ والقداسة ••

هذا هو ما فكر فيه ضباط الجيش وجنوده •• وهذا
وحده هو ما جعلهم يندفعون اندفاعا الى ميدان الشرف ، دون
نظر الى الحقائق الاساسية التى يهتم بها كل محارب وخاصة
اذا ما اشعرته الظروف بأن قيادته نفسها لم تول الامر ما هو
جدير به من الاهتمام ••

فالذين سافروا الى الحرب سافروا مجردين من اقوى
سلاحين يسافر بهما المحارب •

المعلومات الحقيقية او شبه الحقيقية عن العدو ••

والاطمئنان الى حسن استعداد الجيش نفسه ••

والذين سافروا الى حرب فلسطين ، لم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا عن جيش اليهود ، ولم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا أيضا عن جيش مصر نفسه ومدى استعداده وحقيقة امكانياته ! ولكنهم سافروا .. سافروا حماسة .. وسافروا ذودا عن شرف الوطن الذي ادخرهم للذود عنه .. وقد آن ان يلبوا نداءه المقدس رغم كل شيء ..

فى ارض المعركة

وكل ما يفيد الآن فى هذه المذكرات ، هو ما شعر به الجيش المصرى فى فلسطين منذ الاسابيع الاولى ، من حقائق تشبط أى همة ، وتقتضم أى ظهر ..

فهناك .. فى ارض المعركة ، وضع تماما ان كل ما يلزم لجيش يحارب لا وجود له فى جيش مصر .. كل ما يلزم .. من سلاح او عتاد او ذخيرة او مواصلات .. لا وجود لشيء يصلح للحرب ابدا ..

وهناك فى ارض المعركة ، وضع تماما انها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العالم بأسره .. فالجيش يحارب فى فلسطين ولكنه يقاد من القاهرة .. وهو يقاد من القاهرة وتصدر له الاوامر .. أوامر التحرك والهجوم دون نظر لا الى اصول الحرب ، ولا الى مقدرة الجيش نفسه ..

وهناك فى ارض المعركة ، وضع تماما ان الانجليز قد دبروا تدبيرهم لحياتنا .. لحيانة هذا الجيش فى معركته الاولى المقدسة .. فهؤلاء الانجليز الذين وعدوا حكومة النقراتى بمساعدة جيش

مصر بالسلاح والعتاد والذخائر .. قد امسكوا ايديهم مرة واحدة .. ولم يعطوا الجيش شيئا ..

وهناك في ارض المعركة ، وضع تماما ان الانجليز قد دبروا تدبيرهم لحيانة جيش مصر لا بهذه الوسيلة فقط ولكن بالتدخل لدى بعض الدول العربية ، لكي تحيك بنفسها الفخاخ لجيش مصر ..

وركن فاروق ! ..

وهناك في ارض المعركة ، شاهد الضباط والجنود المصريون مهزلة المهازل ومأساة المآسى يوم ذهبوا الى غزة - ولم يكن في غزة حرب ولا قتال - واذا بالامر تأتي من قيادتهم بالقاهرة ، بانشاء استراحة لفاروق هناك تسمى « ركن فاروق بغزة » .

هكذا فجعوا في الحرب من اوائلها ..

اما اواخرها فكانت فترة تأمل و يقين ..

النتائج ... توحى

اواخرها كانت الفترة التي ادرك فيها كل ضابط وكل جندي في جيش مصر .. ان هذه القيادة يجب أن تتغير .. قيادة الجيش وقيادة البلاد ..

اما قيادة الجيش ، القيادة التي لم يكن لها وجود ابدا .. فلو وجدت ، او وجد نوع من القيادة الحقيقية .. لما امكن ان يهزم جيش مصر ابدا رغم النقص البالغ الذي كان يعانيه في سلاحه وعتاده ..

وليس هذا مجال مناقشة هذه النتيجة فكل ذلك متروك لقصة حرب فلسطين الكاملة ..

ولكن النتيجة التي عاد بها الجيش على اى حال .. هي
المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعا ..
تغيير الاوضاع القائمة فى البلاد من اساساتها ..

قاعدة للعمل

ولعل القارىء لم ينس ان هذه الحرب قد انتهت فى عهد عبد
الهادى المعروف بعهد الارهاب .

وفى هذا العهد عادت القوات المصرية من فلسطين ..
وقررت المجموعة ان تبدأ العمل فورا ، فقد كانت هذه هي
اللحظات المناسبة فعلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل
الذى يؤدى الى تغيير الاوضاع فى البلاد ..

وكان لابد للمجموعة ان تتخذ لها قاعدة تعمل منها ، اى ان
تعمل على ان يستتب بعض رجالها فى مكان معين ، وان تحرص
كل الحرص على ابقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشييت .

القبض على جمال

وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الارتكاز فوجئت المجموعة
بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدي « باشا »
رئيس هيئة اركان حرب الجيش حينئذ ، لمنزل جمال عبد الناصر
ولم يكن الفريق عثمان المهدي وحده فى هذه الزيارة ، فقد
كان معه عدد من ضباط البوليس الحربى ..

ولم يكن هدف الزيارة هدفا عاديا .. وانما كان الهدف هو
القبض على جمال عبد الناصر ، وتفتيش بيته ..

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش ، فلم يجدوا فى البيت سوى بضعة طلقات .. فقد كان جمال عبد الناصر حريصا دائما

أما جمال ، فقد اصطحبه عثمان المهدي ، الى « دولة » ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمستول الاكبر فى عهد الارهاب .

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام ، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبد الهادى .. فقد وجه عبد الهادى لجمال تهمة التعاون مع الاخوان المسلمين مستدلا على ذلك بأنه - أى جمال - قد قام بتدريب بعض شبان الاخوان على السلاح ، اثناء الحرب وقبيل قيامها .

أما جمال .. جمال الثائر الذى كان عائدا من القالوجا .. فلم يكن لديه من الصبر ما يمكنه من عدم الاحتداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العام .

ولعلها كانت مفيدة .. فقد تريت ابراهيم عبد الهادى فى اصدار الأمر باعتقاله .. وأرسل رسله يأتونه بأخبار جمال .. ثم افرج عنه فورا .. لانه أدرك أن لهذا الضابط شخصية معينة بين ضباط الجيش ، وان له كيانا خاصا فى صفوفهم ، فخشى أن يعتقله ، فتكون القشة التى تقصم ظهره ، وظهر العهد من بعده .

القاعدة فى القاهرة

وانتهينا من هذه المشكلة .. وبدأنا فى التكوين .. تكوين القاعدة ، أولا ..

وكانت القاعدة مكونة من جمال وعبد الحكيم زكريا محيى الدين وصلاح سالم .

واستطاع كل منهم أن يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة .

فجمال ، وكان برتبة صاغ فى ذلك الوقت قد عين فى
مدرسة الشئون الادارية بالجيش
وعبد الحكيم عين فى مدرسة المشاة
وزكريا عين فى الكلية الحربية
وصلاح استقر فى وحدته بالقاهرة
وفى الايام التى تلت ذلك ، فرغ جمال من وضع اساس
التنظيم كله ..

الاهداف والنظام

واختار جمال للتشكيل اسم الضباط الاحرار .. الاحرار
فى كفاحهم فى سبيل الحياة ، والاحرار فى سعيهم الى تحرير
وطنتهم من الاستعمار والاستغلال والفساد ، وكذلك الاحرار من
الانتماء الى أية هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف .

ووضعت أهداف التشكيل وطبعت .. وتم توزيعها فعلا
على الضباط الاساسيين فى التشكيل .. ظهر اسم « الضباط
الاحرار » لأول مرة ..

وكانت أهم الاهداف التى تضمنها هذا المنشور الاول :

• القضاء على الاستعمار الاجنبى واعوانه من الحونة المصريين .

• تكوين جيش وطنى قوى

• ايجاد حكم نيابى سليم

• وفى نفس الوقت ، وضع النظام الاساسى للتشكيل على

الوجه التالى :

• السرية المطلقة فى كل شىء

• تخصيص كل ضابط من ضباط مجلس قيادة التشكيل
لسلاح من أسلحة الجيش يكون هو المسئول عن تنظيمات
التشكيل فيه

• الأخذ بنظام الخلايا ، ووجوب عقد اجتماعات الخلايا
أسبوعيا وبانتظام •

• تكليف كل ضابط من ضباط مجلس القيادة بتقديم
تقرير اسبوعى الى المجلس يوضح فيه مدى تقدم التشكيل
فى داخل سلاحه وعدد المنضمين وعدد من رأى استبعاده •

• وجوب ضم أعضاء جدد فى كل اسبوع •

• اصدار المنشورات بصفة منتظمة اسبوعيا •

وعلى هذا الوجه بدأ التشكيل مرحلته الحاسمة ، وخطته
المدرسة .. على أساس نظام معين ، - وأهداف محددة واضحة
وخلايا .. كاملة ..

لِمَاذَا نَجَّحْنَا

● نجحنا لأننا عرفنا كيف
نسير ..

● اللواء الذي جعلناه قائد
نفسه فقط

● الضابط الذي حملناه
مسئولية طبع المنشورات

● القصر وحيدر

● « التيتل » الذي دفناه في
مكان أمين

كنا قد انتهينا من اقرار التنظيم العام للتشكيل السرى
داخل الجيش ، واخترنا له اسم « الضباط الاحرار » وكنا قد
انتهينا من تحديد أهداف هذا التشكيل السرى ، وعرف
بصورة كاملة . . . ووضعنا قواعد العمل . . .

ومنذ تلك اللحظة ، لم يهدأ لنا بال ، ولا للحكومات ، ولا
للانجليز ، ولا للقصر . . .

ففى أيام قليلة ، كانت منشوراتنا قد اصبحت تصدر
بانتظام . . . وكانت هذه المنشورات تزعج السلطات الداخلية
والخارجية ازعاجا شديدا . لان صدورها بتلك الصورة المنظمة ،
كان يعطى فكرة لهذه السلطات بأن التشكيل الذى يصدرها ، ليس
من ذلك النوع الذى اعتاد الجيش ان يفاجأ بظهوره بين فترة وأخرى ،
ليصدر منشورا أو منشورين ، ثم يختفى ، أو يكشف أمره .

وكان شغل السلطات الشاغل فى تلك الايام هو أن يضعوا
أيديهم على أى حلقة من حلقات هذا التشكيل ، أو يمسكوا بأى
خيوط يؤدى الى اكتشاف أمره . . . ولكننا كنا من جانبنا فى منتهى
«ليقظة» . . . فلم نمكن أية سلطة من السلطات من العثور على شئ
. . . لم تترك ثغرة واحدة تستطيع هذه السلطات مجتمعة أو متفرقة
ان تنفذ منها إلينا .

وكانت هذه اليقظة ، الى جانب التجارب الكثيرة التى

مارسناها منذ الشباب الاول، من أيام منقباد ، هي السبب الرئيسي
في نجاح خطتنا نجاحا كاملا .. كما أن ارتباط أهدافنا بعواطف
الشعب واتجاهاته ، كان من أكبر العوامل المساعدة التي مكنتنا
من هذا النجاح ..

لقد نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير .. ولاننا سرنا في اتجاه
الشعب .. ولاننا استفدنا من تجربتنا الطويلة السابقة ..

جواسيس !

وكنّا في بدء أيامنا كتشكيل سرى ، عندما اتصل مصطفى
كامل صدقي بجمال وحاول التفاهم معه على أن تنضم مجموعته
القديمة - أي مجموعة مصطفى صدقي - الى تشكيلنا ، توجيها
للجهود ..

وكان معنى هذا ان تشكيلنا كله قد بات في خطر .. فان
معلوماتنا عن مصطفى صدقي وجماعته كانت تدخل دلالة كبيرة على
أنهم يعملون لحساب القصر ..

وكان لابد أن يقتنع مصطفى صدقي بأنه ليس هناك أي
تشكيل يضمنا ، وان جمال عبد الناصر لا يعمل شيئا على الإطلاق

ولم يكن هذا صعبا على جمال .. فقد استطاع في لحظات
قليلة أن يقتنع مصطفى صدقي بأنه قد أصبح بعيدا عن كل نشاط ،
أو كل اتصال بنشاط .. وأنه أكثر من هذا صمم منذ عاد من
فلسطين على أن يأكل العيش ... وبس !

واقنع مصطفى صدقي بهذا الكلام .. ومضى ..

وفي الحقيقة ، كان مصطفى منجما جيدا للمعلومات .. وكنه
نستغله كيفما نشاء .. دون أن يشعر .. فقد كان مولعا بالتباهي

والتفاخر ويحب أن ينسب الى نفسه أشياء كثيرة مما يحدث ،
يحيطها بما يعلمه جيدا من ملابسات .. كنا نستفيد من ذكرها
فائدة لا تقدر ..

٠٠ الخلايا

وفى ذلك الوقت بدأت الخلايا تعمل ..

كانت خلايا خماسية .. تبدأ كل خلية بأحد ضباط القيادة
الذى يكون من نفسه نواة لخليته .. ثم تتسلسل الخلايا على هذا
الوجه ، كل عضو من أعضاء الخلية الاولى يكون هو نفسه نواة
خلية جديدة لا يعرف أعضاؤها أحدا غيره من أعضاء الخلية الاولى ..

وللحقيقة نذكر اننا لم نتعد فى تسلسلنا هذه الطبقة الثانية
من طبقات الخلايا .. وان هذا كان فى حد ذاته سببا من أسباب
نجاح التشكيل وضبط جميع أموره ضبطا كاملا ..

وكانت واجبات أعضاء الخلايا هي :

١ - ضم الموثوق بهم الى التشكيل

٢ - اثارة الموضوعات العامة فى وسط الضباط ، لخلق
مجموعة كبيرة من العاطفين على أية حركة يمكن أن يقوم بها التشكيل
فى يوم من الايام ..

وبالطبع كان أعضاء الخلايا يدفعون اشتراكات شهرية ،
وكانت هذه الاشتراكات توضع فى صندوق توفير باسم البكباشى
احمد حمدى عبيد .. وكانها مجرد نقود يدخرها من دخله
الخاص ..

وكنا نحاول الاستفادة من كل شيء .. من كل الظروف
والعلاقات الشخصية والاحداث التى تقع : وأحيانا كانت تسنح

لنا فرص طيبة ، لا تخلو من طرافة • لكننا كنا دائما نحســ استغلالها •• كما كانت الظروف نفسها تساعدنا كثيرا •• وعندما كانت الظروف تلعب دورها الى جانبنا كنا نشعر براحة نفسية كبيرة وأمل ساطع يشع في قلوبنا •• فقد كانت الدلالة الوحيدة لمساعدة الظروف لنا ، هي أننا موقوفون من الله عز وجل ••• بعنايته •

القصر وحيدر !

وكان أخوف ما نخافه جهتان :

القصر ومخابراته الخاصة ••

وقيادة الجيش ••

وكنا لذلك قد رتبنا أمورنا جيدا ، على تطويق الجبهتين كلتيهما •• وبينما كان صلاح سالم يقوم بدوره في كسب ثقة حيدر « باشا » واعطائه المعلومات المضللة وتغطية نشاط الضباط الاحرار ، كلما تعرض لخطر الانكشاف •• كنت أنا أقوم بهذا العمل نفسه بالنسبة للقصر ، وعن طريق الدكتور يوسف رشاد •

وبهذه الطريقة كنا نضمن دائما ، أن نعرف أولا بأول كل ما يمكن أن يكون قد وصل الى علم احدى هاتين الجهتين من معلومات - صادقة أو كاذبة عن نشاطنا وان نعرف أيضا أولا بأول كل ما يمكن أن تفكر فيه احدى هاتين الجهتين من اجراءات خاصة بنا ، وان نضمن أيضا تغطية الموقف في كل حالة من الحالات ••

والى جانب هذا ، كانت الفرص الطريفة تسنح لنا وكانت الظروف تساعدنا في كثير من الاوقات ••

هو الذى يطبع ؟

حدث مثلا ، ان قبض على الضابط حسن علام اثناء قيامه بكتابة منشور ضد الاوضاع التى كانت قائمة حينذاك ••

ولا احد يدري ان كائن هذا الضابط قد نوى فعلا طبع هذا المنشور وتوزيعه . فلعله كان ينفس عن نفسه مجرد تنفيس بهذه الوسيلة . .

ولكن الحادث وقع على كل حال . . فقد قبض عليه متلبسا بكتابة كلام شبيه بما كان الضباط الاحرار يكتبونه في منشوراتهم . . ورفع الامر الى الفريق حيدر باشا . . واذا به يتهلل ويشرق ويشعر انه قد وضع يده على التشكيل الخطير المزيج الذى يسمى نفسه بالضباط الاحرار . .

وكانت فرصة لنا . . فاننا اذكر أننا لم ندع وسيلة فى تلك الايام الا استعنا بها لاثبات هذه التهمة عليه . . وقد ثبتت فعلا واتجهت أنظار القصر والقيادة وجهة أخرى تماما فى كل أبحاثهم الخاصة بالكشف عن حقيقة الضباط الاحرار .

ولعلنا ان نكون قد تألمنا كثيرا لهذا الحادث ، ولوقفنا منه . . ولكن مصلحة الوطن التى كنا نعمل بمصدق من اجلها كانت تقتضى منا ان ننتهز هذه الفرصة ، والا ندعها تفلت من أيدينا أبدا . . .

المعركة . . لم تنته

ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة الطريفة . أو الفرصة الوحيدة التى عرفنا كيف نستغلها استغلالا كاملا مفيدا . .

فقد حدثت أحداث أخرى أثناء معركة القنال ، كانت كفيفة باضعافنا أو الكشف عن سرنا الكبير . .

وقد كانت معركة القنال من وجهة نظرنا ، معركة مجيدة تبدى فيها شعور الشعب واستعداده الكبير للتضحية بكل شيء . .

وهناك قصتان .. لعل احدهما قد كسبت شهرة معينة اذ جاء ذكرها في محكمة الثورة أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين ، عندما ذكر « المتهم » قصة اللغم البحري ..

أما القصة الثانية .. أو هي الاولى باعتبار تاريخ الحوادث فكانت قصة على هامش الاحداث ، ولكنها كانت ذات خطر كبير ، لولا أننا أحسننا استغلالها ..

مجاهد في سيناء !

ولنبداً بهذه القصة .. وقد وقعت في الايام الاولى للمعركة .. وكنا اذ ذاك في سيناء .. كنت هناك أنا وعبد الحكيم وصلاح .. وكنا نشعر بالضيق الشديد الذي يملأ نفوسنا ونفوس جميع الضباط في سيناء ، فقد كان الجميع هناك يشعرون بأن عليهم واجبا يجب أن يؤديه في هذه المعركة وانه لاحق لاحد في منعهم من القيام به ..

وتكاثر الضيق ، وغلت الصدور ، وأصبحت القوات هناك في شبه هياج مستمر ، ينذر بالخطر ..

ووصلت التقارير الى قيادة الجيش عن هذه الحالة المسيطرة على القوات في سيناء فأرسلت القيادة ضابطا كبيرا هو اللواء توفيق مجاهد ، وكلفته بتهدئة الحالة هناك ..

وجاء اللواء يهدئنا !

جاء ، فجعل يخطب فينا ويناقشنا ، ويحاول اشعارنا بأن دور الجيش لم يأت بعد ، لا لأن الجيش يجب أن يستعد .. ولكن لأن عدونا الحقيقي في نظر اللواء مجاهد ، ومن أرسلوه - هو اليهود .. وان علينا أن نفرغ من اليهود أولا ثم بعد ذلك نفكر في الانجليز ..

وأطال اللواء مجاهد كثيرا في هذا المعنى ، حتى ضاقت
الصدور .. وإذا بصلاح سالم يصرخ في وجهه قائلا :

ان عدونا الاساسى هو الانجليز ، هو هذا الاستعمار القائم في
بلادنا .. واننا يجب علينا أن نظهر أرض الوطن من هذا الاستعمار
أولا . وقبل كل شيء ..

ويبدو أن صرخة صلاح قد لاقت تأييدا من الضباط .. وإذا
باللواء مجاهد يبدي ضيقه الشديد بهذه الصيحة ، ثم لا يفتأ أن
يبدي رأيه علنا في صلاح ... وكان هذا الرأي هو أن صلاح
سالم ... رجل خطر .

واحسبنا بالخطر يحدق بنا .. فقد أيقنا أن اللواء مجاهد
لابد أن يكتب تقريراً عند عودته الى القاهرة ، يتهم فيه صلاح سالم
بالخطورة .. ومن يدري كيف يمكن أن يتجه نشاط القصر الى
كشف حقيقة صلاح واتصالاته ، وكيف يمكن أن يؤدي هذا الى
الايقاع بالتشكيل كله ..

وقررنا أن نلغم الارض للواء مجاهد قبل أن يعود الى القاهرة ،
ويقدم تقريره المنتظر ..

وفي الليلة نفسها اجتمعنا ، عبد الحكيم عامر وصلاح وأنا ..
في منزل الصغير في رفح .. ثم رأينا أن نكتب خطاباً الى الفريق
حيدر باشا ، نضمنه شكائتنا من أن اللواء مجاهد قد أثار الضباط
اثارة شديدة في زيارته لهم ، وانه استفزهم استفزازاً يمكن أن
يؤدي الى ما يجب اتقاؤه من شرور .. خصوصاً وان لهذا اللواء
تاريخاً أثناء حرب فلسطين .. وان هذا التاريخ معروف لسائر
الضباط ..

وكتبنا الخطاب فعلاً ، وأرسلناه الى حيدر ..
وفي اليوم التالي هبط اللواء مجاهد الى القاهرة .. ولكنه

لم يكذب يحط قدميه فيها حتى كان حيدر «باشا» قد استدعاه اليه وبدأ التحقيق معه فيما ألقيناه به من اتهامات !

وانتهى التحقيق بقرار نقله الى المنطقة الجنوبية ..

وكان اللواء مجاهد اذ ذاك نائبا لرئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ، كان يتمتع بهذا المنصب الخطير ، وهذه الادارة الضخمة .. واذا هو ينتقل الى المنطقة الجنوبية .. حيث لا جنود ولا ضباط .. أى حيث يصبح قائد نفسه .. فقط .. لا غير !!

التيقظ أو اللغم !

والقصة الثانية من قصص معركة القنسال ، هي قصة اللغم البحرى التى أشار اليها سراج الذين أثناء محاكمته :

وقد وقعت هذه القصة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٥١ أى قبل حريق القاهرة بشهر كامل على التحديد ..

وأذكر هذا التاريخ جيدا .. لانه كان يوم ميلادى .. أو عيد ميلادى .. كما يسمى الناس تاريخ مولدهم ..

وكنا ثلاثتنا فى رفح .. عبد الحكيم ، صلاح ، وأنا .. وكان معنا هناك سبعة وعشرون ضابطا ..

والضباط فى مثل هذه الوحدات النائية ، ينتهزون فرصة المرح انتهازا .. وكان « عيد ميلادى » احدى هذه الفرص .. ولذلك قرر الضباط ان يحتفلوا بهذه « المناسبة » على حسابى ، فى سينما المدينة ..

وذهبنا الى السينما ... وبقي عبد الحكيم وصلاح فى الميسر وحدهما ...

لماذا ؟ ..

لا أدري لعل ذلك لأننا لم نود أن يخلو الميس من ضباط ..
ولعل الامر أكبر من هذا كثيرا .. فقد كان لا بد فعلا من أن
يوجد ضباط في الميس ، وان يكون هؤلاء الضباط هم عبد الحكيم
وصلاح بالذات .. فقد عودنا الله طيلة أيام استعداداتنا لهذه
الثورة ، أن يكون معنا في كل شيء ..

ودق جرس التليفون في الميس ، فقام اليه عبد الحكيم ...
وكان المتكلم هو جمال عبد الناصر .. من القاهرة ..

وقال جمال لعبد الحكيم جملة واحدة : « التيتل جاي
النهارده في الطائرة .. استعد لاستلامه .. »

وقطع جمال الخط .. وانتهت المكالمه ..

وكانت كلمة « التيتل » من كلمات قاموسنا « الحركي » ...
وكان معناها « اللغم » ..

وكنا قد اتفقنا من قبل على اعداد لغم بحري كبير لنضعه في
القنال قبل مرور باخرة انجليزية كبيرة .. فننسفها بذلك ..

وكان هدفنا من هذه « العملية » هو تعطيل القنال ، وتقدير
الدليل الكافي للعالم ، على أن الانجليز لا يستطيعون حماية القنال ،
ما دام المصريون لا يمكنونهم من ذلك ..

وجلس عبد الحكيم وصلاح ينتظران « التيتل » ... وكانا
بالطبع لا يعلمان شيئا عن حقيقة حجمه ..

وبعد قليل .. اتصل ضابط من العريش بعبد الحكيم ...
وقال له بلفتنا « الحركية » استلمت « التيتل » ولكني لا أعرف كيف
أوصله الى القنطرة ، لان امكانياتي أقل من ذلك كثيرا ..

وأجابة عبد الحكيم بقوله :

— أرسله الى في رفح .. وسأتصرف أنا في الامر ..

وعاد عبد الحكيم وصلاح ينتظران « التيتل » مرة أخرى ...
وقد علما انه سيصل اليهما ساعيا على الارض لا هابطا من السماء

وبعد قليل ، وصل « التيتل »

وصل ، في جراسة ضابط كيماوى ، كان هو الذى قام باعداده
وكان أيضا هو المكلف بتركيبه فى القنال ..

وكانت الساعة اذ ذاك ، الثامنة مساء ..

وكان هذا « التيتل » عبارة عن أربعة صناديق كبيرة الحجم
ثقيلة الوزن جدا ..

وتعاون عبد الحكيم وصلاح والضابط الكيماوى على انزال
الصناديق .. وكان جليا انها لايمكن ان تدخل من الابواب ، ولا أن
تخفى فى إحدى الغرف ..

وكان الحل الوحيد ، هو أن توضع هذه الصناديق الى جوار
الباب .. ثم أن يسرع عبد الحكيم وصلاح الى السينما ليخرجانى
منها ، حتى أجلس لهم بعض جنود سلاح الاشارة ، ليساعدوا فى
عملية نقل هذا « التيتل » .. غير المنتظر ..

وخرجت من السينما، وتوجهت فورا الى سلاح الاشارة فأحضرت
بعض جنودى بينما ذهبوا الى سلاح خدمة الجيش فأحضروا ضابطين
من الاحرار ، وعربة لورى كبيرة ..

وكان الوقت الذى أمامنا يحسب بالثواني لا بالدقائق .. فقد
أوشكت السينما أن تنتهى .. وبانتهاؤها سينحضر الضباط الى

الميس ٠٠ وينكشف أمر « التيتل » الذى كنا نحرص أشد الحرص على اخفائه ٠٠

وفى هذه الثوانى التى كانت قد بقيت لنا ، استطعنا أن نضع التيتل فى اللورى ، وان نجهز اللورى بالبنزين الذى يكفيه لقطع ٣٥٠ كيلومتر ٠٠ الى القنطرة ٠٠ وأن نعد بعض قطع الساندوتش ، للضابط الكيماوى ومرافقيه ٠٠

وسار اللورى على بركة الله ٠٠

واتصلنا نحن بزملائنا من الضباط الاحرار فى العريش لكى يدعوه يمر ٠٠ ثم اتصلنا بزملائنا فى القنطرة ، لكى يتسلموه ولم نكد نفرغ من كل هذا ، حتى كانت مظاهرة قوامها سبعة وعشرون ضابطا تقترب فى مرج من الميس ٠٠

كانت السينما قد انتهت ٠٠ وكان الضباط عائدين ٠٠

ولعل قصة « التيتل » هى احدى قصص معركة القنال .

والذى نستطيع اليوم أن نضيفه الى مذكرات هو أن القنطرة قد استلمت « التيتل » وأن الضابط الكيماوى قد ركب فعلا ٠٠ ثم قامت فى وجهنا عقبات لم تسمح لنا بتنفيذ خطتنا ٠٠ فقررنا دفنه ٠٠ دفنه فى مكان أمين ٠٠ ولا أحسب الا أنه لا يزال يرقد فى مكانه الى هذا اليوم .

مَوْعِدُ الثَّوْرَةِ

- ♦ حددنا موعد الثورة.
سنة ١٩٥٠
- ♦ قلنا لسراج الدين «حافظ
على الدستور ونحن
نحميك»
- ♦ فؤاد سراج الدين يقول
« ان شعب مصر
لا يهتم بالدستور »
- ♦ تم الانتخاب في منزل
كمال الدين حسين ..
- ♦ الاتصال برجال الوفد ..
جريمة ..
- ♦ سراج الدين يقول :
« احنا خايفين من
الجيش »

ان دور الاحرار الذى بدأ اذ ذاك كان قد بدأ ليستمر لا ليتوقف وكنا نمر فى تلك الاثناء بفترة كمل فيها استعدادنا ، وأصبحنا قادرين فعلا على التحرك من وحدتنا ، لنضرب الضربة التى تظهر البلاد من رأس الفساد فيها .. الملك ، والاقطاع .. وما يتفرع عنهما من أحزاب وسياسات قادتها طويلا الى الحراب ..

فالسنوات التى مرت بنا بعد اكتمال تنظيمنا ، وهى سنوات ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .. قد كانت سنوات الاستعداد والدراسة الكاملة للموقف ، وتحديد موعد البدء .. وفى نهاية هذه السنوات أو قرب نهايتها ، وقعت معركة القنال ، وأدركنا أن دورنا الكبير قد جان وقته ..

انها فترة مترابطة اذن .. سنمر اليوم مرورا ببعض أحداثها، لنعود الى ذلك مرة أخرى -

ففى عام ١٩٥٠ كنا قد اكتملنا من حيث التنظيم الداخلى .. للخلايا ، والمخابرات ، وجمع الاشتراكات وعقد الاجتماعات وضم الضباط

كان كل شيء يجرى على مايرام .. وكنا نفكر دائما فى الزمن الذى يجب أن نقضيه فى الاستعداد والتهيؤ للمعركة .. وكنا - ككل من يقدم على خطوة كبيرة جريئة - نقدر قوة العدو بحسبها

الاقصى ، ونقدر قوتنا بعدها الادنى . ونعتقد اننا لن نبدأ حتى نكون على يقين من أن الحد الادنى لقوتنا ، قد أصبح أقوى من كل شيء مما يمكن أن يكون عليه الحد الاقصى لقوة العدو .

والعدو ، كان بالطبع ، فاروق وجهازه الرهييب ، مع وضع الاستعمار وما يمكن أن يقدم من مساعدة في الحساب .

وكنا في بدء عام ١٩٥٠ قد قدرنا للاستعداد خمس سنوات ، أي اننا حددنا موعدا للحركة عام ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ .

ولكن الظروف السياسية التي لا بدت الأشهر الأولى من حكم الوفد الأخير جعلتنا نعيد التفكير مرة أخرى ، ونحدد للحركة موعدا بعد ثلاثة أعوام بدلا من خمسة أعوام .

فقد كانت سياسة المهادنة التي فاجأ بها الوفد البلاد في أول شهور حكمه تستدعي هذا التقريب لموعد الحركة .

اذ كانت هذه السياسة وحدها ، هي النذير الأكبر بوجوب انفجار الشعب وقرب هذا الانفجار .

فقبل عهد الوفد الأخير . . كان الشعب يرى أملا في حزب الوفد رغم مساوئه . . وحتى نحن كنا نعتقد أن حزب الوفد رغم كل هذه المساوئ المعروفة للجميع : هو الحزب الذي نستطيع أن نركن اليه يوم نقوم بضربتنا الكبيرة ، لنسلمه زمام البلاد ، على أسس واضحة من التطهير والعمل الخالص للوطن .

كنا نعتقد هذا ، بل لقد خطونا في هذا السبيل خطوات سيايى تفصيلها . .

وكنا رغم كل هذا ، مضطرين الى أن نحسب حسابا للحقيقة الكبرى وهى أن حزب الوفد اذ يجيء بهذه الأغلبية الساحقة فى عام

١٩٥٠ ثم يهادن القصر تلك المهادنة المكشوفة المزرية ، قد صمم الشعب في أمله الوحيد الباقي ، ولم يجعل هناك مجالا يستطيع لشعب أن يتنفس فيه الا أن ينفجر فيطيح بكل شيء .

وكنا نقدر هذا الانفجار الشعبي ، وعواقبه ونريد أن نكون ميزانا حساسا لانفعالات الشعب ، حتى لا يأتي انفجاره دون توقع منا ، فيتعرض للمحنة رهيبة بينه وبين القوة العاشمة قد لا تكون سليمة العواقب .

وفي الوقت نفسه كنا نخشى أن يدب الملل في نفوس ضباطنا ، وأن يعطى التراخي فرصة للقضاء على قوتنا ، بعوامل التشثيت المقصودة أو غير المقصودة على حد سواء .

لذلك قربنا الموعد الذي حددناه للحركة ، وجعلناه عام ١٩٥٢ أو ١٩٥٣ بدلا من ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ .

انتخاب جمال

وكنا في ذلك الوقت في القاهرة نحن جميعا . وكنت أنا أعيش كالحبيس في دائرة ضيقة ، لم يسمح لي جمال بالتحرك في أي دائرة أوسع منها بحال من الأحوال ، فقد كان تاريخي السابق ، تاريخي الذي لم يمر عليه أكثر من عامين منذ خرجت من السجن في آخر مرة ، يجعل أي حركة أقوم بها مثار شكوك .

ومر عام ١٩٥٠ ، وأقبل عام ١٩٥١ . وفي هذا العام نقل بعضنا الى سينا . نقل صلاح وعبد الحكيم وأنا . الى سينا ، ونقل جمال سالم الى العريش .

أما باقى مجموعتنا . فقد ظلوا في القاهرة .

وكان هذا النقل . وتشثيتنا في ثلاث جهات مدعاة الى اتخاذ اجراء لا بد منه ، لم يكن قد فكرنا فيه قبل ذلك العام .

كان لا بد أن يكون لنا رئيس مسئول ، يقوم بتنسيق أعمالنا
إصدار الأوامر والتصرف الوقتي فيما يجد من مشكلات ..

وعقدنا اجتماعا لبحث الأمر ، ثم انتخبنا بالاجماع رئيسا
لنا .. جمال عبد الناصر ..

وبدا بذلك تقليد جديد لهذه المجموعة ، أن نحدد موعدا
للاجتماع في كل عام لانتخاب الرئيس ..

وفعلا ، تم ذلك أيضا في يناير ١٩٥٢ .. اذ اجتمعنا في
منزل الضاغ كمال الدين حسين وانتخبنا جمال رئيسا لمدة سنة
أخرى من ذلك التاريخ ..

واختيار الرئيس :

على أن هذا الاجتماع ، قد تضمن قرارا آخر اتخذناه
واتفقنا على إبقائه سرا بيننا .

وكان هذا القرار هو اختيار اللواء أركان الحرب محمد نجيب
لكي يكون قائدا لحركتنا في يوم تنفيذها .

وكان سبب اتخاذ هذا القرار .. هو أننا لا بد أن نضع في
حسابنا شخص القائد الذي نتقدم خلفه الى الشعب ، لكي نستطيع
أن نمهد لشخصيته التمهيد الكافي في صفوف الجيش .

وكان الرئيس نجيب قد عرف لمجموعتنا عن طريق عبد الحكيم
عامر ، اذ كان عبد الحكيم عامر أركان حربه أيام معركة فلسطين ..
كما كان عبد الحكيم قد قام بتعريف اللواء نجيب بالبكباشي جمال
عبد الناصر عقب عودة جمال من الفالوجة ..

ورغم اتخاذنا هذا القرار ، فلم نشأ أن نعلنه حتى للرئيس

نجيب نفسه .. لان الوقت لم يكن قد حان بعد لاتخاذ هذه
الخطوة ...
وبعد اسبوع عقدنا اجتماعا آخر .. ففسد كنا نشعر في
ذلك الوقت أن موعد الحركة قد يكون اقرب بكثير مما نتصور ،
ومما نقدر ..

تقدير الموقف

وفي هذا الاجتماع طلب جمال سالم أن نقرر البدء في اتخاذ
موقف الاستعداد الكامل للعمل في أى وقت .. وأن تكون المهلة
التي تعطى لضباطنا قبل البدء شهرا على أكثر تقدير .
ووافق المجلس على ذلك ..

وفي الاجتماع نفسه ، كلف المجلس عبد الحكيم عامر ، بعمل
« تقدير موقف » للحالة من جميع نواحيها ، الشعبية والسياسية
والعسكرية ، وأن يقوم بعرض تقريره على المجلس في أسرع وقت .
كنا جميعا نشعر بوطاة الأحداث وبتحكمها الواضح في تحديد
موعد حركتنا .. فقد كان الشعب يغلي ، وكان الجيش يغلي ..
وكان لا بد من عمل -

وانتهى هذا الاجتماع الذى عقدناه بمنزل قائد الاسراب
- حينئذ - حسن ابراهيم .

ثم اجتمعنا بعد يومين اثنين ، لكى ندرس التقرير الذى اعدده
عبد الحكيم عامر ..

وفي هذا الاجتماع .. استطعنا ان نطمئن تماما .. وانتهينا
الى اننا قادرون على القيام بالحركة في اول فرصة ممكنة .. وان
امكانياتنا تضمن لنا النجاح ..

ولم يكن هذا التقرير نتيجة لدراسة يومين من عبد الحكيم .. فقد كان مسبقا بجولة قام بها جمال وعبد الحكيم في داخل الجيش للقيام بعملية حصر كاملة لأول مرة ، ومعرفة حقيقة القوة التي نستطيع الاعتماد عليها ..

وبالطبع كان هذا الاجتماع ، قبل حريق القاهرة .. ولم يكن أحد يتوقع وقوع ذلك الحادث المشؤم .

الاتصال بالوفد

ولترك الآن التفاصيل العسكرية ، لنلم بما قمنا به الى جانب ذلك من محاولة لاستغلال الموقف السياسي ، والتهيئة لأوضاع ما بعد الثورة من الناحية السياسية ، والناحية الشعبية .

الوفد ..

الوفد الذي كان يحكم .. والذي هادن الملك في أول عهده ، ثم اضطرت الظروف واضطرت نفس القاعدة الشعبية التي لم يكن يستطيع أن يغفل حسابها الى إلغاء المعاهدة ، وبدأ الكفاح المسلح ضد قوات الاستعمار في القنال ..

هذا الحزب ، كان أملا من آمالنا رغم كل شيء وكنا نريد أن نقويه في موقفه ، وأن نجعل منه الشرارة التي تطلق قذيفتنا .

وقررنا أن نتصل بالوفد ، وأن نترك أمر تدبير الاتصال به الى جمال عبد الناصر ..

ولن أستبق هنا الحوادث ، ولكنني سأحاول أن أذكر تفاصيلها كما يذكرها الذين شاركوا فيها ..

بدأ جمال بدعوة اليوزباشي جمال القاضي ، وطلب منه أن يتصل بعمه « عبد اللطيف محمود باشا » الوزير الوفدي اذ ذاك ،

للتفاهم معه على أوجه المساعدة التي يجب الوفد أن يحصل عليها من تشكيلنا العسكري في سبيل إيقاف الملك عند حده . ومنع اعتدائه على الدستور

جريمة كبرى

وكان السر في اختيار جمال القاضي ، هو هذه القرابة بينه وبين عبد اللطيف محمود ، فقد كان اتصاله أى ضابط بالجيش بأى رجل من رجال الوفد حينئذ ، يعتبر في نظر قادة الجيش ، ورجال القصر ، جريمة تستوجب الحساب والعقاب ..

ولذلك كان علينا أن نغطي هذه الاتصالات باللجوء الى صلات القربى ، التى لا تثير الريب والشكوك ..

وذهب جمال القاضي الى عمه .. ثم عاد ليقول : ان عبد اللطيف محمود صارحه بأنه لا يستطيع أن يتكلم شخصيا فى هذا الامر ، ولكنه مع ذلك على استعداد لتقديم جمال القاضي الى رجل الوفد المسئول ، فؤاد سراج الدين ، ليتم التفاهم بينهما مباشرة ..

- وفكر جمال عبد الناصر فى الأمر واستعرض فى ذاكرته أسماء الضباط الذين يمكن أن يعتمد على واحد منهم فى الاتصال المباشر بفؤاد سراج الدين ، ثم استقر على أن يكلف القائم مقام رشاد مهنا بهذا الاتصال لأنه أيضا تربطه أواصر القربى بفؤاد سراج الدين .

تفاصيل

وتقابل جمال مع رشاد مهنا ، وطلب منه ان يذهب لمقابلة سراج الدين وجس نبضه . وإبلاغه أن الجيش اليوم لم يعد مستعدا

للقوف الى جوار الملك ضد اى اجراء شعبى تتخذه حكومة
الوفد ، ويؤدى الى محاولة الملك البطش بها او اقالتها .

وتحدد موعد المقابلة بعد بعض تأجيلات من جانب رشاد
مهنأ .

ولكن الموعد المحدد بصفة نهائية أقبل : . واذا برشاد
يعتذر عن مقابلة سراج الدين ، بدعوى انه قد جد ما يشغله فى
قريته ، وانه مسافر اليها فى اليوم نفسه ..

وللتسجيل والتاريخ ، اذكر هنا ان هذا الموقف من رشاد
مهنأ ، قد اثر كثيرا فى نفسية جمال ، فقد كان اول تخاذل من رجل
يحاول ان يعتمد عليه فى شئ ..

واندفاع ..

بلغ هذا النبأ البكباشى أحمد انور ، فمضى بنفسه الى
البكباشى جمال عبد الناصر ، وايدى استعداده للقيام بهذا
الاتصال ، وقال انه غير معروف بنشاط معين ، وانه مستعد
للتضحية حتى ان كانت هناك تضحية ، وان اكتشاف صلته
بالوفد لن يؤدى - على كل حال - الى اى عواقب تصيب
تشكيل الضباط الاجرار .

وكلفه جمال بهذه المهمة ، وان كان قد ابدى له شكه فى ان
يستجيب سراج الدين ، واحساسه بأن سراج الدين سيحاول
استدراجه دون ان ييوع له بشئ .. ثم اوصاه اذا اراد سراج
الدين ان يصل معه الى أى قرار ، بأن يفهمه أن له اخوانا وقيادة
لا بد أن يرجع اليها قبل التصريح بأى شئ .

وتمت المقابلة

وسأترك الآن البكباشي أحمد أنور يروى تفاصيل هذه المقابلة

.. قال أحمد أنور :

طلبت مقابلة سراج الدين ، واتفقنا على موعد المقابلة ..
الساعة الخامسة والنصف ، في بيته بجاردن سيتي ..

وارسل الى فؤاد سراج الدين الاستاذ فاروق القاضي ، وكان
اذذاك يشغل منصب السكرتير البرلماني لفؤاد سراج الدين ،
بصفته وزيرا للتمالية ، أرسله الى ليقابلي في ميدان الاسماعيليه ،
وياخذني الى داره . وكان معي شقيقه جمال القاضي الذي جاء
يصحبني ليعرفني بشقيقه ..

والتقيت بفاروق القاضي ، ثم ذهبنا ، واذا بفاروق يقودنا
الى الباب الخلفي للدار حسب التعليمات التي كان قد تلقاها من
فؤاد سراج الدين .

وجلسنا في أحد الصالونات الكبيرة .. ثم اقبل علينا فؤاد -
« باشا » وأمر الخدم بإغلاق الأبواب وعدم السماح لأى أحد
بالدخول ..

.. وجلس

كنا أربعة ..

فؤاد سراج الدين وجمال القاضي ، وفاروق القاضي ..
وانا ..

وانتظرت في تحزز شديد وتحرج ، أن يتسحب فاروق ،
ويدعونا وحدنا . في هذه المقابلة البالغة الخطورة والأهمية : ولكن

فؤاد « باشا » لمح منى هذا التحرج والتحرز .. فابتسم لى
مشجعاً .. وقال لى : تكلم .. فليس فاروق غريباً ..
وبدأت اتكلم ..

باطنا والريح

قلت له :

— لقد جاوز الملك كل حد ، وخصوصاً بتعيينه حافظ عفيفى
رئيساً لديوانه .. فلماذا لا تتخذون موقفاً حازماً تجاه هذا التحدى
الصريح من الملك ..

وابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال فى بساطة خبيثة ..

— احنا طبعا .. خافين ..

— من ايه ؟

— من الجيش .. هى دى عايزه تفسير ؟

ثم استطرد :

— احنا ناس « باطنا والريح » .. واحنا صحيح كنا بنحاوله
لغاية ما نقدر نلقى المعاهدة . انما دلوقت اذا انزقنا .. فمفيش
مفر .. حانخرج .. ونقول للشعب كل حاجة

وثر جمال القاضى ، وهو فى طبعه عصبى شديد الانفعال
.. وقال :

— ولماذا لم تفعلوا ذلك وقد عين الملك عبد الفتاح عمرو
« باشا » مستشاراً له رغم ننحيكم اياه من سفارة لندن ؟

وكان سؤالاً محرجاً .. ولكنه كان أيضاً سؤالاً فى الصميم

.. ومع ذلك فقد ابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال أيضا في بساطة :

— احنا رفضنا هذ انتعيين رفضا حاسما .. ولكن الملك اصر ، وعينه بنفسه .. ثم وجدنا أن هذه المسألة مسألة صغيرة ، لا تستحق أن نعطيها من الاهتمام ما ينسينا قضيتنا الكبرى . .

الشعب لا يفهم في الدستور

وسأله :

— أليست في اعتباركم اعتداء على الدستور

وضحك سراج الدين وهو يقول :

— الدستور .. هي البلد دي بتفهم في المسائل الدستورية والقى براسه الى الوراء كمن يتذكر اياما ماضية ثم قال :
— عندما وقعت الازمة بين الملك وبين النحاس في الوزارة الماضية بشأن حق اعطاء الالقب .. كانت هذه أزمة دستورية لا شك فيها ، فقد كان رأينا أن الملك لا يمنح القابا الا بناء على طلب حكومته .. ومع ذلك ، مع كونها أزمة دستورية .. فقد استطاع الملك أن « يشرح » شيوخ الأزهر في البلاد ، وأن يوعز اليهم بأن يخطبوا في البلاد ، وأن يخطبوا في المساجد ضد النحاس ، ووقعوا في روع الشعب أن النحاس يريد أن يصبح ملكا يمنح الرتب والنياشين .. وللأسف .. فهم الشعب هذا .. واضطرونا الى التراجع ، لأن الشعب لا يفهم كثيرا في المسائل الدستورية ..
والتفت فؤاد سراج الدين فجأة .. ثم سألني مغفرا مجرى الحديث :

— فيه ضباط كثير معاكم ؟

قلت :

— نعم .. من جميع الأسلحة ..

فعاد يسألني محاولا أن يخفى ما أدركته أنا من سؤاله وهو أنه كان على علم بصورة ما بحركة الاحرار ..

— اظن كان فيه سلاح .. تعبان !!

واجبته على الفور :

— لا .. غير صحيح .. فجميع الاسلحة الآن مستعدة لاتخاذ أى موقف نراه .. ونحن جئنا هنا لكى نتفاهم معك على امكان الاستناد الى الجيش .. فهذا الجيش هو جيش الشعب ولن يكون بأى حال جيشا للملك .. وعليكم أن تتخذوا أى موقف قوى .. وعلينا نحن أن نقف الى جواركم .

ورأيت من فؤاد سراج الدين انطواء شديدا ، ونظرات لمحت فيها بعض الشك والارتباب ..

ولم يكن امامى الا ان اندفع فى حماس مبينا اخطاء الملك ، وجرائمه ، حتى يطمئن الينا .. ويتكلم ..

وفعلا شعرت أن نظراته قد تغيرت .. وبدأ يتكلم بصراحة اكثر كثيرا ..

كان يحاول أن يعرف منى تفاصيل كاملة عن عدد الضباط ومدى استعدادهم ، وحقيقة الثورة الكامنة فى داخل الجيش ثم ترك موضوع الضباط ، وراح يتكلم فى السياسة المصرية والأحزاب، والوطنية والسياسيين ..

وفجأة .. اعتدل فى جلسته ، وسألنى سؤالا .. لم اكن قد أعددت نفسى للإجابة عليه بحال من الاحوال ..

كان سؤالا مائلا فى صيغته .. وفى طريقة المفاجأة التى وجهه بها الى ، فؤاد سراج الدين

مارس ١٩٥٢ وَمَوْعِدُ الشُّوْرَةِ

- ♦ اوشكنا أن نقوم بالثورة
في مارس سنة ١٩٥٢
- ♦ فاروق يحاول مغادرة
البلاد بعد حريق القاهرة
- ♦ سراج الدين يستدرجنا
ليصبح وزيرا للحربية
- ♦ حيدر وطه حسين *
- ♦ ١٢ شيشكلي *
- ♦ اللعب على الحبلين *

ان المقابلة التي تمت بين فؤاد سراج الدين « باشا » وبين البكباشي أحمد أنور في أواخر ديسمبر من عام ١٩٥١ ، والتي تركنا لأحمد أنور تسجيلها في صفحاتنا الأخيرة من هذه الصفحات، كانت من أهم المقابلات التي تمت قبيل ظهور حركة الجيش ..

ولم تكن أهميتها عندنا ناجمة عن شعورنا بأهمية معاونة الوفد لنا في حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قررنا نهائيا ان ينفرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أية هيئة سياسية أو غير سياسية خارج نطاقه .. ولكن هذه الأهمية جاءت من شعورنا بوجوب اكتشاف كل شبر من الأرض التي نمشي عليها ، قبل أن نقدم على خطواتنا

لقد كان جمال عبد الناصر قليل الأمل في امكان قبول الوفد لما نعرضه عليه .. ولكن هذا لم يمنعه من السعى الى الوفد هذا السعى الحميد .. ولو أن الوفد قبل أن يكون الشرارة التي تطلق الثورة ، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث .. ولكنه لم يقبل .. وسأترك للبكباشي أحمد أنور اتمام حديثه الذي نشرنا بدايته في الفصل السابق ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد عن المضي في الطريق الوحيد الذي كان يجب أن يمضي فيه .. وكيف اثر هذا التخاذل في الاحداث المتلاحقة التي

شاهدتها مصر في مطلع عام ١٩٥٢ .. والتي انتهت بظهور الثورة،
وانتهاء عهد الفساد ..

قال البكباشي أحمد أنور ..

كنت قد مهدت الجو تماما لكي يشعر فؤاد سراج الدين
بملء الثقة في شخصي فيتكلم ويفصح ، ولا يخشى أن تكون هناك
دسياسة أو مكيدة قد دبرت له

وكان فؤاد سراج الدين قد بدأ يشعرني بأنني أصبحت فعلا
موضع ثقته .. وأخذ يتكلم بصراحة وحرية في موضوعات سياسية
ووطنية محاولا إيهامي بأنه يذكر لي أسراراً خطيرة لا ينبغي أن
تذكر إلا لمن يكونون في الموضع الأول من ثقة الرجل فيه ..

وفجأة سألني السؤال الذي لم أكن قد توقعت أن يوجه الي
ولا أعددت نفسي للإجابة عليه !

قال لي فؤاد سراج الدين في بساطة :

— مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش ؟

قال : قيادة الجيش .. ولم يقل قيادة الحركة .. وقالها
في بساطة لا مثيل لها وكأنه يسأل عن الصحة أو يتحدث عن
حالة الطقس .

ولم أفهم أنا مغزى سؤاله إلا بعد انصرافي من منزله عندما
جلست أستعيد ما دار في الجلسة حرفاً حرفاً لكي أقدم به تقريرى
الى البكباشي جمال عبد الناصر .. فقد أدركت عندئذ من وضع
أسئلته المتناثرة سؤالاً الى جوار الآخر انه لم يكن يسألني
مجرد سؤال برىء عمن أظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة
الجيش وانما كان يقصد تماماً الى معرفة رئيس حركة الضباط
الاحرار .

أدركت هذا بعد خروجي من منزل سراج الدين .. وحمدت الله عند ذلك كثيرا .. فعلى الرغم من مفاجاته لى بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذى كان قد سيطر على الجلسة ، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التى ألقى بها سؤاله فقد سيطر على - دون أن أدري لذلك سببا - الحذر الطبيعى الذى كنا قد تعلمناه فى الفترة السابقة من الأعداد للحركة وكنت بالطبع فى مأزق ، فلا بد لى أن أجيب .. والا فقدت ثقة الرجل التى أجهدت نفسى فى اكتسابها .. ولم يكن ممكنا أن أجيب لأن شخص القائد كان لا بد أن يظل سرا حيث لا يعلم به احد ..

ووجدت نفسى أختار اسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا ورجل لا صلة له مطلقا بالضباط الاحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه فى الوقت نفسه شخصية يمكن اذا ذكرت الا يقابل ذكرها فى هذا المقام بأى قدر من الارتياح ..

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جدا من سؤاله :

- اعتقد أن اللواء سيف اليزل هو الذى يصلح اليوم
لقيادة الجيش ..

وهز سراج الدين رأسه وقال لى :

- اختيار موفق ..

ولم أفهم مغزى هذه الكلمة أيضا ، فقد كنت لا أزال مأخوذا بالمأزق الذى وجدت فيه ..

ويبدو أن سراج الدين قد سره أن عرف منى اسم « قائد حركة الضباط الاحرار » وأراد أن يصل عن طريقى الى معلومات أخرى أعم وأشمل .. ولكنه كان فى كل كلمة حريصا وكان لا يسأل سؤاله الا بعد أن يمهد له كثيرا ..

هذا كله أدركته بعد انصرافي من منزله أما أثناء وجودي فقد كنت أحاول فقط أن أجيب على أسئلته وأن أعرف منه رأيه فيما جئت أعرضه عليه ..

حيدر وطه حسين

وبدا سراج الدين تمهيداً الطويل الثاني بالحديث عن الفريق حيدر باشا .

وكان طرق هذا الموضوع أمراً طبيعياً ما دمت قد حددت له اسم القائد الجديد ..

فأخذ يتحدث عن انتخابات النادي الأولى ، ثم قال :

— انتم خدلتُمونا في مسألة حيدر ..

وكانت الحكومة قد قبلت استقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على أثر التحقيقات التي أجريت في قضية الأسلحة الفاسدة ، ولكن الملك أعاده بعد ذلك رغم إرادة الحكومة .

وقال سراج الدين :

— لقد قلنا للملك ان إعادة حيدر ستؤدي الى كارثة وان الضباط جميعاً سيثورون .. ولكنه عندما أعاده . ثم ندبه عنه في حضور حفلة نادي الضباط ، صفق له الضباط طويلاً في حضور وزير الحربية الوفدي ، مصطفى نصرت — مما أوجد الوزير في حرج شديد ، وشلنا في موقفنا من الملك شللاً كاملاً .

وكانت هذه القصة قد وقعت بالفعل وكان تصفيق الضباط لحيدر هو أكبر لطمة وجهت الى حكومة الوفد وأضعفت موقفها .
وأردت أن اطمئن سراج الدين ، بفهامه أن ما حدث لا يعبر

مطلقا عن رأى الجيش .. وأن هذه المظاهرة قد افتعلها عدد معين من الضباط .. ثم قلت له :

— اننا لو اتينا بطله حسين وعيناه قائدا عاما لكان أحسن كثيرا فى منصبه من الفريق حيدر باشا .

ورأيت فؤاد سراج الدين يبتسم . فاستطردت قائلا :

— لانه — على الأقل — يفهم فى السياسة ..

وضحك سراج الدين ثم قال :

— على كل حال انتم صققتم لحيدر .. وأخرجتمونا ..

وفى الحال ، قال لى :

— هل سمعتم عن اتجاه النية الى التخلص من بعض الضباط ؟

وكنا على علم بذلك فعلا فقد كانت هناك قائمة قد أعدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن أسماء سبعة ضباط من تشكيلنا .

١٢ شيشكى

وقلت له : لقد سمعنا أن الملك قال لحيدر بفضب « ازاي

تسيب ١٢ شيشكى قاعدين فى الجيش ؟! »

وطرب سراج الدين لهذه الإجابة .. ثم سألتى :

— زى مين ؟ .

ولما وجدنى تلكأت فى الإجابة .. استطرد هو قائلا :

— انك تستطيع اذا عرفت الاسماء وكانت تهمكم أن تبلغنى شخصيا بما تعرف ... فقد استطيع أن أكون مفيدا !

وكننا نحن نعلم أن هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش .. وكان فؤاد سراج الدين يريد أن يعرف منا لى من معامات لكى يشعر الملك بأنه على علم بكل شىء ثم يستغل هذا فى الوصول الى هدفه الذى سعى اليه كثيرا .. وهو أن يكون وزيرا للحربية .. فقد كان همه فى تلك الايام أن يقنع الملك بأنه اذا أصبح وزيرا للحربية لاستطاع أن يسيطر على الجيش تمام السيطرة ..

من انتم ؟!

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعدادده لكى يكون مفيدا لنا اذا عرف منى أسماء من يهمنى أمرهم ..

ولكننى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور :

— أرجو ألا تهتم معاليك كثيرا بالاسماء ... ويكفى أن تتأكد من وجود قوة مخلصه كافيه داخل الجيش .. وانك انت تستطيع أن تعتمد علينا وأن تجدنا فى أى وقت اذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد أزركم تجاه الملك ، فى أية خطوة دستورية أو وطنية تريدون اتخاذها .

وأطرق سراج الدين .. ثم قال :

— يعنى ؟!

فأجبت :

— يعنى اننا نريد منكم بصراحة أن تتخذوا موقفا وطنيا شديدا من الملك .

فقال :

— واذا أقالنا الملك ؟!

قلت له :

— تتمسكون بمراكزكم وتتركون الباقي لنا .. فالجيش كله على استعداد للوقوف الى جانبكم في هذه الحالة وقوفا قويا فعلا مؤازرا ..

وابتسم سراج الدين وهو مطرق .. ثم قال :

— ربنا يسهل .. وان كان رأيي الصريح هو أن الجيش يجب أن يلزم شئونه الخاصة .

وانتهت المقابلة بذلك .. وتوجهت الى البكاشى جمال عبد الناصر ، فرويت له كل تفاصيلها ..

اللاعب على الحيلين

ولنعد الى حديث الحركة .. فقد درسنا موقف الوفد بعد ذلك على ضوء هذه الاجابة الواضحة من سراج الدين .. وعلمنا بوسائلنا الخاصة أن سراج الدين قد اخفى بنا هذه المقابلة عن جميع وزراء الوفد في ذلك الوقت .. وانه اراد ان يبقى امرها سرا بينه وبيننا .. وبين مصطفى النحاس .

والواقع أن هذا الموقف من الوفد قد أثر تأثيرا كبيرا فى الأيام التى تلت ذلك ..

فقد كانت حوادث القنال تتفاقم يوما بعد يوم .. وكان شباب مصر يقوم بأعمال عظيمة وهو أعزل من كل سلاح الا وطنيته وإيمانه ، وكان رجال البوليس يتحملون العبء الأكبر من أعباء

الجهاد ضد جيش كبير كامل التسليح .. وكان الموقف يفلت من يد حكومة الوفد يوما بعد يوم .. لمحاولتها السير في اتجاهين واللعب على حبلين في وقت واحد ..

فقد كانت تسير الملك ، وتعبىء الشعب .. والملك خائف من الشعب متأمر عليه ، والشعب حائق على الملك ثائر عليه .. والحكومة تريد أن تسير في هذين الاتجاهين المتناقضين .

ولم يكن لنا بد من الانتظار ، لان هذه الحكومة لا تريد أن تقف الموقف الحازم الذى يمكننا من التدخل واطرار الامور ، وايقاف الملك عند حدة ، أو الاطاحة به . والسير بالكفاح في طريقه القويم .

وفجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى .. حريق القاهرة ..

حدث هذا الحريق الذى اكل اقتصاديات البلاد ، واطاح بسمعتها ومكن للقوى الرجعية من الانتكاس بانتفاضتها في لحظة واحدة .. دون انتظار ولا توقع من أحد ..

وكيف كان لنا ان نتوقع حادثا كهذا ..

لقد فوجئنا به ... واعترانا الوجوم أياما ... ثم بدأت جميع حواسنا المعنوية والمادية تعمل معا ، بصورة لم يسبق لها مثيل في تشكيلنا ...

كنا نريد أن نتيين الطريق ، وان نعرف كيف نضرب ضربتنا ، بعد وقوع هذا الحادث وما تبعه من سوء الموقف الدولى لمصر ، ومن خراب اقتصادى ، وذ هول شعبى ، وانتكاس كامل ، وسيطرة الرجعية بصورة لا مثيل لها على كل مرافق البلاد ... ويدأنا نلاحظ ونراقب ...

فاروق ينتابه الذعر

وكان اول ما أستقرت عنده افكارنا فترة معينة هو ذلك الذعر الذى انتاب فاروق ، عقب الحادث مباشرة .. والتفكير المضطرب الذى كان ينساق به فى الصباح الى غير ما ينساق به فى المساء .

لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا .. وفكر فى الهرب من البلاد . واعد نفسه للسفر فعلا .. ووجدنا نحن انفسنا فى موقف من يجب أن يعد نفسه للعمل فى أية لحظة ، ومهما كانت الظروف والعقبات .

منشغل وحيتنا

واجتمعنا ، وحددنا موعدا تقريبا لحركتنا شهر مارس ١٩٥٢ ، أى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الاجتماع .. ووضعا خططنا كاملة .. وكنا قد راعينا فيها الاساس الاول الذى اتفقنا عليه من بدء التدابير الاولى للحركة ، وهو أن ينفرد الجيش بهذه الحركة انفرادا كاملا ، دون الاعتماد على أية هيئة او جماعة او حزب فقد كانت اتصالات جمال عبد الناصر المتعددة مع جميع الهيئات ، قد اثبتت لنا بصورة قاطعة انه لا توجد هيئة واحدة على استعداد للقيام بأى عمل جدى الى جانبنا ..

واتخذنا هذا الموقف لاکثر من أسبوع .. موقف التأهب الكامل للقيام بالحركة فى أى وقت ..

ولكن الاسبوع الذى مر بعد ذلك جدد أحداثا جديدة فى حياة البلاد ..

فقد اقيمت وزارة على ماهر .. أو استقالت مرغمة ..

وجاء شهر مارس بوزارة الهلالى ، وبأسلوب جديد . . وهدأت
مخاوف فاروق ، وقرر البقاء فى البلاد . . ووجدنا أن فرصتنا
تكون أكبر اذا انتظرنا قليلا حتى تتكشف الامور ، ويقيق الشعب
من ذهوله الذى أوجدته الاحداث فيه .

وهكذا قررنا تأجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له
شهر مارس . . وكان هذا هو التأجيل الاخير . .

الثَّوْرَةُ لَيْلَةُ النِّفْيِذ

- ◆ كمال الدين حسين
 - يخرج بلا سلاح
- ◆ لماذا عينا رشاد مهنا وصيا على العرش ؟
- ◆ مثل السياسيين
 - الخطأ الوحيد
- ◆ يوم مجيد
- ◆ ذكريات خالدة

كانت اللحظة الحاسمة تقترب بسرعة عظيمة .. وكانت هذه السرعة في حد ذاتها خطرا مباشرا على كل من له صلة بمسرح الاحداث .. فالحوادث عندما تسرع وتتسلاحق ، يخشى أن يفلت زمامها ، بحيث تتحكم هي في الذين يصنعونها ..

والحوادث ايضا عندما تسرع وتتلاحق ، تكشف مكنونات النفوس وتجلو جواهرها ..

وهكذا كانت أحداث شهر يوليو من عام ١٩٥٢ .. الاحداث التي سبقت يوم الثورة .. كانت سريعة متلاحقة ، وكانت تجري في اكثر من اتجاه ، وتجرف امامها اكثر من تيار ، وتنتاب بدوارها كل الرعوس ..

كان الملك في حالة اقرب الى الجنون .. فمنذ جاءت نتائج انتخابات النادى تحذيا صريحا له ، ومنذ وقف ضباط الجيش في ناديهم ذلك الموقف المكشوف المعادى للملك ، ومنذ بدت فيهم روح الاستهتار الذى لا حدود له بالعرش ، وبالتالي بكل القوى التي كان العرش يستند اليها .. منذ وقعت كل هذه الاحداث ، والملك لا يقر له قرار ..

ولم يكن تأثير هذه الحالة في الملك يقتصر على تصرفاته

(١٩) اسرار الثورة - ٢٨٩

الشخصية فحسب ، ولا على علاقته بالجيش وقيادة الجيش فحسب ، وانما انعكست هذه الحالة على الموقف السياسى والموقف الوزارى .

فأصبح بقاء الوزير فى وزارته رهنا بما لديه من حلول لهذا الموقف ، او من آمال فى العثور على الحلول .

ولم يكن فى مصر كلها من يستطيع حل ذلك الموقف . ولذلك لم يكن وزير يبقى فى منصبه ..

وفى هذه الدوامة الصاخبة ، كانت قيادتنا تعمل فى صمت وهدوء وصبر واتزان .. كانت تعد لليوم الذى عرفه العالم كله، وسجله التاريخ .. يوم الثورة ..

يوم الثورة ..

والايام التى سبقت يوم الثورة ..

قد لا يكون مما يهم قراء هذه الصفحات أن اذكر لهم تفاصيل الخطة التنفيذية للثورة .. فهى تفاصيل عسكرية ، كأي خطة عسكرية بسيطة توضع لاحتلال مدينة ، أو اقرار وضع ..

ولكن ما قبل ذلك اليوم وما بعده يهم كثيرا ..

وملابسات التنفيذ فى تلك الليلة تهم أيضا كثيرا ..

لأن ما مر بنا فى تلك الايام ، وما مر بنا فى تلك الليلة بالذات ؛ هو التاريخ الحقيقى للناس وللشعب ، وللأوضاع التى سيطرت على البلاد حقبة طويلة من الزمن ..

لكأن السنين جميعا كانت ترسب رواسبها مصفاة الزمن

لتتراكم هذه الرواسب كلها في فترة قصيرة .. هي تلك التي
سبقت يوم ٢٣ يوليو ..

وكان صراع الشعب وآماله قد تجمعت أيضا خلال الاعوام
الطويلة الكثيرة ، لكي تقود خطى الجيش والشعب في ذلك اليوم
التاريخي المجيد .

وفي خلال كل ذلك تقع مفارقات ، وحوادث صغيرة ،
وتصرفات شخصية ، قد نذكرها اليوم فنبتسم ونضحك ، ونحمد
الله .. ولكنها حين كانت تقع كانت تؤرق البال . حتى تنتهي !

مع القصر وجهها لوجه

ولقد كان القصر في تلك الايام لا يزال شاكا في قدرتنا على
القيام بحركة كاملة .. ولكنه كان يريد أن يطمئن بنا ، استعادة
لكأنته التي رأى انها اهتزت اهتزازا شديدا . وقطعا للطريق
علينا ، لانه كان يعتقد أننا وان كنا اضعف من أن نقوم بحركة
كاملة ، فنحن على كل حال نستطيع أن نكون التمهيد الاول
للحركة الكاملة ..

كان هو يعتقد هذا .. وكنا نحن نفدى فيه ذلك الاعتقاد
بالاساليب الكثيرة التي اتخذناها ، لتضليله وتضليل رجاله في
القصر ، وفي الجيش ..

ولذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهذا الفتك .. في
نفس الوقت الذي كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة
الحاسمة ، للفتك به ، بعرشه وحكم أسرته للبلاد ..

ماذا بعد الثورة ؟

كنا قد انتهينا من ذلك تماما .. وكنا لهذا قد بدأنا نفكر فيما بعد الثورة أيضا .. وكنا أيضا قد انتهينا الى قرار ..

ففيما يتعلق بالثورة نفسها ، وتنفيذ خطتنا ، كان قرارنا هو أن ينفرد الجيش بكل شيء .. فقد قام جمال باتصالات كافية مع جميع الهيئات التي كان يمكن أن تكون عاملا مساعدا في الثورة ، وإذا بالنتيجة الوحيدة التي يخرج بها ، هي أن الجيش يجب أن يتحمل وحده جميع أعباء التنفيذ . لان جميع الهيئات والأحزاب التي اتصل بها ، قد أثبتت أنها غير جديرة بالثورة ، ولا مستعدة لعمل أي شيء ، بل لعل أمانها من رجعية أصيلة كان وحده خليقا بدفعها الى خيانة الثورة ، لو أنهما استطاعت الى ذلك سبيلا ..

ومع ذلك فقد بقي علينا أن نفكر فيما بعد الثورة .. فيما يخلف التنفيذ .. ماذا نصنع ؟

هل نحكم ؟

هل نسلم الامر للشعب يصرفه كيف يشاء ؟

ومن الذي يتحمل مسئولية الحكم عندما نترك الامر للشعب ريثما يختار الشعب ممثليه ؟

سؤال يقضى على السؤال الاول قضاء مبرما ؟

فهل نسلم الامر للسياسيين ؟

وأي السياسيين جدير بقيادة البلاد بعد الثورة ؟

وعلى أي أساس يحكمون ؟

وجعلنا نقلب الامور .. نضع كل فرض ثم ندور حوله ،
نتلمس أوجه القوة فيه وأوجه الضعف ..

وينهار الفرض الاول ، فنبحث عن الفرض الثانى ..

وهكذا دراسة طويلة خرجنا منها بنتيجة واحدة هى :

أن الجيش لا يحكم ، وانما يقوم بالثورة ، ثم يسلم البلاد
للمدنيين فى اللحظة التى يفرغ فيها من عمله الكبير ..

أما كيف .. وأى انواع المدنيين .. فلم نستطع ان نقرر
شيئا محددا معيناً .. وانما اكتفينا بأن نقرر مبدئياً ، اعادة
البرلمان المحلول ، وكان هو نفس برلمان سنة ١٩٥٠ ، الذى جاء
بأغلبية وفدية ، وترك الحكم لحزب الاغلبية يصرفه ريثما تجرى
أول انتخابات نظيفة فى مصر ..

مثل للسياسيين

هذا هو القرار الذى استرحنا اليه ، وشعرنا حياله بالعزة
الكاملة ، وروعة المثل الاعلى ..

ليست ثورة على الاوضاع القديمة كلها ..

فماذا كان الطابع المميز للاوضاع القديمة ؟

كان شيئاً واحداً ظاهراً .. الجهاد فى سبيل الحكم ،
لاالجهاد فى سبيل المثل العليا ، أو فى سبيل الصالح العام ..

الاحزاب كانت هكذا ..

والهيئات كانت هكذا ..

والمستقلون والافراد كانوا هكذا ..

كل كان يسعى الى الحكم ، ليحقق به مصالح شخصية
وحزبية . وكل كان يجعل الصالح العام في المرتبة الثانية على
اقل تقدير ..

ولذلك أردنا أن نضرب للشعب مثلاً جديداً ، أردنا أن نقدم
له صورة جديدة يرى فيها وجوه أبنائه المخلصين ، لا وجوه
حكامه المفسدين ..

أردنا أن نقول له ، لقد انجبت افرادا يستطيعون ان يكافحوا
في سبيلك لافي سبيل أنفسهم .. وأن يصلوا الى الحكم في سبيلك
لافي سبيل أنفسهم .. ولكنهم لا يحكمون .. لا يحكمون لانهم
حقيقة - لم يعملوا في سبيل الحكم ، ولكن عملاء في سبيلك ،
ولك أنت وحدك بعد ذلك أن تحكم ، وأن تختار من يحكمون ..

لم يكن احد يترك الحكم مختاراً .. فأردنا أن نتركه مختارين
.. أن نتركه والشعب يدمي أيديه تصفيقا لنا ، ودفعنا بنا الى
مقاعد الحكم .. أن نتركه وقد حققنا الامنية الاولى لكل مصري
عاش في خلال القرن الاخير .. امنية الخلاص من حكم أسرة محمد
على وملوك أسرة محمد على .

أردنا ان نضرب مثلاً للسياسيين .. مثلاً يقنعهم بالدليل
الواقعي القاطع ، بأن الوضع كله قد تغير .. تغير من أساسه
الى الحد الذي أصبح الحاكم يترك الحكم فيه في يوم نصره الكبير

أردنا ان نقول له ، لقد انجبت افرادا يستطيعون ان يكافحوا
في سبيلك ، مادام الحاكم لا يقصد به الا مصلحة الوطن ، واننا
لذلك نترك الحكم ، أو نرفع عنه .. نأباه لانفسنا لاننا لانريد أن
تحكم ، وانما نريد لمصر أن تحكم حكماً صالحاً .. وان نكون نحن
بعض جنود هذا الحكم الصالح البتريه .

واعتقدنا اننا اذا فعلنا ذلك ، فقد قضينا على كل أمل
للسياسيين في أن ينظروا الى الحكم كوسيلة للكسب أو الإثراء
أو استغلال النفوذ .. فان وضع المثل الصالح أمام أعينهم كفيل
بدفعهم الى احتذائه أو التمثيل به .

الخطأ الوحيد

كم كنا طيبين بسطاء .. وكم كنا متفائلين .
لقد قدرنا كل شيء من أعمالنا العسكرية ، فأحسننا التقدير
ولم نخطئ مرة واحدة .
ولكننا قدرنا في هذه المرة ، فأخفقنا الواقع .. وغلب فينا
التفاؤل على ادراك حقيقة الواقع ..

عندما نصل الى الحديث عما تلا الثورة من الاحداث : سيأتي
تفصيل الامر كاملا .. وسيعرف الناس لماذا حكم على ماهر
شهرًا ، ولماذا تولينا الحكم ، وكيف أردنا أن نعيد البرلمان القديم،
وكيف قررنا اجراء الانتخابات العامة في فبراير ١٩٥٣ ، أى بعد
ستة أشهر فقط من الثورة ..

كنا نريد أن نغلب الواقع الكريه على أمره .. كنا نريد أن
ننتصر على كل شيء حتى على خيب النفوس ..
ولكن أخيرا .. وضع لنا أن المستحيل له وجود .. وان
نابليون لم يكن على حق أبدا .

ولكن هذا سنتركه اليوم .. نتركه كما تركناه يوم فكرنا
فيه ، ثم لم نكد نستقر على رأى ، حتى أردنا عيوننا وجهة أخرى
.. بدانا نعد للتنفيذ ، ونرتب الاحداث ..

يوم مجيد

وجاء يوم ٢٣ يوليو ، ليظهر لنا أشياء كثيرة .. ليظهر لنا أن تقديرنا كانت صحيحة تماما .. وأن الله كان يرقب حركتنا، ويقدر لها معنا كل مايكفل لها النجاح .. وأن الشعب كان كله في انتظار القيادة التي تقوده الى النصر .. فينتصر ..

ولعلى لست مستطيعا أن أورد تاريخ شاهد العيان للأيام التي سبقت ٢٣ يوليو مباشرة .. فقد كنت اذ ذاك في رفح .. وعندما وصلنى الامر من جمال بالعودة ، عدت مباشرة ، ولكنى لم أكن أنظن الى أن الحركة مدبرة في الليلة نفسها .. ولعل القراء يدهشون اذ أروى لهم انى جئت من السقر ، وتوجهت مباشرة الى احدى دور السينما .. فما أن عدت في منتصف الليل الى منزلى ، حتى وجدت اشارة التنفيذ ، فلم البث لحظة واحدة ، وانما مضيت من فورى الى القيادة .

وهناك أصبحت نكتة تروى ، ونادرة يتندر بها الزملاء .. فما ان يسأل واحد منهم في أى اجتماعاتنا - حتى اليوم - اين أنور ، حتى يجد من يجيب : فى السينما .. ولذلك اقتصر على مارايتة ، وماشاركت فيه قبيل الحركة واثناها ..

تهديد نجيب

ولعل أخطر مامر بنا قبيل الحركة ، هى المحاولة الاخيرة من القصر ، التى انتهت بقرار حل مجلس ادارة النادى .. فقد أرسل القصر الى نجيب تهديدات كثيرة بنقله من

القاهرة .. وكان مغزى هذا النقل ، هو اجباره على الاستقالة ،
او دفعه اليها .. كما وجد من رؤساء الوزارات من حاول ان
يفرغه اليها بكرسى الوزير ، وكان علينا ان نحافظ على بقائه
ضابطا معنا ، بعد ان استقر رأينا على تكليفه بقيادة الثورة .

واجتمعنا فى تلك الايام ، وبحثنا الامر ، ثم توجه جمال الى
نجيب ، وطلب منه الا يستقيل أبدا مهما هددوه ومهما صنعوا
به ، وأن يعمل على المحافظة على نفسه ، وعلى مركزه فى الجيش ،
بأى ثمن وبأية وسيلة .. وطلب منه طبعاً فى حالة عرض الوزارة
عليه أن يرفضها ..

ووافق نجيب على ذلك .. وفعلاً لم يخضع لعوامل التهديد
ولا لعوامل الاغراء ، ولم يقبل شيئاً مطلقاً ..

وكان لهذا الرفض طبعاً عواقبه .. اذ ترتب عليه صدور
القرار بحل مجلس ادارة النادى ، وأن يقوم محمد نجيب بتسليم
النادى لاختيه ، اللواء على نجيب .. على أن يتكون للنادى بعد
ذلك مجلس ادارة مؤقت ..

وهذه طبعاً كانت الشرارة المباشرة المؤذنة بالحركة ..

ذكريات

وفى يوم الحركة ، لكل منا ذكريات .. وذكريات ..

فى ذلك اليوم نفسه ، كان جمال عبد الناصر وكمال الدين
حسين - مثلاً - لا يزالان يقومان بالتدريس فى كلية أركان الحرب
فعلاً .. ولم يبد عليهما للضباط أى شىء .. رغم أن خطة تنفيذ
الحركة نفسها كانت مستقرة مطمئنة فى جيب سترة جمال ..

ويذكر كمال الدين حسين ، انه في نفس يوم ٢٢ يوليو ظهرا كان يناقش بعض طلبة الكلية .. واخذ الطلبة يسألونه اسئلة ، واذا به يذكر أن هناك واجبا عليه ، أهم من مناقشة الطلبة ، والاجابة على اسئلتهم في ذلك اليوم فأخذ يتهرب من اجاباتهم ، و «يكلفت» الشرح «كلفتة» ظاهرة ، وطلبتة في اندهاش .. لان الذين يعرفون كمال يعرفون مدى دقته واخلاصه لعمله وعنايته فيه بكل صغيرة وكبيرة ..

ولكن هؤلاء الطلاب ، راوا كمال بعد الحركة لكي يخاسبوه على هذه «الكلفتة» التي لم تغب عنهم ، والتي لم يكونوا يدركون في ظهر ذلك اليوم السبب فيها .. وكانوا يستغربون ..

ولا يكاد كمال يذكر هذه القصة ، حتى يذكر كيف خرج لاداء واجبه في تلك الليلة .. وليس معه سلاح .. فهو يروي انه اتفق مع جمال على أن يزوده ببعض الاسلحة ليخرج بها هو ورجاله .. وتأتي ساعة التنفيذ ، فيفاجأ كمال ، بأن جمالا لن يستطيع تزويده بالاسلحة لان المخزن الذي كان متفقا على أخذ السلاح منه كان مغلقا ..

وقال كمال الدين حسين توكلت على الله وأخذت رجالي بي ، وليس معهم جميعا سوى طبنجة واحدة .. ومضوا الى سلاح المدفعية .. سلاح كمال .. ومن هناك أخذ كل ضابط سلاحه ، وخرجوا الى عملياتهم ..

ومثل هذه الذكريات يذكرها الآخرون ..

يذكر جمال سالم وصلاح سالم ذكريات من رفع ومن العريش ..

موقف رشاد

فقد كان جمال في العريش ، وكان صلاح في رفح .. والى كليهما وكلت عمليات الثورة في ذلك القطاع ..

وكان أدق ما يواجههم هناك ، هو وجود رشاد مهنا ، الذي كان بالعريش ، ولم يكن على علم بشيء عن الثورة حتى تم تنفيذها فعلا ..

وكان على جمال سالم أن يتولى هو قيادة العملية كلها هناك .. برغم انه طيار ، وأن صلته ليست وثيقة بضباط الجيش بطبيعة الحال ..

ويذكر جمال سالم أنه طلب معونة رشاد مهنا ، فرفض أن يذهب في تلك الليلة ، رفض أن يذهب الى قيادة القوة أو أن يظهر بأي صورة من الصور ..

ولقد كان رشاد مهنا فعلا مشكلة لنا .. فقد كان التشكيل قد قرر عدم تكليفه بأي عمل من أعمال الاحرار .. وكان رشاد نفسه متباعدا نائيا بنفسه عن الشبهات ، ولكنه مع ذلك ، كان قد اقنع عددا كبيرا من ضباط المدفعية ، بأنه وراء كل اصلاح يجرى في داخل الجيش ، وكان قد كسب بذلك ثقتهم .. ولذلك لم يكن سهلا علينا أن ننزع هذه الثقة ، لان ظروف الثورة نفسها لم تكن تحتتمل مجادلات ، وكان هذا يعني أن نحافظ على صلتنا برشاد ، ودية سليمة ، محافظة منا على القوة التي كانت تؤمن به ، وثق فيه ..

وجاء .. في موكب

وعندما نيجحت الثورة في القاهرة ، أصدرت قيادتنا
أوامرها الى رشاد بأن يبقى في العرش وان يقوم بقيادة الفرقة
هناك ..

ولكن رشادا لم يخضع لهذا الامر .. بل عاد الى القاهرة
في يوم ٢٥ يولييه ، ودخل الى القيادة في موكب من الضباط
والجنس ، ثم سافر الى الاسكندرية ، ليحضر خروج الملك
باعتباره مشتركا في العملية وفي قيادتها ..

واتقن رشاد دوره حتى ظن أكثر الضباط انه عمود كبير
جدا من أعمدة الثورة ، وذهبوا يرددون ما كان يختلقه لنفسه من
أدوار وهمية عظيمة ..

ولاشك أن هذا التصرف قد اثر فينا في ذلك اليوم ، ولكن
المهم هو ان تنجح الثورة فقط .

.. اما جمال ، فقد دعا اليه رشادا ، وكلمه على انفراد .
ولامه كثيرا على هذا التصرف ، حتى اعتذر رشاد .. وبكى ..

وعيناه وصيا

وعند خروج الملك ، وبحث مسألة الوصاية قررنا تعيين
رشاد مهنا وصيا على العرش .. وكانت أسباب هذا التعيين هي:
أولا تعيين أحد الضباط وصيا على ألا يكون هذا الضابط من
أعضاء مجلس القيادة حتى نحافظ بجماعتنا كاملة داخل المجلس
.. وثانيا لان رشادا كان بطبعه يحب المظهر الكبير ، وكان هذا
المنصب كفيلا بارتضاء نزاعاته ..

وفعلنا ، عينا رشادا وزيرا للمواصلات تمهيدا لتعيينه وصيا

.. وذهب جمال سالم اليه ليبلغه بذلك .. فاذا به - أي
رشاد - يبكي وينتحب .. ويقول وهو يشرق بالدموع .. أنا
لاستحق كل هذا .. أنا منذ الآن ، خادم المجلس .. وخادم
الثورة ..

قال هذا .. ولكن .

ولكن بينما كانت جماهير الشعب كلها تهتف بحياة الثورة،
وبينما انطلقت أصواتها الحبيسة تطالب بالاصلاح ، وتعلن عن
فهمها لحقيقة الثورة الكبيرة ، وانها لايمكن أن تكون مجرد عملية
لاخراج فاروق .. وبينما كان الكادحون يبتون الأامهم للقادة ،
والقادة يعلنون آمالهم للشعب .. كان رشاد مهنا ، وظغمة
الاقطاعيين والسياسيين ، قد بدعوا في الوقت نفسه يتآمرون على
الثورة .. وعلى حقوق الشعب ..

لقد نجحت الثورة .. ولهم هم أن يكسبوا مغانمها ..
ليس لكل شيء ناجح أرباح ، والم يكونوا هم وحدهم الذين
يستولون على الأرباح دون الشعب ؟ ..

وهذه قصة بدأنا بها المذكرات .. ولا بأس من أن نختتمها
بها أيضا ...

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة :	
للرئيس جمال عبد الناصر	٥
مفاجأة مع الفجر	٩
فكرة العمر	٢٧
مصادفة ورجلان	٤٣
عزيز المصرى يتهم بدس السم لنازلى	٥٣
حادث ٤ فبراير	٦٣
نساء وخمر	٧٩
دخلت السجن بسبب شهرزاد	٩١
ثورة رشيد على الكيلانى	١٠٥
الهرب الى اسطمبول	١١٧
اقالة وزارة النحاس	١٣١

الصفحة	الموضوع
١٤٥	خطوط الثورة
١٥٧	اللجان الخمس
١٦٩	اللقاء الأول بين عبد الناصر وعامر
١٨٣	أول الثورة في نادي الضباط
١٩٥	عزيز المصري في معركة الحرية
٢٠٩	قواعد حركة الأحرار
٢٢٣	تشكيل سرى داخل الجيش
٢٣٧	فلسطين .. كيف ذهبنا .. وكيف عدنا
٢٤٧	لماذا نجحنا
٢٦١	موعد الثورة
٢٧٥	مارس سنة ١٩٥٢ وموعد الثورة
٢٨٧	الثورة ليلة التنفيذ

الدار القومية للطباعة والنشر



2

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٣١١

١٩٦٥/٧/٢٦